رُؤْيَـةٌ دَعْوِيَّةٌ

نَحْوَ

سُنَّةِ التَّدَافُعِ مِنْ مَنْظُورٍ إسلامي

مَصَادِرِ قُوَّةِ الأُمَّةِ الإِسْلامِيَّة

مُعَوِّقَاتِ نَهْضَةِ الأُمَّة، وَسُبُلِ عِلاَجِهَا



بقلم

د. معاذ محمد أبو الفتح البيانوني

دار اقرأ للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

رُؤْيَـةٌ دَعْوِيَّةٌ

رُؤْيَــةٌ دَعْوِيَّةٌ

نَحْوَ

سُنَّةِ التَّدَافُعِ مِنْ مَنْظُورٍ إسلامي
مَصَادِرِ قُوَّةِ الأُمَّةِ الإِسْلامِيَّة
مُعَوِّقَاتْ نَهْضَةِ الأُمَّةِ، وَسُبُلِ عِلاَجِهَا

بقلم
د. معاذ محمد أبو الفتح البيانوني

دار اقرأ
للنشر والتوزيع

الطَّبْعَةُ الأُولَى

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

رقم الإيداع: 2014/816

ردمــــك: 978-99906-89-98-7 : ISBN

دار اقــــرأ للنشر والتوزيع

الكويت : حولي - شارع المثنى - ص . ب ١٩٣٧ حولي - الرمز البريدي : 32020

هاتف : ٢٢٦٥٥٣٤٠ - ٢٢٦٥٥٣٥٠ - فاكس : ٢٢٦٥٥٣٥٠ - نقال : ٩٧٥٧٩٢٧١

القاهرة : مدينة نصر - أمام أرض المعارض الدولية - عمارات امتداد رمسيس (٢)

عمارة (١٦٨) شقة (٢)

تليفون : ٢٢٦٢٠٥٦٣٠ ٢٠٢++ - فاكس : ٢٢٦١٨٧١٠ ٢٠٢++ - محمول : ٢٠١٠١٠١٥٣٢٧٦٧++

email:dariqraa@hotmail.com - website:www.dariqraa.com

مقدمة الكتاب

مقدمة الكتاب

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وأكرمنا بالقرآن، وشرفنا بالنبي العدنان، وجعلنا أمة وسطا، خير أمة أخرجت للناس، والصلاة والسلام على رسول الله، البشير النذير، والسراج المنير، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، حتى أتاه اليقين، ورضي الله تعالى عن آل بيته وأصحابه الطاهرين الأبرار، وعن تابعيهم والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فقد منَّ الله تعالى علي بإنجاز هذه الدراسة الواسعة، على مراحل عدة، ابتدأتها منذ سنوات بكتابة بحث خاص ومستقل عن سنة التدافع من منظور إسلامي، أجلي فيه حقيقتها، ومجالاتها، وآلياتها، فلما أتم الله تعالى لي كتابته، واتضحت لي حقيقة هذه السنة التي سنها الله تعالى في خلقه، وارتضاها لكونه، تساءلت في نفسي: لم تعيش الأمة الإسلامية اليوم هذا الحال العصيب؟! ولم تقصر في أداء دورها المنوط بها في هذا الزمان؟! ولم لا تنهض قوية رائدة في ميدان التدافع؟!

فإن كانت إرادة الله تعالى في خلقه أن يكون التدافع بمدلولاته المتعددة حراكا طبيعيا بين الأمم والشعوب، فإن الأمة الإسلامية أجدر الأمم بالسبق الحضاري في ميدان التدافع.

وإجابة عن هذه التساؤلات: فتح الله تعالى علي بكتابة بحث آخر حاولت فيه جمع وبيان مصادر قوة الأمة الإسلامية، التي تؤهلها للريادة

والظهور في ميدان التدافع، وتوجهها للتفاعل الإيجابي في حراكها الحضاري، وتصل بها إلى النهوض العالمي.

وبعد أن يسر الله تعالى لي كتابة الدراسة المذكورة عن مصادر قوة الأمة الإسلامية في ميدان التدافع، وعرضت فيها مصادر قوتها الدينية والبشرية والكونية، تساءلت مرة أخرى، وأنا أنظر واقع الأمة الإسلامية اليوم، وما يحيط بها من أزمات ومخاطر، لم تأخرت أمتنا الإسلامية التي حباها الله تعالى بكل هذه المقومات المهمة عن غيرها من الأمم؟! ولم ابتعدت عن دورها الفاعل في الحضارة الإنسانية؟! ولم تركت حقها الريادي في الحراك الأممي العالمي؟!

وإجابة عن هذه التساؤلات أيضا قررت كتابة بحث ثالث حول معوقات نهضة الأمة الإسلامية، وسبل علاجها، فيسر الله تعالى لي الكتابة حول هذه المعوقات، فعرضت لها في المجالات الدينية والبشرية والكونية، واقترحت سبلا لعلاجها، أملا في أن تعود الأمة الإسلامية إلى المكانة التي تليق بها، والمقام الذي أراده الله تعالى لها، وهيأها له بفضله ومنته.

وبهذا وجدت بين يدي مادة واسعة وشاملة، تعرض لرؤية إستراتيجية دعوية، تسعى لنهضة الأمة الإسلامية من جديد، فتعود بها إلى ما كانت عليه من العزة والقوة، وتمكنها من مكانتها التي أرادها الله تعالى لها من الريادة والخيرية، وذلك بعد أن تَجَلَّى لها ميدان التدافع واضحا بينا، وأُبْرِزَت مصادر القوة المتنوعة ظاهرة ووافية، وكُشِف عن المعوقات وسبل

علاجها، ليتمكن المسلمون عامة والدعاة خاصة أفرادا ومجموعات، قيادات وعامة، من التحرك والتغيير، والتفاعل والتقدير، وفقا لإمكاناتهم الخاصة، ومعطيات واقعهم المتغيرة.

ونظرا لأهمية مادة الكتاب، وحرصا مني على تجويده وتحسينه قبل نشره، فقد حرصت على التحكيم الأكاديمي لبعض أجزائه كما هو مذكور في محاله، إضافة إلى عرض المادة كاملة على عدد من العلماء والدعاة وطلاب العلم، مكتوبة لقراءتها، أو مشافهة للتحاور حولها، مما زاد الكتاب إتقانا، وشجعني على طباعته ونشره في مجلد واحد يجمع الكتب الثلاثة، بعد أن مضى عليها ما يزيد عن خمس سنوات.

واعترافا بالفضل لأهله، وإحياء لواجب الشكر الوارد في قول رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**مَنْ لا يَشْكُر النَّاسَ لا يَشْكُر اللهَ**»[1]، فإنني أتوجه بالشكر الجزيل، والثناء الكبير، لكل من ساهم معي في إنجاز هذه الدراسة، وفي مقدمتهم فضيلة والدي الأستاذ الدكتور: محمد أبو الفتح البيانوني -حفظه الله-، حيث تكرم علي بالتوجيه والإرشاد، وتفضل بالاطلاع على مجمل البحث، فأصلح البحث بتوجيهاته وحسنه بتسديداته، وأضفى عليه حلة بملاحظاته وتعقيباته، كما أشكر كل من تعاون معي في مراجعة البحث، أو تأمين بعض مراجعه، أو الحوار حول بعض مسائله، حتى يسر الله تعالى لي إنجازه على هذا الوجه.

---

(١) سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، حديث رقم ١٨٧٧، وقال عنه الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

سائلا الله تعالى أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم، وأن يجزيهم عني خيرا، ويجعل هذا العمل لي ولهم ذخرا.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

كتبها:

د. معاذ البيانوني

غرة شوال من عام ١٤٣٣هـ.

١٦/ ٨/ ٢٠١٢م.

●●●●●

سُنَّةُ التَّدَافُع
مِنْ مَنْظُورٍ إسْلامِيّ

أصل هذا الموضوع: بحث محكم بعنوان: سنة التدافع من منظور إسلامي، مجلة الإسلام في آسيا، الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا، المجلد ٨، العدد ١، يونيو ٢٠١١م.

المقدمة

المقدمة

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين، وأتم علينا النعمة، ورضي لنا الإسلام دينا، والصلاة والسلام على سيدنا محمد البشير النذير، والسراج المنير، الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في سبيل الله حتى أتاه اليقين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، ورضي الله عن الصحابة الأخيار، الصفوة الأبرار الذين اصطفاهم رب العزة والجلال لصحبة نبيه المختار، وعن التابعين لهم بإحسان من العلماء والدعاة العاملين، الذين ورثوا العلم عن خاتم النبيين، وعن كل من سار على دربهم واهتدى بهديهم إلى يوم الدين، وبعد:

فإن التدبر في هذا الوجود الذي خلقه الله تعالى فأحسن خلقه وأبدعه شأن أهل المعرفة، الذين عطف الله تعالى شهادتهم بوحدانيته على شهادته وشهادة ملائكته، فقال جل شأنه: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾، (سورة آل عمران، الآية: ١٨).

ومن أهم مجالات التدبر في الخلق تأمل السنن الكونية التي أودعها الله تعالى في خلقه، لترشد الإنسان إلى طريق الهدى والنور، ويسير على بصيرة من الأمر في أعماله الدينية والدنيوية، وليتخذ الدعاة إلى الله تعالى من ذلك منهجا، فيسيروا في دعوتهم منسجمين مع خلق الله تعالى، يتعرفون بهذه السنن على ملامح طريقهم، ويستعينون بمعرفتها على تحقيق مرادهم، ويتبصرون من خلالها مستقبل نشاطهم، مسترشدين

بتجارب من سبقهم، كما أشار إلى ذلك الدكتور محمد الغزالي -رحمه الله- بقوله: «والتاريخ الإسلامي سجل لعمل أمتنا بهذا الدين، وعملها له، ورفعها لمناره، وحياطتها له، حتى لا تطفئه الرياح الهوج... والإسلام دين معصوم الأصول، بيد أن العمل له يتفاوت ويلحقه العثار والعوج...»[1].

وجاء الأمر من الخالق العظيم بالنظر في هذه السنن الثابتة التي خلت في هذه الحياة، فقال سبحانه: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ (سورة آل عمران، الآية: ١٣٧)، وقال أيضا: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾، (سورة الفتح، الآية: ٢٣).

ولهذا أكد بعض المفكرين على أهمية هذه المعرفة، وضرورتها في الحياة الإنسانية العامة، والإسلامية والدعوية الخاصة، قال عمر عبيد حسنه -حفظه الله-: «وبالإمكان القول: إن علم السنن التي شرعها الله للأنفس والآفاق، تعتبر من الفروض الكفائية، أو من الفروض الحضارية، التي غفل عنها المسلمون جماعات وجمعيات، ودولا وأفرادا، اللهم إلا من بعض الملحوظات والإضاءات، والإشارات والبدايات، التي لم ترق إلى مستوى العلم»[2].

ومن هذه السنن التي ذرأها الله تعالى في خلقه: سنة التدافع بين الناس، وهي ظاهرة من الظواهر الكونية، التي تتصل بحركة الإنسان

(١) محمد الغزالي، الدعوة الإسلامية في القرن الحالي (القاهرة، دار الشروق، طبعة أولى، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م) ص ٥.

(٢) أحمد القديري، الإسلام وصراع الحضارات، سلسلة كتاب الأمة، العدد ٤٤ (دولة قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م) ص ١٩.

وتفاعلاته في الكون والحياة، وقد نص عليها رب العزة والجلال بقوله: ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾، (سورة البقرة، الآية: ٢٥١)، وقوله أيضا: ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ (سورة الحج، الآية:٤٠).

وقد تنبهت القوى العالمية بحضاراتها المتنوعة إلى سنة التدافع، وحاولت توجيهها وفقا لرؤياتها وتوجهاتها، فعُقدت لها التجمعات والمؤتمرات والندوات، وأجريت من أجلها البحوث والدراسات، ووضعت على أساسها الخطط والسياسات، وتعددت نحوها الرؤى والأفكار، وتنوعت للتفاعل معها الأساليب والآليات، وكثرت من أجلها الوسائل والأدوات، وعمت الفوضى والاضطراب في الأمة الإنسانية، لتعدد القوى الفاعلة، وتباين مستوياتها وتوجهاتها، فمن قوة إلى ضعف، ومن توافق إلى تناقض، ومن سلم إلى مواجه، وهكذا...

وتتأكد أهمية دراسة وبيان سنة التدافع من منظور إسلامي، من خلال النظر فيما وجد في المكتبات الإسلامية من مؤلفات حول طبيعة العلاقة بين الحضارات والأمم والشعوب، فإن كثيرا من الكتابات الفكرية الإسلامية التي تناولت سنة التدافع بالدراسة انطلقت مما كتبه أستاذ العلوم السياسية بجامعة هارفارد: صامويل

هنتنجتون عن صدام الحضارات، حيث صبغ الموضوع بنظرته نحو الثقافات المختلفة منطلقا من ثقافته الخاصة، سواء جاءت هذه الدراسات شارحة أو مبينة أو محللة لهذه النظرية(١)، أو كانت ردا عليها ومناقشة لها(٢).

كما أشار إلى ذلك الأستاذ عطية الويشي، حيث قال: «وبوجه عام -وهو أمر عجيب-: فإن مجمل الردود والمناقشات العربية أو الإسلامية بشأن قضية صدام الحضارات، لم تنطلق من الذاتية التاريخية العقدية، بل كانت - مع الأسف - تكرارا لمناقشات وردود أثيرت من قبل عقليات ذاتية ومؤسسية غربية، بأدوات بعيدة تماما عن معاملاتنا التاريخية أو الإستراتيجية أو العقدية -كمقدمات-، مما أفقر هذه البحوثات بالبداهة إلى النتائج السديدة المفيدة، كما أن هذه الأطاريح رغم جدية أكثرها، لم تنطلق من ثوابت اصطلاحية دقيقة، الأمر الذي أثمر عن مقررات غير دقيقة، ونتائج مضللة...»(٣).

وحاولت بعض الدراسات الخروج بصورة إيجابية للعلاقة بين الحضارات تركز على الحوار والتعايش بدلا عن التصادم والتصارع، وذلك خلافا لما عرضه صامويل هنتنجتون(٤).

---

(١) من هذه الكتابات: عبد الرزاق مقري، صدام الحضارات (مصر، المنصورة، دار الكلمة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م).

(٢) من هذه الكتابات: يوسف القرضاوي، المسلمون والعولمة (القاهرة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م) ص ٨٩- ١٢٣، ومحمد عمارة، الحضارات العالمية تدافع أم صراع، سلسلة التنوير الإسلامي، العدد ٢٤ (مصر، مكتبة نهضة الطبعة الأولى، ١٩٩٨م).

(٣) واقعنا بين العالمانية وتصادم الحضارات، ص ٤٦، سلسلة التنوير الإسلامي، العدد ٥٩، نهضة مصر.

(٤) انظر: عبد العزيز التويجري، صراع الحضارات في المفهوم الإسلامي (منشورات المنظمة

فقال الدكتور عبد العزيز التويجري - حفظه الله -: «لعل أكثر التعابير والمصطلحات انتشارا وشيوعا في العقد الأخير من القرن العشرين: صراع الحضارات، ومقابله: حوار الحضارات، سواء أكان ذلك عل المستوى العام بالنشر في الصحف والمجلات وأجهزة الإعلام الأخرى من محطات إذاعية وتلفزيونية ومواقع متعددة على شبكة المعلومات العالمية الإنترنت، أم على المستوى الخاص بالبحث والدراسة والمناقشة في دوائر البحوث والدراسات ومساندة القرار، أو في الكليات والجامعات، أو في المنتديات الفكرية، أو في المحافل السياسية والملتقيات الثقافية، أو في المؤتمرات المتخصصة وغير المتخصصة التي تعنى ببحث القضايا الدولية المطروحة على الساحة العالمية طوال هذه المرحلة التي كانت ولا تزال من المراحل الدقيقة والحاسمة في تاريخ البشرية، دون منازع... التفاعل الحضاري هو البديل للصراع...»[1].

وغلب على كثير من الكتابات الفكرية المعاصرة عن سنة التدافع حصر مفهوم التدافع فيما هو متعارض ومتباين من حق وباطل، أو خير وشر، وركزت كثير منها في حديثها عن سنة التدافع على الجانب النظري التأصيلي لها[2]، من خلال بعض الآيات والنصوص الشرعية،

الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م) ومحمد عمارة، الحضارات العالمية تدافع أم صراع، سلسلة التنوير الإسلامي، العدد ٢٤ (مصر، مكتبة نهضة الطبعة الأولى، ١٩٩٨م).

(١) صراع الحضارات في المفهوم الإسلامي، ص ٩- ٢١، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

(٢) انظر: يوسف القرضاوي، المسلمون والعولمة (القاهرة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م) سنة التدافع، ص ٢٠، وما بعدها...، وانظر عنوان رسالة ماجستير: سنة التدافع بين الحق والباطل في القرآن الكريم، لكامل محمود شرباتي، ٢٠٠٠، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، ورسالة ماجستير أيضا بعنوان: سنة التدافع بين الحق و الباطل في القرآن الكريم، لمحمد الصرايرة، ٢٠٠٦، الجامعة الأردنية.

والأدلة العقلية، دونما تركيز على حقيقتها ومظاهرها الواقعية، ووسائلها وآلياتها العملية...

حيث يبقى التساؤل قائما عن حقيقة الرؤية الإسلامية لسنة التدافع ومفهومها، وعن مجالاتها وأطرها، وعن آلياتها ووسائلها...

ومن خلال ما سبق؛ يمكن إجمال أهمية الموضوع فيما يلي:

- أهمية دراسة السنن الكونية من منظور إسلامي ينطلق من مصادر المعرفة الإسلامية المعتبرة.
- إبراز نظرية التدافع الإسلامية باعتبارها سنة الله تعالى في طبيعة علاقة الحضارات والأمم والشعوب بعضها ببعض.
- حاجة المسلمين إلى تأصيل هذه الموضوعات التي تساعدهم في فهم حقيقتها، وتعينهم على حسن التفاعل معها، ولا سيما في الواقع المعاصر الذي يشهد تنافسا حضاريا شديدا بين مختلف القوى العالمية.
- المشاركة الحضارية الفاعلة في الميدان الثقافي والمعرفي العالمي برفده بالبحوث والدراسات المختصة بالموضوعات ذات الاهتمام المشترك.
- فتح المجال أمام حركة النهضة الإسلامية للتوازن في تفاعلاتها على الأوتار الحضارية، بما يحقق الشمول والاستيعاب للمجالات والوسائل المحركة لسنة التدافع.

وعليه فقد رأيت من المناسب في هذه الدراسة اعتماد المنهج الوصفي التحليلي لسياقات التدافع النظرية والواقعية، وذلك بتسليط الضوء على

مفهومها، ومضامينها، وآلياتها وأشكالها، وأدواتها وسائلها، واعتمدت على مدلولات اللغة العربية ومفرداتها، وإعمال الفكر وتأملاته، وتوجيهات الشرع ونقولاته، ومعطيات الحياة العامة وتقلباتها، دونما خوض في التفصيلات التطبيقية، والتحليلات الميدانية.

فبينت علاقة سنة التدافع بمجموعة من السنن الكونية، لتنتظم في سياق المنظومة السننية التي ذرأها الله تعالى في الخلق، وأوضحت أبعاد التدافع الإيجابية والسلبية، أو التوافقية والتصادمية، ابتداء من التكامل والتتميم وانتهاء بالتصادم والتصارع، كما جَعَلَتْ لمجالات التدافع آفاقا متنوعة، لتشمل مختلف الاهتمامات الإنسانية في هذه الحياة، كالجوانب الثقافية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها...، وذلك في إطار المفهوم الحضاري الشامل، وتطرقتْ إلى أبرز الوسائل التي يمكن أن تبرز من خلالها سنة التدافع، وأن تحقق الغاية من وجودها كسنة من سنن الكون المهمة في حياة البشر بتفاعلهم مع الكون والدين.

وقد قسمت الدراسة إلى مقدمة، وثلاثة مباحث، هي:

المبحث الأول: سنة التدافع التعريف والمصطلح. وفيه ثلاثة مطالب:

تعريف سنة التدافع (سنة، تدافع).

تعريف مصطلحات البحث المتعلقة بالموضوع، (تصارع، تصادم، تكامل وتتميم).

تعريف ببعض السنن الكونية ذات الصلة بسنة التدافع (سنة التداول، سنة التغيير، سنة الإفناء والإزالة، سنة العقاب على الطغيان،

سنة الاستبدال، سنة التعدد والتنوع، سنة الابتلاء والامتحان، سنة التفاضل والتمايز).

المبحث الثاني: مجالات التدافع وأنواعه. وفيه تسعة مطالب:

التدافع الديني.

التدافع الفكري.

التدافع القومي والعنصري.

التدافع السياسي.

التدافع الاقتصادي.

التدافع العلمي.

التدافع الإعلامي.

التدافع الصناعي والتقني.

التدافع العسكري.

المبحث الثالث: آليات التدافع ووسائله. وفيه ثلاثة مطالب:

آليات التدافع ووسائله القلبية.

آليات التدافع ووسائله العقلية.

آليات التدافع ووسائله الحركية.

ثم الخاتمة والمراجع والفهارس...

سائلا المولى عز وجل بفضله وكرمه أن يبارك في هذا الجهد، وأن يحقق له السداد والتوفيق، ويمن علي بتمامه، وأن يجعله لوجهه خالصا، وللناس ناصحا، ولي يوم الحساب مخلصا، إنه خير من سئل، وأعظم من أعطى، وهو ولي التوفيق...

كتبها:

د. معاذ البيانوني

●●●●●

المبحث الأول

سنة التدافع التعريف والمصطلح

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف سنة التدافع (سنة، تدافع).

المطلب الثاني: تعريف مصطلحات البحث المتعلقة بالموضوع، (تصارع، تصادم، تكامل وتتميم).

المطلب الثالث: تعريف ببعض السنن الكونية ذات الصلة بسنة التدافع (سنة التداول، سنة التغيير، سنة الإفناء والإزالة، سنة العقاب على الطغيان، سنة الاستبدال، سنة التعدد والتنوع، سنة الابتلاء والامتحان، سنة التفاضل والتمايز).

المطلب الأول

تعريف سنة التدافع

لتعريف مصطلح سنة التدافع باعتباره مصطلحا علميا إضافيا، في هذه الدراسة، أسلط الضوء على تعريف مفردتيه وهما: (سنة ، تدافع)، ومن ثم أضع له التعبير المصطلحي الخاص بالموضوع.

١- سنة:

تشير كلمة سنة إلى الطريقة الثابتة والمتكررة، فقد جاء في لسان العرب: «والسنة السيرة حسنة كانت أو قبيحة... والأصل فيه الطريقة والسيرة وإذا أطلقت في الشرع فإنما يراد بها ما أمر به النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ونهى عنه وندب إليه قولا وفعلا مما لم ينطق به الكتاب العزيز ولهذا يقال في أدلة الشرع: الكتاب والسنة أي القرآن والحديث»[١].

قال تعالى: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ٢٣ ﴾ (سورة الفتح، الآية: ٢٣)، قال القرطبي – رحمه الله – في تفسيره: «يعني: طريقة الله وعاداته السالفة نصر أوليائه على أعدائه، وانتصب سنة على المصدر وقيل سنة الله: أي كسنة الله، والسنة الطريقة والسيرة»[٢].

(١) لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ج ١٣، ص ٢٢٥، مادة سنن، دار صادر، بيروت، الطبعة: الأولى.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ج ١٦، ص ٢٨٠، دار الشعب، القاهرة.

وقال أيضا: «والسنن جمع سنة، وهي الطريق المستقيم، وفلان على السنة أي على طريق الاستواء لا يميل إلى شيء من الأهواء...، ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١٣٧) ﴾، (سورة آل عمران، الآية: ١٣٧)، يعني: بالهلاك فيمن كذب قبلكم كعاد وثمود والعاقبة آخر الأمر، وهذا في يوم أحد، يقول فأنا أمهلهم وأملي لهم وأستدرجهم حتى يبلغ الكتاب أجله يعني بنصره النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم والمؤمنين وهلاك أعدائهم الكافرين»[1].

٢- التدافع:

تشير كلمة الدفع إلى: الإزالة مع الشدة، والإسهام في تقدم وظهور الآخر وسبقه، والإسراع إلى الأمر، والوصول إلى المنتهى، فقد جاء في لسان العرب: «الدفع: الإزالة بقوة... وتدافعوا الشيء: دفعه كل واحد منهم عن صاحبه، وتدافع القوم أي دفع بعضهم بعضا... وتدفع السيل و اندفع: دفع بعضه بعضا... والدفاع أيضا: الشيء العظيم يدفع به عظيم مثله... ويقال: هذا طريق يدفع إلى مكان كذا: أي ينتهي إليه، ودفع فلان إلى فلان أي انتهى إليه... واندفع الفرس أي أسرع في سيره...»[2].

وجاء في تاج العروس: «إذا عُدِّيَ الدَّفْعُ بإِلَى اقْتَضَى معْنَى الأَمَانَةِ، كَقَوْلِه تَعالَى: ﴿ فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ﴾، (سورة النساء، الآية: ٦)، وإذا عُدِّيَ بعَنْ اقْتَضَى مَعْنَى الحَمَايَةِ، كقَوْلِه تَعالَى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ

(١) ج ٤، ص ٢١٦.

(٢) ج ٨، ص ٨٧- ٨٩، مكتبة السيرة، برامج القمة، إحياء التراث، تسويق الخطيب.

اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾، (سورة الحج، الآية: ٣٨)، وقوله تعالى: ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾﴾ (سورة المعارج، الآية: ٢)»[1].

وهذا البعد في معنى التدافع يفتح المجال أمام التفكر في مضامينه المتنوعة بحسب ما يتعدى به، إذ يمكن أن يتسع معنى التدافع ليشمل التدافع الإيجابي التكميلي، والتدافع السلبي التصادمي، وذلك بحسب السياق كما أشارت إلى ذلك كتب اللغة في تدفع السيل ودفع بعضه بعضا، فالتدافع بالأمر مغاير للتدافع عليه، أو الدفع عنه أو له، وهكذا...، ومع تعدد قوى الدفع المتنوعة تتشكل طاقة يدفع بعضها بعضا، وتستطيع أن تدفع ما تواجهه أو تصادمه...، وطاقة الدفع لا تصدر إلا عن تفاعل مجموعة من العناصر والمركبات، سواء منها المؤتلف المتوافق، أو المتنافر المتضاد، ليتشكل من مجموع ذلك صور متعددة وأشكال متنوعة للتدافع.

فكلمة التدافع تشير إلى تفاعل بين أطراف متعددة يؤثر كل منها في الآخر ويتأثر به، وذلك بصورة مستمرة ومتتابعة...

قال الأستاذ محمد عمارة – حفظه الله –: «وهذا التدافع هو حراك اجتماعي وثقافي وحضاري، أي تنافس وتسابق بين الحضارات، يعدل المواقف الظالمة، والممارسات الجائرة، والعلاقات المنحرفة، دون صراع يصرع الأطراف الأخرى فيلغي التعددية، وإنما بالحراك والتسابق الذي يعيد العلاقات المختلة إلى درجة التوازن والعدل في العلاقات بين مختلف

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس، تأليف: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، ج ٢٠، ص ٥٥٣، دار الهداية.

الفرقاء، فالتدافع الحضاري الذي هو حراك وتنافس وتسابق، يحافظ على التعددية، ويتوسط بين الصراع وبين السكون، وهو فلسفة الإسلام وسبيل حضارتنا الإسلامية في العلاقات بين الحضارات»[١].

وعرف الدكتور حمدي شعيب، سنة التدافع بالتعريف الذي درج عليه كثير من الكتاب، وذلك بتصوير التدافع بصورة المواجهة بين الحق والباطل، حيث قال: «سُنَّة التدافع الحضاري، أو قانون المدافعة القرآني، وهي السنَّة الإلهية الاجتماعية التي تبين إرادة الحق سبحانه في أن يستمر الصراع والتنافس والتدافع، سواء كان فردياً أو جماعياً، بين الحق والباطل، بين الخير والشر، بين الإيمان وأهله والكفر وأهله، ما دامت السماوات والأرض؛ وذلك حتى تتم عملية انتقائية لتفرز الأصوب والأبقى والأصلح في كل شيء، سواء كانت أفكاراً أو آراء أو أفراداً أو أمماً، فإذا توقفت تلك العملية التدافعية الحضارية، المختلفة الصور كان الفساد في الأرض ، وهذا من فضله سبحانه من أجل ديمومة واستمرارية العملية الاستخلافية الإعمارية في الأرض»[٢].

ومما سبق يمكن تعريف سنة التدافع بأنها : قانون كوني رباني يصور العلاقة بين الأطراف المتنوعة، ويحقق التوازن بينها أولا ، وينتهي بظهور بعضها على بعض آخرا .

فبتدافع القوى تتحقق المعادلة بين قوى الخير فيما بينها، وقوى الشر

---

(١) محمد عمارة، الحضارات العالمية تدافع أم صراع، سلسلة التنوير الإسلامي، العدد ٢٤ (مصر، مكتبة نهضة الطبعة الأولى، ١٩٩٨م) ص ١٨- ١٩.

(٢) مقال: قطوف تربوية حول قصة أصحاب القرية، دعامتا التغيير الحضاري، للدكتور حمدي شعيب، مجلة البيان، العدد ١٩٢، ص ٢٤.

فيما بينها أيضا، تأثرا وتأثيرا، وتأخذ كل قوة محلها ومكانها، إيجابا في تحقيق التوازن بين هذه القوى نحو التكامل والتتميم، أو سلبا في تحقيق التوازن في العلاقة بين المتضادات نحو التصادم والتصارع، حيث تنقضي بعض هذه القوى في عملية التدافع وتبرز قوى أخرى، فتكون لها الريادة والسبق والظهور، وهكذا دواليك...، ليستمر التوازن قائما في فاعلية سنة التدافع بين الناس في الحياة.

وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى سنة التدافع في كتابه العزيز فقال: ﴿... وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾، (سورة البقرة، الآية:٢٥١)، وقوله أيضا: ﴿... وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ...﴾، (سورة الحج، الآية:٤٠).

والتدافع في الآيتين السابقتين جاء بعد الحديث عن موقف المؤمنين، من أعداء الله تعالى، حيث جاءت إحدى الآيتين بعد ذكر قصة داود عليه السلام مع جالوت، وبينت الصراع الذي حدث بينهما، ثم انتهى الصراع بنصر الله تعالى لداود عليه السلام، بعد قتله لجالوت، وجاءت الآية الأخرى بعد آية الإذن بالجهاد في سبيل الله تعالى، وبهذا تظهر مهمة المسلمين في هذا الوجود، بأن يكونوا سببا في الدفع لدينهم، وسببا في الدفاع عنه، سواء مع أهل دينهم من المسلمين أم مع غير المسلمين من الناس على اختلاف دياناتهم وأجناسهم، وهذا ما أشار إليه القرطبي - رحمه الله- في تفسيره لهذه الآيات، فقال: «قال ابن عباس رضي الله عنهما: ولولا دفع الله العدو بجنود المسلمين لغلب المشركون فقتلوا

المؤمنين وخربوا البلاد والمساجد، وقال سفيان الثوري -رحمه الله-: هم -أي الناس المدفوع بهم- الشهود الذين تستخرج بهم الحقوق، وحكى مكي: أن أكثر المفسرين على أن المعنى: لولا أن الله يدفع بمن يصلي عمن لا يصلي وبمن يتقي عمن لا يتقي لأهلك الناس بذنوبهم، وكذا ذكر النحاس والثعلبي أيضا، قال الثعلبي وقال سائر المفسرين: ولولا دفاع الله المؤمنين الأبرار عن الفجار والكفار لفسدت الأرض أي هلكت»[1].

وقال أيضا: «﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ أي: لولا ما شرعه الله تعالى للأنبياء والمؤمنين من قتال الأعداء لاستولى أهل الشرك وعطلوا ما بينته أرباب الديانات من مواضع العبادات، ولكنه دفع بأن أوجب القتال ليتفرغ أهل الدين للعبادة، فالجهاد أمر متقدم في الأمم، وبه صلحت الشرائع واجتمعت المتعبدات، فكأنه قال أذن في القتال فليقاتل المؤمنون، ثم قوى هذا الأمر في القتال بقوله: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ ...﴾: أي لولا القتال والجهاد لتغلب على الحق في كل أمة، فمن استبشع من النصارى والصابئين الجهاد فهو مناقض لمذهبه، إذ لولا القتال لما بقي الدين الذي يذب عنه، وأيضا هذه المواضع التي اتخذت قبل تحريفهم وتبديلهم، وقبل نسخ تلك الملل بالإسلام إنما ذكرت لهذا المعنى، أي لولا هذا الدفع لهدم في زمن موسى الكنائس وفي زمن عيسى الصوامع والبيع وفي زمن محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم المساجد... وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: ولولا دفع الله بأصحاب محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم الكفار عن التابعين فمن بعدهم، وهذا وإن كان فيه دفع قوم بقوم إلا أن معنى القتال أليق كما تقدم، وقال مجاهد:

---

(١) ج ٣، ص ٢٦٠.

لولا دفع الله ظلم قوم بشهادة العدول، وقالت فرقة: ولولا دفع الله ظلم الظلمة بعدل الولاة، وقال أبو الدرداء: لولا أن الله عز وجل يدفع بمن في المساجد عمن ليس في المساجد وبمن يغزو عمن لا يغزو لأتاهم العذاب، وقالت فرقة: ولولا دفع الله العذاب بدعاء الفضلاء والأخيار...»[1].

وفي هذا إشارة إلى أهمية المنهج الذي يتحرك به الإنسان باعتبار المنهج عنصرا من عناصر التفاعل الذي تنشأ عنه صور التدافع المختلفة.

وبالتأمل والتدقيق في قوله تعال: (بعضهم ببعض)، يمكن ملاحظة ما قدمتُ له من وجود صور التدافع الإيجابية والسلبية، فتدافع البعض الإيجابي في المشتركات بين كل طرف من الأطراف، يعتبر صورة من صور التدافع، كما أن تدافع البعض السلبي في المشتركات بين كل طرف من أطرافه يعتبر أيضا صورة من صور التدافع، وتدافع كلا الاتجاهين مع الآخر في المختلفات، يشكل صورة كبرى من صور التدافع أيضا، وهكذا...

وإذا كان الله جل وعلا جعل سنة التدافع بين الناس قانونا من القوانين الكونية، فقد خص عباده المؤمنين المستخلفين في الأرض، والقائمين بالدفع لهذا الدين، والدفاع به والمدافعة عنه، بالدفع عنهم حيث قال: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾، (سورة الحج، الآية: ٣٨)، جاء في تفسير أبي السعود: «﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ ...﴾: كلام مستأنف مسوق لتوطين قلوب المؤمنين ببيان أن الله تعالى ناصرهم على أعدائهم بحيث لا يقدرون على صدهم

---

(١) ج١٢، ص ٧٠.

عن الحج ليتفرغوا إلى أداء مناسكه، وتصديره بكلمة التحقيق لإبراز الاعتناء التام بمضمونه وصيغة المفاعلة إما للمبالغة أو الدلالة على تكرر الدفع فإنها قد تجرد عن وقوع الفعل المتكرر من الجانبين، فيبقى تكرره كما في الممارسة، أي: يبالغ في دفع غائلة المشركين وضررهم الذي من جملته الصد عن سبيل الله مبالغة من يغالب فيه، أو يدفعها عنهم مرة بعد أخرى حسبما تجدد منهم القصد إلى الإضرار بالمسلمين»[١]، وقال الرازي رحمه الله: «﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ...﴾: ولم يذكر ما يدفعه حتى يكون أفخم وأعظم وأعم»[٢].

وقال ابن الزبير:

«فوض إلى الله الأمور إذا عرت

وبالله لا بالأقرين تدافع»[٣]

والدفع سبيل إلى البناء والاستقرار للكون والحياة، سواء كان ذلك الدفع قولا أو فعلا، خاصا أو عاما، فقد يكون الدفع بالدعاء، أو بالالتزام بما أمر الله، أو بمجاهدة النفس والهوى لتزكيتها وتربيتها وفق منهج الله تعالى، وقد يكون بالدعوة إلى دين الله تعالى بالحجة والبرهان والموعظة الحسنة، والجدال الحسن والحوار، وقد يكون بالمواجهة والقتال، وذلك

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، ج ٦، ص ١٠٨، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) التفسير الكبير، لفخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، ج ٢٣، ص ٣٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى.

(٣) تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، ج ٥٧، ص ٢٧٤، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.

ظاهر من خلال تعدد صيغ مادة الدفع في كتاب الله تعالى، وتوسيع المفسرين واللغويين لمدلولاتها وأبعادها ومجالاتها وآلياتها.

وجميع المعاني السابقة التي ذكرتها كتب التفاسير تؤكد على مهمة المؤمنين الصادقين وأثرهم في هذا الوجود، فالمسلم يؤمن بوجود سنة التدافع في هذا الكون، ويعرف مهمته فيه، قال البنا -رحمه الله- موجها إلى حسن التفاعل مع السنن الكونية الثابتة: «ألجموا نزوات العواطف بنظرات العقول، وأنيروا أشعة العقول بلهب العواطف، وألزموا الخيال صدق الحقيقة والواقع، واكتشفوا الحقائق في أضواء الخيال الزاهية البراقة. ولا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة، ولا تصادموا نواميس الكون فإنها غلابة، ولكن غالبوها واستخدموها وحولوا تيارها واستعينوا ببعضها على بعض، وترقبوا ساعة النصر وما هي منكم ببعيد»[1].

ومن هنا كان من شأن المؤمن عدم الاتكال على السنن الكونية، أو تفويض أمره إليها، بل عليه أن يعمل وأن يجد ويجتهد، وهو مؤمن بأن لله تعالى في خلقه سننا، ولكن الله تعالى يفعل ما يريد، فالتوازن بين الإيمان بقدرة المسبب والأخذ بالأسباب صفة من صفات المؤمنين الصادقين، وقد ذكر الغزالي - رحمه الله - لفتة جميلة في علم السنن، تنبه الإنسان إلى أهمية التوازن في الربط بين الأسباب والمسببات، وعدم الاتكال على أحدهما دون الآخر، مع الإيمان بقدرة الله تعالى المطلقة التي تتجاوز الأسباب، فقال: «فاعلم أن العلم لا يذم لعينه وإنما يذم في حق العباد لأحد أسباب ثلاثة... الثاني: أن يكون مضرا بصاحبه في غالب الأمر كعلم النجوم فإنه في نفسه غير مذموم لذاته إذ هو قسمان:

---

(١) رسائل الإمام حسن البنا، ص ١٣٦.

قسم حسابي وقد نطق القرآن بأن مسير الشمس والقمر محسوب إذ قال عز وجل ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥﴾، (سورة الرحمن، الآية: ٥)، وقال عز وجل: ﴿وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ۝٣٩﴾، (سورة يس، الآية: ٣٩)، والثاني: الأحكام وحاصله يرجع إلى الاستدلال على الحوادث بالأسباب وهو يضاهي استدلال الطبيب بالنبض على ما سيحدث من المرض وهو معرفة لمجاري سنة الله تعالى وعادته في خلقه ولكن قد ذمه الشرع... وإنما زجر عنه من ثلاثة أوجه أحدها أنه مضر بأكثر الخلق فإنه إذا أُلقى إليهم أن هذه الآثار تحدث عقيب سير الكواكب وقع في نفوسهم أن الكواكب هي المؤثرة وأنها الآلهة المدبرة لأنها جواهر شريفة سماوية ويعظم وقعها في القلوب فيبقى القلب ملتفتا إليها ويرى الخير والشر محذورا أو مرجوا من جهتها، وينمحي ذكر الله سبحانه عن القلب، فإنه الضعيف يقصر نظره على الوسائط، والعالم الراسخ هو الذي يطلع على أن الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره سبحانه وتعالى...، فهذا أحد أسباب النهي عن النجوم»[1].

●●●●●

(١) إحياء علوم الدين، لمحمد بن محمد الغزالي أبو حامد، ج ١، ص ٢٩-٣٠، الباب الثالث فيما يعده العامة من العلوم المحمودة وليس منها وفيه، دار المعرفة، بيروت.

المطلب الثاني

تعريف بالمصطلحات ذات الصلة بالبحث

تتصل بمصطلح التدافع مجموعة من المصطلحات، تعبر عن طبيعة التدافع بين الناس إيجابا كان التدافع أو سلبا، وفي كلا الاتجاهين الإيجابي والسلبي لا يمكن الحكم على واقع التدافع بالحسن أو بالقبح لمجرد كونه سلبيا أو إيجابيا، فلربما كان التدافع الإيجابي مذموما إذا كان ضد الحق والصواب، وفي الباطل وعلى الباطل، ولربما كان التدافع السلبي محمودا، إذا كان ضد الباطل، وفي الحق وعلى الحق، قال تعالى: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾، (الإسراء، ٨١).

وقد تحفظ بعض الباحثين من تقرير التفاعل السلبي بين القوى كصورة من صور التدافع، فاختار لذلك مصطلحات أخرى تكون بديلة عنه، قال عبد العزيز التويجري - حفظه الله -: «لعل أكثر التعابير والمصطلحات انتشارا وشيوعا في العقد الأخير من القرن العشرين: صراع الحضارات، ومقابله: حوار الحضارات، سواء أكان ذلك عل المستوى العام بالنشر في الصحف والمجلات وأجهزة الإعلام الأخرى من محطات إذاعية وتلفزيونية ومواقع متعددة على شبكة المعلومات العالمية الإنترنت، أم على المستوى الخاص بالبحث والدراسة والمناقشة في دوائر البحوث والدراسات ومساندة القرار، أو في الكليات والجامعات، أو في المنتديات الفكرية، أو في المحافل

السياسية والملتقيات الثقافية، أو في المؤتمرات المتخصصة وغير المتخصصة التي تعنى ببحث القضايا الدولية المطروحة على الساحة العالمية طوال هذه المرحلة التي كانت ولا تزال من المراحل الدقيقة والحاسمة في تاريخ البشرية، دون منازع...، التفاعل الحضاري هو البديل للصراع...»(١).

ومن أبرز المصطلحات ذات العلاقة والارتباط بالتدافع، ووفقا للرؤية العامة التي أسست لها في بيان مصطلح التدافع ودلالاته: التصارع، والتصادم، والتكامل والتتميم.

١- التصارع:

كلمة التصارع تدل على مواجهة بين طرفين يفني أحدهما الآخر ويلغيه، فقد جاء في لسان العرب: «الصرع: الطرح بالأرض وخصه في التهذيب بالإنسان صارعه فصرعه يصرعه صَرعا وصِرعا، الفتح لتميم، والكسر لقيس عن يعقوب، فهو مصروع وصريع، والجمع صرعى، والمصارعة و الصراع: معالجتهما أيهما يصرع صاحبه...»(٢).

فالتصارع فيه مواجهة بعيدة عن التفاعل الإيجابي الذي ينتج عن التأثر والتأثير، لأنه يطرح الآخر ويلغيه، مع أن من مدلولات التدافع إزالة الآخر، أو الهيمنة عليه، فالتصارع وارد في التدافع وهو يمثل حالة من حالاته.

---

(١) صراع الحضارات في المفهوم الإسلامي، ص ٩- ٢١، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

(٢) ج ٨، ص ١٩٧، مكتبة السيرة، برامج القمة، إحياء التراث، تسويق الخطيب.

٢- التصادم:

تشير كلمة التصادم إلى المواجهة والتزاحم والتضارب، فقد جاء في لسان العرب: «الصدم: ضرب الشيء الصلب بشيء مثله، وصدمه صدما ضربه بجسده، وصادمه فتصادما واصطدما، وصدمه يصدمه صدما، وصدمهم أمر أصابهم، والتصادم التزاحم»[١].

فالتصادم أيضا مواجهة وتزاحم وتضارب وهو أيضا يمثل حالة من حالات التدافع، إذ التدافع في بعض حالاته يكون متمما ومكملا لا متصادما، وفي أحيان أخرى يكون مواجها ومصادما مما يتطلب معه مزيد من القوة للثبات والاستمرار دون المواجهة له.

٣- التكامل والتتميم:

تشير كلمة التكامل إلى تمام الأجزاء المكملة للشيء، فقد جاء في لسان العرب: «الكمال: التمام وقيل: التمام الذي تجزأ منه أجزاؤه...، وتكامل الشيء وأكملته أنا، وأكملت الشيء أي: أجملته وأتممته، وأكمله هو واستكمله وكمله أتمه...، وكمل لنا ما نريد بأن كفينا من كنا نخافه... والتكميل والإكمال: التمام، واستكمله: استتمه...»[٢].

وجاء في مختار الصحاح: «الكمال التمام...، والتكميل والإكمال: الإتمام واستكمله استتمه»[٣].

وعن جَابِرِ بن عبد اللّٰهِ رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**مَثَلِي وَمَثَلُ الأَنْبِيَاءِ كَرَجُلٍ بَنَى دَارًا فَأَكْمَلَهَا وَأَحْسَنَهَا**

(١) ج ١٢، ص ٣٣٤.

(٢) ج ١١، ص ٥٩٨.

(٣) ج ١، ص ٢٤١، مكتبة السيرة، برامج القمة، إحياء التراث، تسويق الخطيب.

إلا مَوْضِعَ لَبِنَة فَجَعَلَ الناس يَدْخُلُونَهَا وَيَتَعَجَّبُونَ وَيَقُولُونَ لَوْلا مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ»[1]، وفي رواية أخرى: «**فَأَنَا اللَّبِنَةُ وأنا خَاتمُ النَّبِيِّينَ**»[2].

فالتكامل يجمع بين الأجزاء ويتممها ويُجَمِّلها، وهو صورة من صور التدافع، وحالة من حالاته، لأن من حالات التدافع أيضا إزالة المعوقات والمتناقضات التي تعترض الكمال في الأمر المدافع له وعنه، حتى يصل إلى غايته ومنتهاه.

وأما كلمة التتميم فتشير أيضا إلى إكمال الشيء والوصول به إلى غايته، فقد جاء في لسان العرب: «تمام الشيء و تمامته و تتمته ما تم به... وأتم الشيء وتم به يتم جعله تاما...، وتتمة كل شيء: ما يكون تمام غايته...، و تم على الشيء أكمله...»[3].

قال تعالى: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾﴾، (سورة البقرة، الآية: ١٥٠) جاء في التفسير الكبير: «أما قوله: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾﴾، (سورة البقرة، الآية: ١٥١)، ففيه مسائل، المسألة الأولى: هذا الكاف إما أن يتعلق بما قبله أو بما بعده، فإن قلنا إنه متعلق بما قبله ففيه وجوه، الأول: أنه راجع إلى قوله: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ ...﴾، (سورة البقرة، الآية: ١٥٠)، أي: ولأتم نعمتي عليكم في الدنيا

---

(١) الجامع الصحيح المختصر، لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، باب خاتم النبيين صلى الله عليه وعلى آله وسلم، حديث رقم ٣٣٤١، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، الطبعة: الثالثة.

(٢) صحيح البخاري، باب خاتم النبيين صلى الله عليه وعلى آله وسلم، حديث رقم ٣٣٤٢.

(٣) ج ١٢، ص ٦٧- ٦٩، مكتبة السيرة، برامج القمة، إحياء التراث، تسويق الخطيب.

بحصول الشرف، وفي الآخرة بالفوز بالثواب كما أتممتها عليكم في الدنيا بإرسال الرسول، الثاني: أن إبراهيم عليه السلام قال: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾، (سورة البقرة، الآية ١٢٩)، وقال أيضا: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾، (سورة البقرة، الآية: ١٢٨)، فكأنه تعالى قال: ولأتم نعمتي عليكم ببيان الشرائع وأهديكم إلى الدين إجابة لدعوة إبراهيم كما أرسلنا فيكم رسولاً إجابة لدعوته)(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «**بعثت لأتمم صالح الأخلاق**»(٢)، وجاء في شرح الزرقاني: «قال الباجي: كانت العرب أحسن الناس أخلاقا بما بقي عندهم من شريعة إبراهيم، وكانوا ضلوا بالكفر عن كثير منها فبعث ليتمم محاسن الأخلاق ببيان ما ضلوا عنه وبما خص به في شرعه، قال ابن عبد البر: ويدخل فيه الصلاح والخير كله والدين والفضل والمروءة والإحسان والعدل فبذلك بعث ليتممه»(٣).

فالتتميم الوصول إلى الكمال والتمام وهو من حالات التدافع التي تصل بالأمر إلى غاياته.

---

(١) التفسير الكبير، ج ٤، ص ١٢٩.

(٢) مسند الإمام أحمد، باب مسند أبي هريرة رضي الله عنه، حديث رقم ٨٩٣٩، قال عنه الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح، مجمع الزوائد، ومنبع الفوائد، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢ هـ.

(٣) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، لمحمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني، ج ٤، ص ٣٢١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ، الطبعة: الأولى.

المطلب الثالث

تعريف ببعض السنن الكونية

ذات العلاقة بسنة التدافع

تمثل السنن الكونية التي وضعها الله تعالى في خلقه منظومة متكاملة ومترابطة، يؤثر بعضها في بعض، ويعزز بعضها بعضا، فلا يمكن تصور وفهم سنة من هذه السنن بصورة مجردة عن معرفة بعض الروابط لها بالسنن الأخرى ذات الصلة، وقد نص الشارع على كثير من هذه السنن، وأثبت القرآن الكريم صورا وقصصا تؤكدها وتجعل منها حقيقة وواقعا، وسنة التدافع بين الناس التي نص الشارع عليها ترتبط ارتباطا وثيقا تتباين مقاديره بسنن كونية أخرى، ولمناسبة الحديث فإنه يحسن الإشارة إلى بعض هذه السنن الكونية التي ترتبط بسنة التدافع ارتباطا وثيقا، ومنها: «سنة التداول، وسنة التغيير، وسنة الإفناء والإزالة، وسنة العقاب على الطغيان، وسنة الاستبدال، وسنة التعدد والتنوع، وسنة الابتلاء والامتحان، وسنة التفاضل والتمايز».

إلى غير ذلك من سنن يستنبطها العلماء والمفكرون من خلال الآيات المسطورة، والآيات المنظورة...

١ - سنة التداول:

التداول هو تناقل الشيء بين أطراف متعددة، أو تنوع الحال وتعددها بالنسبة لطرف من الأطراف، وهو قانون من القوانين التي سنها الله تعالى في خلقه.

فقد جاء في لسان العرب: «دواليك: من تداولوا الأمر بينهم يأخذ هذا دولة وهذا دولة، وقولهم دواليك: أي تداولا بعد تداول...»[1].

وجاء في الصحاح: «د و ل: الدَوْلَةُ في الحرب: أن تُدالَ إحدى الفئتين على الأخرى. يقال: كانت لنا عليهم الدَوْلَةُ. والجمع الدِوَلُ. والدُولَةُ بالضم، في المال. يقال: صار الفَيْءُ دُولَةً بينهم يَتَداوَلونَهُ، يكون مرّةً لهذا ومرَّةً لهذا، والجمع دُولاتٌ ودُوَلٌ. وقال أبو عبيد: الدولَةُ بالضم: اسمُ الشيء الذي يُتَداوَلُ به بعينه. والدَوْلَةُ بالفتح: الفعل. وقال بعضهم: الدُولَةُ والدَوْلَةُ لغتان بمعنىً. وأَدالَنا الله من عدوّنا من الدَوْلَة. والإدالَةُ: الغلبةُ. يقال: اللهم أَدِلْني على فلان وانصرني عليه. ودالَت الأيّامُ، أي دارت. والله يُداوِلُها بين الناس. وتَداوَلَتْهُ الأيدي، أي أخذَتْهُ هذه مرّةً وهذه مرَةً. وقولهم: دَوالَيْكَ، أي تَداوُلٌ بعد تَداوُلٍ،»[2].

قال سبحانه وتعالى: ﴿... وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ...﴾، (سورة آل عمران، الآية: ١٤٠)، جاء في التفسير الكبير للرازي – رحمه الله –: «المسألة الثانية قال القفال: المداولة نقل الشيء من واحد إلى آخر، يقال: تداولته الأيدي إذا تناقلته، ومنه قوله تعالى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾ (سورة الحشر، الآية: ٧): أي تتداولونها ولا تجعلون للفقراء منها نصيباً، ويقال: الدنيا دول: أي تنتقل من قوم إلى آخرين، ثم عنهم إلى غيرهم، ويقال: دال له الدهر بكذا، إذا انتقل إليه، والمعنى: أن أيام الدنيا هي دول بين الناس، لا يدوم مسارُّها ولا مضارُّها، فيوم يحصل فيه السرور له والغم لعدوه، ويوم آخر

---

(١) لسان العرب، ج ١١، ص ٢٥٣، الجامع.

(٢) الصحاح في اللغة، للجوهري، ج ١ ص ٢١٨.

بالعكس من ذلك، ولا يبقى شيء من أحوالها ولا يستقر أثر من آثارها، واعلم أنه ليس المراد من هذه المداولة أن الله تعالى تارة ينصر المؤمنين وأخرى ينصر الكافرين، وذلك لأن نصرة الله منصب شريف وإعزاز عظيم فلا يليق بالكافر، بل المراد من هذه المداولة: أنه تارة يشدد المحنة على الكفار وأخرى على المؤمنين»[1].

وجاء في تفسير القرطبي: «﴿...وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ...﴾، (سورة آل عمران، الآية: ١٤٠): قيل هذا في الحرب تكون مرة للمؤمنين لينصر الله عز وجل دينه، ومرة للكافرين إذا عصى المؤمنون ليبتليهم ويمحص ذنوبهم، فأما إذا لم يعصوا فإن حزب الله هم الغالبون، وقيل: نداولها بين الناس من فرح وغم وصحة وسقم وغنى وفقر والدولة الكرة»[2].

فمن سنة الله تعالى في خلقه أن لا تدوم لهم في هذه الدنيا حال من الأحوال، وتبرز هذه السنة من خلال سنة التدافع بين القوى المختلفة، لأن فاعلية سنة التدافع بين الناس تؤكد أن القوة والغلبة لا تدوم لطرف دون آخر، بل يبقى التداول قائما بين القوى المتنوعة، لتتسابق أطراف التدافع، وتتنافس في تحقيق الغلبة والنصرة والتمكين، وبهذا تكون سنة التداول مظهرا وثمرة من ثمرات سنة التدافع بين الناس.

٢ - سنة التغيير:

التغيير هو تبديل الحال من وضع إلى وضع آخر، فقد جاء في لسان

---

(١) التفسير الكبير، ج ٩، ص ١٣.

(٢) ج ٤، ص ٢١٨.

العرب: «تغيَّر الشيءُ عن حاله تحوّل وغَيَّرَه حَوَّله وبدّله كأَنه جعله غير ما كان...»[1].

وقد جعل الله تعالى التغيير والتبديل في الأحوال الإنسانية سنة من سننه في خلقه، قال جل شأنه: ﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ ﴾، (سورة الروم، الآية: ٥٤)، وربط سبحانه وتعالى بين الحال العام والخاص، فإن الحال العام يتغير بتغير الحال الخاص، قال سبحانه: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ ﴾، (سورة الرعد، الآية: ١١)، جاء في تفسير أبي السعود: «﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾: من النعمة والعافية، ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾: من الأعمال الصالحة أو ملكاتها التي هي فطرة الله التي فطر الناس عليها إلى أضدادها»[2].

وباعتبار سنة التدافع تفاعل بين الأطراف المتعددة، فإن من شأنها أن تغير موازين القوى في الخلق، وباعتبار الإنسان عنصرا من عناصر تفاعل سنة التدافع فهو مطالب بالتغيير والتبديل نحو الأفضل ليحقق النجاح في عملية تدافعه، وهو أيضا مُحَذَّر من الركون والكسل، والجمود والجبن، لأن ذلك أيضا سيغيره إلى الأضعف والأسوأ، وهكذا...، فسنة التغيير تعتبر شكلا من أشكال التدافع وأثرا من آثاره.

(١) ج ٥، ص ٣٤.

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج ٥، ص ٩، الجامع.

٣ - سنة الإفناء والإزالة:

مادة فني كما تشير كتب اللغة تدل على الانتهاء والزوال، فقد جاء في تاج العروس: «فَنِيَ الشَّيءُ، كرَضِيَ، هذه هي اللُّغَةُ المَشْهورَةُ...، وفي المُحْكم: الفَناءُ ضِدُّ البَقاءِ، وقالَ أبو علي القالِي: الفَناءُ نَفادُ الشيءِ، قالَ نابِغَةُ بَني شَيْبانَ:

سَتَبْقَى الرَّاسِياتُ وكلُّ نَفْسٍ

ومالٌ سَوْفَ يَبْلغه الفَناءُ

وقالَ الآخَرُ:

كَتَبَ الفَناءَ على الخَلائِقِ رَبُّنا

وهو المَليكُ ومُلْكُه لا يَنْفدُ»[1]

وكذلك مادة الزوال تشير إلى الانتهاء والفناء، فقد جاء في لسان العرب: «زول، الزوال: الذهاب والاستحالة والاضمحلال، زال يزول زوالا زويلا زؤولا ...، زالَ الشيء عن مكانه يزول زوالا: أزاله غيره...»[2].

وقد ذكر الله تعالى هذه السنة الكونية في كتابه العزيز فقال: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾﴾، (سورة الرحمن، الآية: ٢٦)، وقال أيضا: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾، (سورة الأنبياء، الآية: ٣٤)، كما أكد سبحانه وتعالى على فناء الأمم وهلاكها، فقال جل شأنه: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ

(١) تاج العروس، ج ٣٩، ص ٢٥٥- ٢٥٦.

(٢) لسان العرب، ج ١١، ص ٣١٣.

﴿أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾، (سورة الأعراف، الآية: ٣٤)، وقال أيضا: ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٥﴾﴾ (سورة الحجر، الآيتان: ٤- ٥).

جاء في التفسير الكبير: «قوله: ﴿مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٥﴾﴾ (سورة الحجر، الآية: ٥) فيحتمل في هذا الأجل أن يكون المراد آجال حياتها وتكليفها، ويحتمل آجال موتها وهلاكها، وإن كان الأظهر في الأجل إذا أطلق أن يراد به وقت الموت، فبين أن كل أمة لها آجال مكتوبة في الحياة والموت لا يتقدم ولا يتأخر منبهاً بذلك على أنه عالم بالأشياء قبل كونها فلا توجد إلا على وفق العلم»[1].

ومع الاعتقاد بأن الموت أمر من شأن الخالق جل وعلا، فإن أسباب الفناء و الزوال متعددة، ومنها ما يكون متصلا بالإنسان، وباعتبار التصادم والتصارع من صور التدافع السلبي، فإن الفناء والزوال يمكن أن يكون نتيجة لهذه الصورة من صور التدافع بين الناس، أفرادا كانوا أو أمما، وذلك بانتهاء حياة الأفراد، وزوال ذكر الأمم والجماعات.

٤ - سنة العقاب على الطغيان:

الطغيان هو تجاوز الحد، فقد جاء في مختار الصحاح: «طغا يطغى بفتح الغين فيهما ويطغو طغيانا و طغوانا أي جاوز الحد وكل مجاوز حده في العصيان طاغ»[2].

---

(١) التفسير الكبير، ج ٢٣، ص ٨٧.

(٢) ج ١، ص ١٦٥، الجامع.

وقد ربط الله تعالى بين طغيان الإنسان والأمم وهلاكها، فجعل الطغيان سببا لوقوع الهلاك، فقال جل شأنه: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾، (سورة الكهف، الآية: ٥٩)، جاء في تفسير الطبري: "يقول تعالى ذكره: وتلك القرى من عاد وثمود وأصحاب الأيكة أهلكنا أهلها لما ظلموا فكفروا بالله وآياته وجعلنا لمهلكهم موعدا، يعني: ميقاتا وأجلا حين بَلَغوه جاءهم عذاب فأهلكناهم به، يقول فكذلك جعلنا لهؤلاء المشركين من قومك يا محمد الذين لا يؤمنون بك أبدا موعدا إذا جاءهم ذلك الموعد أهلكناهم سنتنا في الذين خلوا من قبلهم من ضربائهم"[1].

وقال سبحانه: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾، (سورة النحل، الآية: ١١٢).

وعن أبي مُوسَى رضي الله عنه قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِم حتى إذا أَخَذَهُ لم يُفْلِتْهُ»، قال: ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾[2].

وباعتبار الإنسان عنصرا من عناصر التدافع، فإن السنن المتعلقة بحياته وسلوكه تؤثر في صور تفاعل سنة التدافع، وعليه فإن الإنسان

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، ج ١٥، ص ٢٧٠، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.

(٢) صحيح البخاري، باب قوله: (وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إذا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ)، (سورة هود، الآية: ١٠٢)، حديث رقم ٤٤٠٩.

مطالب بالوعي بكل ما يؤثر فيه سلبا أو إيجابا، كي يكون مؤهلا مهيّأً للقيام بدوره ومسؤولياته، وباستقراء دورة الحضارات الإنسانية تاريخيا، نستطيع تبين معالم الطغيان في عملية التدافع وما يؤدي إليه من نهايات ونتائج سلبية تؤخر الطغاة عن مراتب السبق في ميدان التدافع.

٥ - سنة الاستبدال:

الإبدال هو تغيير الشيء أو وضع شيء مكان غيره، جاء في لسان العرب: «تبدل الشيء وتبدل به واستبدله واستبدل به كله: اتخذ منه بدلا، ...وتبديل الشيء: تغييره وإن لم تأت ببدل، واستبدل الشيء بغيره وتبدله به: إذا أخذه مكانه، والمبادلة التبادل، والأصل في التبديل تغيير الشيء عن حاله، والأصل في الإبدال جعل شيء مكان شيء آخر»[1].

ومن سنة الله تعالى في خلقه أن يستبدل قوما مكان قوم إذا ما تخلوا عن حمل الأمانة المنوطة بهم، قال تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾، (سورة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، الآية: ٣٨)، جاء في تفسير الطبري: «يقول تعالى ذكره: وإن تتولوا أيها الناس عن هذا الدين الذي جاءكم به محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم فترتدوا راجعين عنه، ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾، يقول: يهلككم ثم يجيء بقوم آخرين غيركم بدلا منكم يصدقون به ويعملون بشرائعه، ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾، يقول: ثم لا يبخلوا بما أمروا به من النفقة في

(١) ج ١١ ص ٤٨، مادة بدل - بدل

سبيل الله ولا يضيعون شيئا من حدود دينهم ولكنهم يقومون بذلك كله على ما يؤمرون به»[1].

وقال جل وعلا: ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾﴾، (سورة الإنسان، الآية: ٢٨)، ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾، (سورة يونس، الآية: ٢٤)، وعن أَنَسِ بن مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «**والذي نفسي بيده أو قال والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيده لو أَخْطَأْتُمْ حتى تَمْلأَ خَطَايَاكُمْ ما بين السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتُمُ اللَّهَ عز وجل لَغَفَرَ لَكُمْ والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيده أو والذي نفسي بيده لو لم تُخْطِؤُوا لَجَاءَ الله عز وجل بِقَوْمٍ يُخْطِؤُونَ ثُمَّ يَسْتَغْفِرُونَ الله فَيَغْفِرُ لهم**»[2].

وهذه السنة تؤكد حقيقة سنة التدافع، بإزالة الجامد والخامل، واستبداله بالنشط المتحرك، فهي وإن ذكرت في النصوص الشرعية في سياق الخير وأهله، فإن ذلك شأن جميع القوى الأخرى التي تواجه

---

(١) تفسير الطبري، ج ٢٦، ص ٦٦.

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، حديث رقم ١٣٥١٨، مؤسسة قرطبة، مصر، قال الهيثمي: رجاله ثقات، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لعلي بن أبي بكر الهيثمي، باب منه في سعة رحمة الله ومغفرته للذنوب وقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (لو لم تذنبوا لذهب الله بكم...)، ج ١٠، ص ٢١٥، دار الريان للتراث، ودار الكتاب العربي، القاهرة، بيروت، ١٤٠٧هـ.

الحق والخير، مما يؤكد أثر سنة التدافع في تحقيق التوازن بين الطاقات البشرية، واستمرار الحياة النشطة في الكون، فسنة التدافع هي آلية من آليات تحقق سنة الاستبدال.

٦- سنة التعدد والتنوع:

التعدد والتنوع في أمر ما يعني: وجود أشياء متنوعة، يجمعها قالب واحد أو إطار واحد، جاء في كتاب التعريفات:«العدد: هي الكمية المتألفة من الوحدات»[١]، كما جاء في كشاف اصطلاحات الفنون تعريف التعديد عند أهل البديع بأنه:«إيقاع أسماء مفردة على سياق واحد»[٢].

ومن متطلبات التدافع وجود سنة التعدد والتنوع التي تفتح المجال أمام التدافع في أطره المتنوعة ومجالاته المتعددة، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى سنة التعدد والتنوع في كتابه الكريم، في مواضع كثيرة منها:
قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾، (سورة الروم، الآية: ٢٢)، وقوله أيضاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾، (سورة الحجرات، الآية ١٣)، وقوله أيضاً: ﴿... لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ ﴾، (سورة المائدة، الآية: ٤٨)، وإذا تأملنا هذه الآيات الكريمة؛ وجدنا أن الله سبحانه وتعالى قد جعل

---

(١) التعريفات، للشريف علي بن محمد الجرجاني، مادة: عدد، ص ١٤٨، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون، للقاضي محمد أعلى التهانوي، نشر سهيل أكاديمي لاهور، باكستان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، مادة التعديد، ج ٢، ص ٩٥٢.

سنة التنوع والتعدد في كل أمر من أمور الحياة، في السماوات والأراضين، والليل والنهار، والأفلاك والبحار، والإنس والجن، والحيوان والجماد، والألسن والشرائع.. إلخ.

كما قال سبحانه: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾، (سورة هود عليه السلام، الآيتان: ١١٨-١١٩). جاء في تفسير السمعاني: «وقوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾: المراد منه أهل الباطل كاليهود والنصارى والمجوس وأهل الشرك وكذلك من خالف السنة من أهل القبلة، وقوله: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾: أي لكن من رحم ربك وهم أهل الحق لا يختلفون، وقوله: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾: فيه أقوال أحدها: ما روي عن مجاهد أنه قال: وللرحمة خلقهم وهو مروي عن ابن عباس وقال الحسن البصري: وللاختلاف خلقهم وهو أيضا مروي عن ابن عباس وعن الحسن البصري في رواية أخرى: خلق أهل الجنة للجنة وخلق أهل النار للنار وخلق أهل الشقاء للشقاء وخلق أهل السعادة للسعادة»[1].

فسنة التنوع والتعدد من الضروريات التي تقوم عليها سنة التدافع بين الناس، لأن التدافع يتطلب وجود قوى متعددة ومتنوعة تحركه، سواء منها قوى الخير والصلاح، أو قوى الشر والفساد، وسواء منها المتوافق

(١) تفسير القرآن، لأبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، ج ٢، ص ٤٦٨، دار الوطن، الرياض، السعودية، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م، الطبعة: الأولى.

الذي يشكل كتلة مجتمعة من القوة، أو المتنافر الذي يشكل كتلة مستقلة من القوى، فسنة التعدد والتنوع تفتح المجال أمام التدافع في أطره المتنوعة ومجالاته المتعددة في أوسع صوره وأشكاله.

٧- سنة الابتلاء والامتحان:

جاء في لسان العرب: «بلا: بلوت الرجل بلوا وبلاء وابتليته اختبرته وبلاه يبلوه بلوا إذا جربه واختبره، والاسم البلوى والبلوة والبِلية والبَليّة والبَلاء وبلي بالشيء بلاء وابتلي والبلاء يكون في الخير والشر... والجمع البلايا... والبلاء الاختبار يكون بالخير والشر... قال القتيبي يقال من الخير أبليته إبلاء ومن الشر بلوته أبلوه بلاء، قال والمعروف أن الابتلاء يكون في الخير والشر معا من غير فرق بين فعليهما»[1].

قال سبحانه وتعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾، (سورة البقرة، الآية: ٢١٤)، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾، (سورة الأنبياء، الآية: ٣٥)، جاء في التفسير الكبير للرازي – رحمه الله –: «أما قوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾، ففيه مسائل: المسألة الأولى: الابتلاء لا يتحقق إلا مع التكليف، فالآية دالة على حصول التكليف، وتدل على أنه سبحانه وتعالى لم يقتصر بالمكلف على ما أمر ونهى وإن كان فيه صعوبة بل ابتلاه بأمرين أحدهما: ما سماه خيراً وهو نعم الدنيا من الصحة واللذة والسرور والتمكين من المرادات، والثاني: ما

(١) لسان العرب، ج ١٤، ص ٨٣- ٨٤.

سماه شراً وهو المضار الدنيوية من الفقر والآلام وسائر الشدائد النازلة بالمكلفين فبين تعالى أن العبد مع التكليف يتردد بين هاتين الحالتين لكي يشكر على المنح ويصبر في المحن فيعظم ثوابه إذا قام بما يلزم)[1].

وقال تعالى: ﴿..وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾، (سورة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، الآية: ٤)، جاء في تفسير النسفي: «﴿لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾: أي المؤمنين بالكافرين تمحيصا للمؤمنين وتمحيقا للكافرين»[2].

وعن مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: «**الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلاؤُهُ وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**»[3].

ومن أسباب هذا الابتلاء ما ينتج عن تفاعل القوى المختلفة والمحركة لسنة التدافع بين الناس عند قيامها بأداء أدوارها التفاعلية، سلبا أو إيجابا، فما دام التدافع قائما، فإن الابتلاء سيبقى قائما أيضا، لأن من سنة الله تعالى أن يبتلي بعض خلقه ببعضهم بالخير وبالشر، وهكذا...

٨- سنة التفاضل والتمايز:

جاء في لسان العرب: «فضل: الفضل والفضيلة معروف ضد النقص

---

(١) التفسير الكبير، ج ٢٢، ص ١٤٦.

(٢) تفسير النسفي، للنسفي، ج ٤، ص ١٤٦.

(٣) سنن الترمذي، باب ما جاء في الصبر على البلاء، حديث رقم ٢٣٢٢، وقال عنه: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

والنقيصة والجمع فضول... والفضيلة الدرجة الرفيعة في الفضل... والتفاضل التَّمازِي في الفضل وفضله مَزَّاه والتفاضل بين القوم أن يكون بعضهم أفضل من بعض»[1].

وجاء في المعجم الوسيط: «تفاضل القوم: تنافسوا في الفضل وادعى كل فريق الفضل على الآخر»[2].

وقد خص الله تعالى بعض الخلق بالفضل دون غيرهم، ففضل بعض الناس على بعضهم، وبعض الأماكن على غيرها، وبعض الأزمنة على غيرها، قال جل شأنه: ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ...﴾، (سورة البقرة، الآية: ٢٥٣)، ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾﴾، (سورة النحل، الآية: ٧١)، ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾، (سورة الزخرف، الآية: ٣٢).

وهذا التفاضل يفتح المجال أمام آليات التدافع وأساليبه، بحيث يسخر الله تعالى بعض الناس لبعض، ويدفع بعضهم ببعض، جاء في تفسير القرطبي: «﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾: أي فاضلنا بينهم فمن فاضل ومفضول ورئيس ومرؤوس، قاله مقاتل، وقيل بالحرية والرق فبعضهم مالك وبعضهم مملوك، وقيل بالغني والفقر فبعضهم

---

(١) لسان العرب، ج ١١، ص ٥٢٤، مادة فضل.

(٢) المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية، تحقيق: إبراهيم مصطفى، و أحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، ج ٢، ص ٦٩٣، مادة فضل، دار الدعوة.

غني وبعضهم فقير وقيل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ﴾: قال السدي وابن زيد خولا وخداما يسخر الأغنياءُ الفقراءَ فيكون به بعضهم سببا لمعاش بعض، وقال قتادة والضحاك يعني ليملك بعضهم بعضا»[1].

وقد تحدث الدكتور محمد عمارة - حفظه الله - عن الصفات التي يمكن أن يكون فيها التفاضل والتمايز المعتبر، فقال: «أما الصفات التي يتم فيها وبها التفاضل بين الناس، فهي الصفات المكتسبة، التي يخضع اكتسابها والتفاوت في درجاتها للإرادات والطموحات والقدرات والمهارات، وذلك من مثل الإيمان والتقوى ومحاسن الأخلاق، والبراعة في العلوم والفنون والآداب، وفي المهارات التي تضع العلوم والفنون في الممارسات والتطبيقات... فهذه الصفات المكتسبة يتمايز الناس أفرادا وجماعا ويتفاضلون ويتسابقون على درجات السلم الخيرية، لأن اكتساب هذه الصفات والتسابق في ميادينها هو مما يستطيعه الكافة، بحسب ما لديهم من عزائم وإرادات وقدرات ومهارات، وبقدر ما يبذلون في ذلك من مجهودات وتضحيات...»[2].

ومن هنا نتبين دور سنة التفاضل في تصوير التنوع والتعدد وتفعيل الحراك التدافعي بين الأفراد والجماعات والأمم، وتوجيه كل طرف من أطراف قوى التدافع ليسير في إطاره المناسب له، وتحقيق التوازن في تدافع الأطراف المختلفة في الأطر المتنوعة لمنازل ورتب التفاضل بين الناس.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، ج ١٦، ص ٨٣.

(٢) احترام المقدسات، خيرية الأمة، عوامل تفوق الإسلام، للدكتور محمد عمارة، ص ٤١، سلسلة هذا هو الإسلام، رقم ٣، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

وبهذا يتضح بأن السنن الكونية التي ذرأها الله تعالى في كونه تمثل منظومة متكاملة ومتوافقة يرتبط بعضها ببعض، ويؤثر بعضها في بعض، ولا يمكن الاستقلال بعرض سنة كونية خاصة مجتزأة عن تعلقاتها بأخواتها من السنن، لما يؤدي إليه ذلك من قصور وتشويه لحقيقة السنة ودورها في الحياة.

●●●●●

المبحث الثاني
مجالات التدافع ومظاهره

التدافع الديني.

التدافع الفكري.

التدافع القومي والعنصري.

التدافع السياسي.

التدافع الاقتصادي.

التدافع العلمي.

التدافع الإعلامي.

التدافع الصناعي والتقني.

التدافع العسكري.

المبحث الثاني

مجالات التدافع ومظاهره

سبق تعريف سنة التدافع بأنها: قانون كوني رباني يصور العلاقة بين الأطراف المتنوعة، ويحقق التوازن بينها أولا، وينتهي بظهور بعضها على بعض آخرا.

فبقدر ما يحسن الإنسان التفاعل مع سنة التدافع، ويسير فيها على بصيرة من أمره، بفهم آلياتها، وامتلاك أسباب القوة فيها على تنوع مجالاتها وأنواعها، وحسن استثمارها وتوجيهها، بقدر ما يتحقق له الدفع نحو التقدم، حتى الظهور على الآخر والتفوق عليه، وذلك في مجالات الحياة المختلفة، لأن الإنسان هو خليفة الله في هذه الأرض، قال جل شأنه: ﴿قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴿١٢٩﴾﴾، (سورة الأعراف، الآية: ١٢٩)، جاء في تفسير أبي السعود: «والمراد بالخلافة: إما الخلافة من جهته سبحانه في إجراء أحكامه وتنفيذ أوامره بين الناس وسياسة الخلق، لكن لا لحاجة به تعالى إلى ذلك، بل لقصور استعداد المستخلف عليهم، وعدم لياقتهم لقبول الفيض بالذات...، وإما الخلافة ممن كان في الأرض قبل ذلك...»[1].

ومن هنا كان الإنسان هو المكلف بوعي هذه السنة الكونية، وبتفاعلاته ترتبط مظاهرها، وقد ذكر الأصفهاني -رحمه الله- مجالات عمل

---

(١) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج ١، ص ٨١- ٨٢.

الإنسان في هذه الدنيا، فقال: «فالفعل المختص بالإنسان ثلاثة: عمارة الأرض المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾، (سورة هود، الآية: ٦١)، وذلك تحصيل ما به تزجية[1] المعاش لنفسه وغيره، وعبادته المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾، (سورة الذاريات، الآية: ٥٦)، وذلك هو الامتثال للباري تعالى في عبادته في أوامره ونواهيه، وخلافته المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾﴾، (سورة الأعراف، الآية: ١٢٩)، وغيرها من الآيات»[2].

وباعتبار أن تفاعلات الإنسان باختياره المنهج الذي يسير عليه، وتدينه به، وتصرفه مع الكون والحياة، يشكل الحضارة الإنسانية، فقد رأيت الدخول إلى مجالات التدافع من خلال المدخل الحضاري للأمم والشعوب.

- **مفهوم الحضارة:** تنوعت المفاهيم نحو الحضارة وأبعادها الثقافية والمدنية، وتعددت الحضارات الإنسانية العالمية في مظاهرها وأشكالها، لتأثرها بأصول ومعطيات دينية أو فلسفية خاصةٍ بأصحابها.

فمن التأثير الديني في تعريف الحضارة ما توجه إليه بعض المفرقين لمضامينها بين المدنية والثقافة، باعتبار الجانب المادي والروحي، وفصل الدين عن الدنيا، لما عرض للفاعلية الحضارية في بعض مراحلها وصورها لدى بعض الأمم من عوارض الجمود والتخلف لعدم الانسجام بين الدين والدنيا، أو لخلل في التطبيقات السليمة لهذا التمازج بينهما.

---

(١) زجى الشيء تزجية: دفعه برفق، الرازي، مختار الصحاح، ج ١، ص ١١٣.

(٢) أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م) ص ٣١- ٣٢.

ومن التأثير الفلسفي[1] في مفهوم الحضارة، ما نحى ببعضهم إلى تفسير الفلسفة الحضارية من منطلق الكون والطبيعة، والغوص في ماهياتها وتجاوز حدود العقل والقدرات البشرية نحوها، وتذويب القوى الإنسانية في ما لا طاقة لها به، حتى وصل الأمر إلى تفسيرات خرافية للكون والطبيعة وتأليه لبعض المخلوقات الكونية، ضلت بالإنسان وخرجت به عن تحقيق رسالته في الكون والحياة، وجعلت من الناس فرقاء كل بما لديهم فرحون، فكانت الحضارة لديهم هي أقصى ما وصلوا إليه في فهم الطبيعة والكون.

وفي مقابل هؤلاء توجه أقوام في فلسفتهم الحضارية نحو الإنسان باعتباره الأداة الفاعلة والعاقلة، فأطلقوا للإنسان العنان، وجعلوا من الكون والطبيعة مسرحا لتحقيق مراداته، ليجعل من فهمه للحياة فنونا ومعارف يستفيد منها البشر، فبرزت معالم الحضارة لديهم في التفاعلات المتنوعة للإنسان، بنسبياتها المختلفة باختلاف النظريات البشرية، باعتبار الإنسان الأصل والمرجع المطلق، ومن هنا برزت النظريات النسبية في الأخلاق والقيم، لأن الإنسان متعدد في مصالحه، متنوع في طبائعه، فبرزت التعدديات والتنوعات بصورة متنافرة ومتفرقة، لا جامع لها، ولا مرتكز تدور حوله.

ثم جاءت النظرية الفلسفية الإسلامية[2] لتحقق النموذج المثالي لانسجام الدين مع الدنيا، والتدين مع العمارة، ولتتوازن بين الإنسان

(١) انظر كتاب قراءات في فلسفة التنوع، لفتحي التريكي، ص ٢٣- ٤٠، الدار العربية للكتاب، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.

(٢) انظر كتاب من روائع حضارتنا، لمصطفى السباعي، دار السلام، الطبعة الألى، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م، القاهرة.

وبين الطبيعة، وتضع المنهج الضابط والموجه لما فيه مصلحة الإنسان وتحدد إطار تفاعله مع الكون والحياة، حيث كشف الوحي عن المغيبات التي لا يطيق الإنسان الوصول إليها بعقله نحو ماهيات الطبيعة وأصلها، وضبطت قدرات الإنسان بمعايير ثابتة وقيم عامة تضمن حقه وحق غيره، وتحقق الصلاح الفردي والجماعي للإنسان، فلا تذيبه في مهاوي الخرافات والأساطير، ولا تضيع حقوقه، ولا تجعله إلها يطغى وتعفيه من واجباته، بل تجعل منه خليفة في هذه الأرض، يعمرها وفقا للمنهج الذي رسمه له الدين، باعتباره منهجا وسطيا للحياة، وبهذا انسجمت التعدديات والتنوعات والمخرجات الإنسانية والحضارية في مرتكز واحد، وأصل محدد ثابت يمثل إطارا جامعا لها.

ومن الطبيعي ونحن بصدد تعريف الحضارة ومفهوم مصطلحها أن نؤسس بهذا لتنوع مظاهر الحضارة أيضا، حيث كان لكل صنف مما سبق مشهد حاضر عن تفاعلاته في الحياة، وتفاعلاته التدافعية بين منافسيه في الحضارات الإنسانية الأخرى.

فالحضارة هي عبارة عن الصورة الحاضرة عن أمة من الأمم فيما قدمته للإنسانية من منتجات تفاعل أفرادها في مجالات الحياة جميعها، وقد اخترت هذا التعريف للحضارة لما رأيت من تناسبه مع دلالات اللغة من جهة، وانسجامه مع المضامين المتعددة لمفهوم الحضارة في المصطلحات العلمية القديمة والحديثة من جهة أخرى، وهو التعريف الذي يتناسب مع طبيعة العصر وانفتاحه أيضا، جاء في لسان العرب: «حضر، الحضور: نقيض المغيب والغيبة، حضر يحضر حضورا وحضارة»[1]، وجاء في المعجم

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج ٤، مادة حضر، ص ١٩٦.

الوسيط: «حضر فلان حضارة أقام في الحضر، والغائب حضورا قدم، و الشيء والأمر جاء...»[1].

وأشار الأستاذ محمد المبارك -رحمه الله- إلى استيعاب مصطلح الحضارة لهذه المضامين حيث عرفها بقوله: «مجموعة المعارف العلمية والتشاريع والنظم والعادات والآداب التي تمثل الحالة الفكرية والاقتصادية والخلقية والسياسية والفنية، وسائر مظاهر الحياة المادية والمعنوية في مرحلة من مراحل التاريخ وفي بقعة من بقاع الأرض سواء شملت شعبا أم أكثر»[2].

- **المركب الحضاري**: وبهذا يمكن أن أسس لمركَّبٍ حضاري تتمثل وتبرز الحضارات بتفاعله، وهو: (الإنسان + الكون + المنهج = الحضارة)، وبهذه المركبات يمكن تحديد عناصر التفاعل التي تحرك سنة التدافع وفقا لسنة الله تعالى بثلاثة عناصر؛ أما العنصر الأول: فهو الإنسان باعتباره خليفة الله في هذه الأرض، وأما العنصر الثاني: فهو المنهج باعتباره موجها ومؤثرا في حراك الإنسان، وأما العنصر الثالث: فهو الكون باعتباره البيئة التي تحكم عملية التدافع والميدان الذي تتجلى فيه صوره في هذه الحياة، وبتفاعل الإنسان في الحياة فهما وعلما وتطبيقا وسلوكا، تتشكل القوى، وتحتشد الطاقات، وتبرز صور التدافع المتنوعة، ولعل هذا ما دعا صامويل هنتنجتون إلى القول بأن التاريخ الإنساني هو تاريخ الحضارات[3].

(١) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ج ١، ص ١٨٠، مادة حضر.

(٢) الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة الأفكار الغربية، لمحمد المبارك، ص٢٧.

(٣) صدام الحضارات، لصامويل هنتجتون، ص ٦٧، ترجمة طلعت الشايب، تقديم صلاح قنصوه، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م..

وقد توجه مالك بن نبي - رحمه الله - إلى توزيع آخر لمحاور الحضارة التي ينبني عليها التدافع في بعض صوره وأشكاله، وذلك عند حديثه عن عناصر الحضارة التي تقوم عليها، حيث قال: «فالصيغة صادقة بالنسبة لأي ناتج حضاري، وإذا ما درسنا هذه المنتجات حسب طريقة الجمع المستخدمة في الحساب، فسننتهي حتما إلى ثلاثة أعمدة ذات علاقة وظيفية: إنسان + تراب + وقت = حضارة، وتحت هذا الشكل تشير الصيغة إلى أن مشكلة الحضارة تتحلل إلى ثلاث مشكلات أولية: مشكلة الإنسان، مشكلة التراب، مشكلة الوقت...، ثم يشير إلى دور الدين في ذلك فيقول: إن هناك ما يطلق عليه مركِّب الحضارة، أي العامل الذي يؤثر في مزج العناصر الثلاثة بعضها ببعض...، ثم يقول عند حديثه عن الدورة الخالدة للتاريخ: ففي نقطة انطلاقة الحضارة ليس أمامنا سوى العوامل المادية الثلاثة التي ألمحنا إليها فيما سبق من الكلام: الإنسان والتراب والوقت، وفي هذه العوامل ينحصر رأس مال الأمة الاجتماعي الذي يمدها في خطواتها الأولى في التاريخ»[1].

ولا شك أن في تفاعل العناصر المختلفة للحضارات والأمم وبتنوعها وتعددها تبرز سنة التدافع كسنة من سنن الله تعالى في خلقه.

وقد توجه ابن خلدون - رحمه الله - إلى ربط الحضارة بالجانب العمراني البشري، فقال: «الفصل الثالث: في أن البدو أقدم من الحضر وسابق عليه وأن البادية أصل العمران والأمصار مدد لها، قد ذكرنا أن

---

(1) شروط النهضة، لمالك بن نبي، ص ٥٠- ٥٥، سلسلة مشكلات الحضارة، ترجمة عمر كامل مسقاوي، وعبد الصبور شاهين، بإشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر المعاصر، لنبان، ودار الفكر، سورية، طبعة ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

البدو هم المقتصرون على الضروري في أحوالهم العاجزون عما فوقه، وأن الحضر المعتنون بحاجات الترف والكمال في أحوالهم وعوائدهم، ولا شك أن الضروري أقدم من الحاجي والكمالي وسابق عليه، ولأن الضروري أصل والكمالي فرع ناشئ عنه...، وذلك يدل على أن أحوال الحضارة ناشئة عن أحوال البداوة وأنها أصل لها فتفهمه»[1].

كما حرص بعض المفكرين المسلمين على إضافة البعد القيمي والديني إلى مفهوم الحضارة، باعتباره منهجا حاكما وضابطا لسلوك الإنسان في تعامله وسيره في الحياة، فقال سيد قطب - رحمه الله -: «الإِسْلامُ هُوَ الحَضَارَة، الإسلام لا يعرف إلا نوعين اثنين من المجتمعات ... مجتمع إسلامي، ومجتمع جاهلي...، المجتمع الإسلامي هو: المجتمع الذي يطبق فيه الإسلام؛ عقيدة وعبادة، وشريعة ونظاماً، وخلقاً وسلوكاً ..، والمجتمع الجاهلي هو: المجتمع الذي لا يطبق فيه الإسلام، ولا تحكمه عقيدته وتصوراته، وقيمه وموازينه، ونظامه وشرائعه، وخلقه وسلوكه..»[2].

كما قال الدكتور علي القرني: «الحضارة هي عمارة الأرض وترقية الحياة على ظهرها؛ إنسانياً وخلقياً وعلمياً وأدبياً وفنياً واجتماعياً وفق منهج الله وشريعته»[3].

وهذا ما سار عليه صامويل هنتنجتون الذي كتب عن صدام الحضارات، حين عرف الحضارة بقوله: «الحضارة هي أعلى تجمع ثقافي من البشر وأعرض مستوى من الهوية الثقافية يمكن أن يميز الإنسان

---

(١) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج ١، ص ١٢٢، الفصل الثالث.

(٢) سيد قطب، معالم في الطريق، ص ٩٨.

(٣) علي القرني، من مفاهيم ثقافتنا الإسلامية، ص٥٠.

عن الأنـواع الأخـرى. وهـي تعرف بكل من العناصر الموضوعية العامة مثل اللغة والتاريخ والدين والعادات والمؤسسات والتحقق الذاتي للناس. وهناك مستويات للهوية لدى البشر... والحضارة التي ينتمي إليها هي أعرض مستوى من التعريف الذي يمكن أن يعرف به نفسه. الحضارات هي «نحن» الكبرى، التي نشعر ثقافيا بداخلها أننا في بيتنا، في مقابل أي «هم» عند الآخرين خارجنا»[١].

- **بين الحضارة والثقافة:** وتعتبر الثقافة جزءا من الحضارة، باعتبارها المعارف والعلوم والفنون المحركة للأمم والمجتمعات البشرية، والثقافة هي الإدراك مع الحذق والفهم، جاء في التوقيف على مهمات التعاريف: «الثقف: الحذق في إدراك الشيء وفعله»[٢]، فقد أقر مجمع اللغة العربية هذا المصطلح كما جاء في المعجم الوسيط: «الثقافة: العلوم و المعارف والفنون التي يطلب الحذق فيها»[٣].

وعرف الدكتور يوسف القرضاوي - حفظه الله - الثقافة بأنها: «أفكار ومعارف وإدراكات، ممزوجة بقيم وعقائديات، ووجدانيات، تعبر عنها أخلاق وعبادات، وآداب وسلوكيات، كما تعبر عنها علوم وآداب وفنون متنوعات، وماديات ومعنويات»[٤].

---

(١) صدام الحضارات، لصامويل هنتجتون، ص ٧١، ترجمة طلعت الشايب، تقديم صلاح قنصوه، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م.

(٢) محمد عبد الرؤوف المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: د. محمد رضوان الداية (بيروت، دار الفكر المعاصر، ودمشق، دار الفكر، ١٤١٠هـ، الطبعة: الأولى) ج ١، ص ٢٢١.

(٣) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ج ١، ص ٩٨، مادة ثقف.

(٤) يوسف القرضاوي، ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق (القاهرة، دار الشروق، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٥م) ص ١٤.

فالثقافة مستمدة من القيم والمبادئ والأديان والمعارف التي تؤمن بها المجتمعات، والتي تحذق فيها، وهي الموجه والمحرك لتفاعل الإنسان مع الحياة التي يعيش فيها، ليثمر عن هذا التفاعل تلك الصورة الحضارية التي تميز المجتمعات بعضها عن بعض، لتمايزها في الخصائص والمعالم، قال صامويل هنتنجتون: «الحضارة والثقافة كلاهما يشير إلى مجمل أسلوب الحياة لدى شعب ما، والحضارة هي الثقافة على نطاق واسع، وكلاهما يضم المعايير والقيم، والمؤسسات وطرائق التفكير التي علقت عليها أجيال متعاقبة أهمية أساسية في مجتمع ما»[1].

وقد جعل صامويل هنتنجتون الثقافة محورا للصراع الحضاري القادم، بعد فصله الجانب العقدي والاقتصادي عن الثقافة، فقال: «إن فرضيتي تقوم على أن المصدر الجوهري للصراع في هذا العالم الجديد لن يكون في الأصل أيديولوجيا أو في الأصل اقتصاديا، وإنما ستكون الانقسامات الكبيرة بين الجنس البشري والمصدر السائد للصراع ثقافيا...»[2]، «وهكذا فإن الحضارة هي أعلى تجمع ثقافي من البشر وأعرض مستوى من الهوية الثقافية يمكن أن يميز الإنسان عن الأنواع الأخرى. وهي تعرف بكل من العناصر الموضوعية العامة مثل اللغة والتاريخ والدين والعادات والمؤسسات والتحقق الذاتي للناس. وهناك مستويات للهوية لدى البشر... والحضارة التي ينتمي إليها هي أعرض مستوى من التعريف الذي يمكن أن يعرف به نفسه. الحضارات هي

(١) صدام الحضارات، ص ٦٩.

(٢) محمد عمارة، الحضارات العالمية تدافع أم صراع، سلسلة التنوير الإسلامي، العدد ٢٤ (مصر، مكتبة نهضة الطبعة الأولى، ١٩٩٨م) ص ٢٣.

«نحن» الكبرى، التي نشعر ثقافيا بداخلها أننا في بيتنا، في مقابل أي «هم» عند الآخرين خارجنا»[1].

فالثقافة مستمدة من القيم والمبادئ والأديان والمعارف التي تؤمن بها المجتمعات، والتي تحذق فيها، وهي الموجه والمحرك لتفاعل الإنسان مع الحياة التي يعيش فيها، ليثمر عن هذا التفاعل تلك الصورة الحضارية التي تميز المجتمعات بعضها عن بعض، لتمايزها في الخصائص والمعالم.

وقد أشار الدكتور محاضير محمد، إلى ما يحدث عند التقاء الثقافات من صور للتدافع، فقال: «عندما تلتقي الثقافات فهناك ثلاثة أشياء يمكن أن تحدث:

أولا: أن تسود ثقافة ما بالكامل بحيث تزول الثقافات الأخرى وتتلاشى.

ثانيا: قد تتشبع الثقافات بعضها ببعض بحيث تنشأ ثقافة جديدة هي مزيج من الثقافات المختلفة.

ثالثا: قد توجد الثقافات بشكل مشترك متناغم أحيانا وأحيانا أخرى في صراع»[2].

والتدافع الحضاري يعني التسابق والتنافس في تحقيق البروز والتميز لمخرجات أمة من الأمم في مجالات الحياة المختلفة، وذلك بتفعيل مقوماتها

---

(١) صدام الحضارات، لصامويل هنتنجتون، ص ٧١، ترجمة طلعت الشايب، تقديم صلاح قنصوه، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م.

(٢) العولمة وصدام الحضارات، قراءة في فكر محاضير محمد، للدكتور أحمد يوسف القرعي، ص ٧٢، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٥م.

الخاصة[1]، ومن ثم السعي إلى تعميم تلك الحضارة على الناس جميعا، بالهيمنة أو الإقصاء أو التوافق مع غيرها من الحضارات الأخرى...

ومع تصور البعض لطبيعة العلاقة بين الحضارات بشكل سلبي، جاءت حضارة الإسلام منفتحة على الحضارات الأخرى، تجعل من قول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾، (الحجرات، ١٣)، شعارا لها، وبهذا تمهد لسنة التدافع الحضاري في أوسع صورها، وفي هذا يقول أحمد الراوي –حفظه الله –: «تجمع الحضارات علاقة تفاعلية، تقوم على التبادل والتكامل، وبهذا فإن الحوار بين الحضارات ليس ظاهرة جديدة، بل هو لازم للحضارة لا انفصام لها عنه، خاصة أن الحضارة الواحدة تتنفس من فضاء الحضارات الأخرى، ينطبق هذا على الحضارة الإسلامية انطباقه على غيرها، ولكن الحضارة الإسلامية بصفة خاصة، تقوم على إدراك صفة التنوع البشري، وتتعامل معه بإيجابية وانفتاح مع ما يستتبعه من تنوع ثقافي وحضاري، فهي لا تعترف بذلك وحسب، بل تعده معه مكسبا جماعيا، ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾»[2].

- **توجيه نحو حسن التفاعل بين عناصر المركب الحضاري:** ولتوجيه تفاعل مركبات الحضارة الثلاثية وبيان صلتها ببعضها فقد بين الخالق جل شأنه ما يترتب عن تفاعل الإنسان وتصرفاته في هذه الحياة من خير أو شر، في البر أو في البحر، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾، (سورة الروم،

---

(١) انظر الفصل الثاني من الكتاب: مصادر قوة الأمة الإسلامية.

(٢) أحمد الراوي، الوسطية والبعد الحضاري، سلسلة الأمة الوسط، العدد ٨ (الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المركز العالمي للوسطية) ص ١٠.

الآية: ٤١)، قال القرطبي - رحمه الله -: «اختلف العلماء في معنى الفساد، والبر والبحر، فقال قتادة والسدي: الفساد الشرك وهو أعظم الفساد، وقال ابن عباس وعكرمة ومجاهد: فساد البر قتل ابن آدم أخاه، قابيل قتل هابيل، وفي البحر بالملك الذي كان يأخذ كل سفينة غصبا، وقيل: الفساد القحط وقلة النبات وذهاب البركة ونحوه، قال ابن عباس: هو نقصان البركة بأعمال العباد كي يتوبوا، قال النحاس: وهو أحسن ما قيل في الآية، وعنه أيضا: أن الفساد في البحر انقطاع صيده بذنوب بني آدم، وقال عطية: فإذا قل المطر قل الغوص عنده وأخفق الصيادون وعميت دواب البحر، وقال ابن عباس: إذا مطرت السماء تفتحت الأصداف في البحر فما وقع فيها من السماء فهو لؤلؤ، وقيل: الفساد كساد الأسعار وقلة المعاش، وقيل: الفساد المعاصي وقطع السبيل والظلم، أي صار هذا العمل مانعا من الزرع والعمارات والتجارات، والمعنى كله متقارب، والبر والبحر هما المعروفان المشهوران في اللغة وعند الناس...»(١).

ولهذا أرسل الله تعالى الرسل وأنزل الكتب للناس ليقوموا بالقسط في جميع مجالات حياتهم، قال جل وعلا: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾، (سورة الحديد، الآية: ٢٥)، حتى ختم الله تعالى الرسالات بخير رسله، وخصه بخير كتبه، فجاءت رسالته عامة للناس جميعا، وجاء كتابه مهيمنا على الكتب كافة، فكانت رسالة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى

(١) الجامع لأحكام القرآن، ج ١٤، ص ٤٠.

آله وسلم رحمة للعالمين، قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾، (سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧).

وكانت الرسل والرسالات تكريما من الله تعالى للإنسان، الذي فضله على كثير ممن خلق تفضيلا، قال جل شأنه: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ٧٠﴾، (سورة الإسراء، الآية: ٧٠).

كما هيأ الله سبحانه وتعالى الإنسان لحمل الأمانة وتبليغ الرسالة بما أكرمه الله تعالى به وفضله، قال جل وعلا: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ٧٢﴾، (سورة الأحزاب، الآية: ٧٢)، قال الرازي –رحمه الله–: « الأمانة: وجوه كثيرة، منها: من قال هو التكليف، وسمي أمانة لأن من قصر فيه فعليه الغرامة، ومن وفر فله الكرامة، ومنهم من قال هو قول لا إله إلا الله، وهو بعيد فإن السموات والأرض والجبال بألسنتها ناطقة بأن الله واحد لا إله إلا هو، ومنهم من قال: الأعضاء، فالعين أمانة ينبغي أن يحفظها والأذن كذلك واليد كذلك والرجل والفرج واللسان، ومنهم من قال: معرفة الله بما فيها، والله أعلم»(١).

وبين ربنا تعالى أنه جعل الإنسان مكلفا بحمل الأمانة ومحاسبا عليها، فإن تمسك بها وأداها حقق السعادة له ولأمته في الدنيا والآخرة، وإن ضيعها عاش في ضنك من الحياة، وباء بسوء العذاب يوم القيامة،

---

(١) التفسير الكبير، ج ٢٥، ص ٢٠٢.

قال جل من قائل: ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًاۢ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾، (سورة طه، الآيتان: ١٢٣- ١٢٤).

وبعد أن بين الله تعالى للناس الهدى والرشاد، وجعلهم في أرضه خلفاء، أعطاهم حرية الاختيار ابتلاء وامتحانا، قال سبحانه: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾، (سورة الليل، الآيات: ٤-١٠)، فكان كل إنسان مسيرا مخيرا، ميسرا لما خلق له، فعن عليٍّ رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ له، أَمَّا من كان من أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ وَأَمَّا من كان من أَهْلِ الشَّقَاءِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ**»[1].

فمع وحدة أصول العقائد التي جاءت بها الرسل، ونزلت بها الكتب، على الأمة الإنسانية، منذ بداية وجودها من لدن آدم عليه السلام إلى يوم القيامة، اختلف الناس وتفرقوا وأصبح الناس في هذه الحياة فريقين، فريقا سلك سبيل الهدى والنور فكان من حزب الله، وفريقا هوى في سبيل الظلمات والجهل فكان من حزب الشيطان، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًاۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾، (سورة المؤمنون، الآيتان: ٥٢- ٥٣)، قال

---

(١) صحيح البخاري، باب قوله تعالى: (وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى)، (سورة الليل، الآية: ٩)، حديث رقم ٤٦٦٦.

الرازي - رحمه الله -: «المعنى: أنه كما يجب اتفاقهم على أكل الحلال والأعمال الصالحة، فكذلك هم متفقون على التوحيد وعلى الاتقاء من معصية الله تعالى، فإن قيل: لما كانت شرائعهم مختلفة فكيف يكون دينهم واحداً؟ قلنا: المراد من الدين ما لا يختلفون فيه، من معرفة ذات الله تعالى وصفاته، وأما الشرائع فإن الاختلاف فيها لا يسمى اختلافاً في الدين، فكما يقال في الحائض والطاهر من النساء: إن دينهن واحد، وإن افترق تكليفهما، فكذا ههنا...، أما قوله تعالى: ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ ﴾، فالمعنى: فإن أمم الأنبياء عليهم السلام تقطعوا أمرهم بينهم، وفي قوله: ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ ﴾، معنى المبالغة في شدة اختلافهم، والمراد بأمرهم: ما يتصل بالدين، أما قوله: ﴿زُبُرٗاۖ ﴾، فقرئ: زبْراً جمع زبور، أي كتباً مختلفة، يعني: جعلوا دينهم أدياناً، وزبراً قطعاً...، أما قوله تعالى: ﴿كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾، فمعناه: أن كل فريق منهم مغتبط بما اتخذه ديناً لنفسه، معجب به، يرى المحق أنه الرابح، وأن غيره المبطل الخاسر، ولما ذكر الله تعالى تفرق هؤلاء في دينهم أتبعه بالوعيد...»[1].

- أهمية البعد الحضاري في التفاعل التدافعي بين الناس: وبهذا أصبح الميدان الحضاري مجالا للدراسات المتراكمة التي تتجه نحو جمع بعض المقومات التي تساعد كل أمة في إبراز حضارتها، ونشرها بين الناس، لما في ذلك من دعاية لها، وجذب إليها، كما تسهم تلك الدراسات في معرفة الحضارات الأخرى وخصائصها للإفادة منها أو مواجهتا، حتى يتحقق لها التنسيق والتكامل، أو التصادم والتصارع، وبهذا يكون

(١) التفسير الكبير، ج ٢٣، ص ٩١- ٩٢.

الجانب الحضاري متضمنا مجالات التدافع بكل صورها وأشكالها القديمة والمعاصرة.

ولا يمكن فهم حضارة من الحضارات ومعرفة صورتها التامة إلا بالنظر الشمولي إلى مجالاتها المتنوعة في إطار المنظومة الواحدة التي تجمعها، قال صامويل هنتنجتون: «الحضارات شاملة، بمعنى أن أي جزء من مكوناتها لا يمكن فهمه تماما دون الرجوع إلى الحضارة التي تضمه...»[1].

ومن هنا تعددت مجالات التدافع في الحياة، وتفاوت الناس في تحقيق القوة لأنفسهم ولأمتهم في تلك المجالات الحضارية، فاتخذ بعضهم من الدين والتدين محورا للتدافع، وآخرون جعلوا من السياسة والاقتصاد مجالا لهم، وآخرون اتجهوا نحو المجال الإعلامي، أو التفوق الصناعي والتقني، ومنهم من اتجه نحو القوة العسكرية وهكذا...، ومن هذه المجالات:

١ - التدافع الديني:

الدين هو ما يعتقده الإنسان، فقد عرفه السيوطي - رحمه الله -: بأنه: «اعتقاد الشيء على ما كان النحو عليه، حقا كان أو باطلا»[2]، وذكر الفراهيدي بأن الدين هو: «الطاعة، ودانوا لفلان أي أطاعوه»[3]،

---

(١) صدام الحضارات، ص ٧٠.

(٢) معجم مقاليد العلوم، لأبي الفضل عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، تحقيق: أ.د محمد إبراهيم عبادة، ج ١، ص ٧٤، المصطلح رقم ٣٧٨، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م، الطبعة: الأولى.

(٣) كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د مهدي المخزومي ود إبراهيم السامرائي، ج ٨، ص ٧٢- ٧٣، دار ومكتبة الهلال.

وبين الجرجاني بعض الفروق بين الدين والملة، فقال: «الدين والملة متحدان بالذات ومختلفان بالاعتبار، فإن الشريعة من حيث إنها تطاع تسمى دينا، ومن حيث إنها تجمع تسمى ملة، ومن حيث إنها يرجع إليها تسمى مذهبا، وقيل الفرق بين الدين والملة والمذهب: أن الدين منسوب إلى الله تعالى، والملة منسوبة إلى الرسول، والمذهب منسوب إلى المجتهد»[1].

والدين من أبرز المجالات التي كانت ولا تزال ميدانا للتدافع، سواء أكان الدين حقا أم باطلا، محفوظا أم محرفا، ربانيا أم بشريا، وقد تعددت مظاهر التدافع الديني، من دعوات سلمية، إلى غزوات فكرية، أو حروب عسكرية، حتى أصبح التدافع الديني فنا من الفنون في كثير من الديانات، له ميزانياته الخاصة، ورجالاته المتخصصة، ووسائله المتنوعة، وأبوابه المختلفة، وبطاناته المتعددة، وأبعاده السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية، وهكذا[2]...

فالإسلام دين الحق الذي ارتضاه الله تعالى لعباده، حث الناس على الدعوة إلى الله تعالى، قال جل وعلا: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾، (سورة النحل، الآية: ١٢٥)، قال الطبري – رحمه الله –: «إلى شريعة ربك التي شرعها لخلقه وهو الإسلام»[3]،

(١) التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ج ١، ص ١٤١، المصطلح رقم ٦٩٨، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ، الطبعة: الأولى.

(٢) من هذه المظاهر: الحروب الصليبية المتتالية على العالم الإسلامي، بأقنعتها المتعددة.

(٣) تفسير الطبري، ج ١٤، ص ١٩٤.

وعن عبد اللّٰهِ بن عَمْرِو رضي الله عنهما أَنَّ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً وَحَدِّثُوا عن بَنِي إِسْرَائِيلَ ولا حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ من النَّارِ**»[1]، وعن سَهْلِ بن سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوم خَيْبَرَ لعلي رضي الله عنه: «**انْفُذْ على رِسْلِكَ حتى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إلى الإِسْلَامِ وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عليهم فَوَاللهِ لأَنْ يَهْدِيَ الله بِكَ رَجُلا خَيْرٌ لك من أَنْ يَكُونَ لك حُمْرُ النَّعَمِ**»[2].

كما بين لنا تعالى أن الكافرين أيضا على اختلاف دياناتهم يرغبون في جذب الناس إلى دينهم، وانضمامهم إلى حزبهم، قال جل شأنه: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾، (سورة البقرة، الآية: ١٢٠)، وما زال التاريخ شاهدا على حقيقة ذلك منذ القدم وإلى يومنا هذا، وما الحروب الصليبية التي اجتاحت العالم الإسلامي أيام الخلافة العثمانية إلا دليل على ذلك.

كما أن من مجالات التدافع الديني التدافع القيمي، باعتبار الدين راعيا للقيم والمثل الإنسانية والحياتية، وفي هذا قال الدكتور محمد عمارة -حفظه الله-: «إننا بإزاء جبهة من جبهات الصراع في معركة التحرر الوطني والقومي والحضاري، صراع القيم، وهو صراع على ثغرة هامة وخطيرة في جبهة طويلة وعريضة، جبهة التدافع الحضاري بين

---

(١) صحيح البخاري، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، حديث رقم ٣٢٧٤.

(٢) صحيح البخاري، باب فضل من أسلم على يديه رجل، حديث ٢٨٤٧.

الحق والباطل، بين العدل والجور، بين الرؤية المؤمنة والنزعة المادية، بين الإنسانية الربانية والإنسانية الحيوانية...»[1].

فالتدافع الديني على اختلاف دوافعه وأسبابه مجال وميدان من ميادين التدافع في القديم والحديث.

٢ - التدافع الفكري:

الفكر هو إعمال العقل فيما هو معلوم للوصول إلى المجهول، قال الجرجاني - رحمه الله -: «الفكر: ترتيب أمور معلومة للتأدي إلى مجهول»[2]، وجاء في لسان العرب: «الفَكْرُ والفِكْرُ: إعمال الخاطر في الشيء»[3].

فمن شأن الإنسان ولا سيما العقلاء من البشر أن يُعملوا عقولهم فيما يلحظوه ويشاهدوه، وفيما عرفوه وتعلموه، ليدرسوا الأمور، ويحللوا المسائل، ويقيسوا الصور، ويستنبطوا العبر، ويتوصلوا إلى النتائج، في جميع مناحي الحياة، الديني منها والدنيوي.

وقد جاء التوجيه الرباني للنظر والتفكر في آيات عدة من كتاب الله تعالى، قال جل شأنه: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟

(١) صراع القيم بين الغرب والإسلام، سلسلة التنوير الإسلامي، العدد ٩، ص ٦، نهضة مصر، ١٩٩٧م.

(٢) التعريفات، ج١، ص ٥٤.

(٣) لسان العرب، لابن منظور، ج ٥، ص ٦٥، مادة فكر.

﴿أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٩﴾، (سورة الروم، الآيتان: ٨- ٩).

ويعتبر الفكر مصدرا من المصادر البشرية لبناء الحضارات، و أداة من أدوات التوجيه للحراك التدافعي بين الأمم، من خلال التحليل والفهم والاستنباط، والتوجيه، ونظرا لتوسع مجالات الفكر، وتنوع مناهجه وأساليبه ووسائله من جهة، وتباين الإمكانات العقلية لدى الناس بشكل عام وتأثرها بما يحيط بها من بيئة وثقافة، فإن المخرجات الفكرية البشرية قد تعددت، والنتائج العقلية قد تنوعت.

حتى أضحى التنوع الفكري ظاهرة من الظواهر البارزة في العصر الحاضر، سواء في المستوى الإسلامي، أو الإنساني، فكم من مدارس ومناهج فكرية تتروح بين التوسيع والتضييق، وبين الجمود والانفتاح، على درجات مختلفة.

وكم من وجهات نظر فكرية ورؤى نظرية متباينة في مسائل عدة، تختلف عليها العقول والأنظار، بمستويات متقاربة أو متباعدة، وتحزب الناس حولها، وتجمع القوى لها، كل يريد نشر رؤيته، وغلبة فكرته، وتمكن نظرته، بحسب قدراته وإمكاناته.

ومن هنا يبرز التدافع الفكري كمجال من مجالات التدافع في الحياة، سواء اكتفى بالمستوى العقلي والنظري، أو تجاوز النظر ليصل إلى المستوى الحركي والعملي.

وقد ذكر الأستاذ الدكتور فريد الأنصاري، هذا التدافع في مجاله الدعوي، المعتمد على تباين في الرؤى الفكرية، حيث قال: «والحركة الإسلامية بجميع أصنافها الاحتجاجية[1] والاستيعابية[2]، ، هي حركة تدافعية بالمعنى القرآني للكلمة، من قول الله عز وجل: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾، (سورة البقرة، الآية: ٢٥١)، فالتدافع إذن هو القاسم المشترك لشتى التنظيمات والتصورات الاجتهادية في المجال الدعوي...»[3].

٣ - التدافع القومي والعنصري:

القومية مصطلح محدث يشير إلى بعض الروابط الاجتماعية بين الناس، فقد عرفت القومية في المعجم الوسيط بأنها: «صلة اجتماعية عاطفية، تنشأ من الاشتراك في الوطن والجنس واللغة والمنافع، وقد تنتهي بالتضامن والتعاون إلى الوحدة كالقومية العربية، - محدثة -»[4]، وأما العنصرية فهي الانتماء إلى الأصل والنسب، جاء في تاج العروس: «العُنْصُرُ: -بفتح الصاد وضَمّها لُغتان- الأَصْلُ...، قال الأَزهريّ: العُنْصُرَ أَصْلُ الحَسَب»[5].

---

(١) وهي المواجهة، والمصادمة.

(٢) وهي المجاملة، والمسالمة.

(٣) الفجور السياسي والحركة الإسلامية، دراسة في التدافع الاجتماعي، ص ٨٧، دار الكلمة للنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.

(٤) المعجم الوسيط، ج ٢، ص ٧٦٨، مادة قوم.

(٥) تاج العروس، ج ١٣، ص ١٥٢.

فمن مجالات التدافع المعاصر التدافع القومي والعنصري، الذي يسعى أصحابه للظهور على غيرهم وإبراز هويتهم والاعتزاز بها وذلك على اختلاف أصولهم وقومياتهم، كما يحاولون الحصول على بعض الحقوق الخاصة في مختلف مجالات الحياة السياسية الاقتصادية وغيرها...

وتعتبر الدعوات القومية والعنصرية من أوائل الدعوات التي تبناها العرب قبل الإسلام، فقد كان الفخر بالحسب والنسب عنصرا من العناصر المحركة لهم، يكافحون من أجله، ويقاتلون لحمايته، فجاءت رسالة الإسلام لترقى بالإنسان من علاقاته الطينية البشرية إلى العلاقات الإيمانية الربانية، مع مراعاة حق الناس في الحفاظ على أنسابهم، واحترام مكانتهم، ولكن دون مبالغة أوطغيان.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾، (سورة الحجرات، الآية: ١٣)، وعن أبي نَضْرَةَ قال: حدثني من سمع خُطْبَةَ رسول اللّٰه صلى الله عليه وعلى آله وسلم في وَسَطِ أيَّام التَّشْرِيقِ فقال: «**يا أَيُّهَا الناس ألاَ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ إلا لاَ فَضْلَ لعربي على أعجمي وَلاَ لعجمي على عربي وَلاَ لأَحْمَرَ على أَسْوَدَ وَلاَ أَسْوَدَ على أَحْمَرَ إِلاَّ بِالتَّقْوَى**»[1].

وعن جَابِرٍ رضي الله عنه قال: غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم وَقَدْ ثَابَ[2] مَعَهُ نَاسٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ حَتَّى كَثُرُوا وَكَانَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلٌ

(١) مسند الإمام أحمد، حديث شيخ من أصحاب النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، حديث رقم ٢٣٥٣٦، قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح، مجمع الزوائد، ج ٤، ص ٢٦٦، باب الخطب في الحج.

(٢) ثاب ثوبا: رجع، المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية، ج١، ص ١٠٢، مادة ثوب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

لَعَّابٌ فَكَسَعَ[1] أَنْصَارِيًّا فَغَضِبَ الأَنْصَارِيُّ غَضَبًا شَدِيدًا حَتَّى تَدَاعَوْا وَقَالَ الأَنْصَارِيُّ يَا لَلأَنْصَارِ وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ يَا لَلْمُهَاجِرِينَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم فَقَالَ: «**مَا بَالُ دَعْوَى أَهْلِ الجَاهِلِيَةِ، ثُمَّ قَالَ: مَا شَأْنُهُمْ؟ فَأُخْبِرَ بِكَسْعَةِ الْمُهَاجِرِيِّ الأَنْصَارِيَّ قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم: دَعُوهَا فَإِنَّهَا خَبِيثَةٌ**»[2].

ومع هذا التشديد على الطغيان في الجانب العرقي والنسبي، نجد الإسلام مراعيا مكانة النسب وأهميته، واعتباره في أمور لا تضر بوحدة الأمة الإنسانية والإسلامية، فعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قِيلَ: «**يا رَسُولَ اللَّهِ من أَكْرَمُ الناس؟ قال: أَتْقَاهُمْ، فَقَالُوا: ليس عن هذا نَسْأَلُك، قال: فَيُوسُفُ نَبِيُّ اللَّهِ بن نَبِيِّ اللَّهِ بن نَبِيِّ اللَّهِ بن خَلِيلِ اللَّهِ، قالوا ليس عن هذا نَسْأَلُكَ، قال: فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونِ؟ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلامِ إذا فَقُهُوا**»[3]، وعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أيضا عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «**تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ**»[4].

وما زالت العنصرية والعرقية مجالا قائما من مجالات التدافع بين الناس، حتى أصبح الانتماء العرقي وسيلة من وسائل التكتل والتحزب، تستخدمه بعض الشعوب لمصالحها الخاصة، وتستغله بعض القوى وتسخره لخدمة أهدافها، وتحقيق مآربها.

---

(١) كسع فلانا: ضرب دُبُره بيده، أو بصدر قدمه، المعجم الوسيط، ج٢، ص ٧٩٣، مادة كسع.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب ما ينهى من دعوة الجاهلية، حديث رقم ٣٢٥٧، المحدث.

(٣) صحيح البخاري، باب قوله تعالى: (...وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلا)، (سورة النساء، الآية: ١٢٥)، حديث رقم ٣١٧٥.

(٤) صحيح البخاري، ٦ بَاب الأَكْفَاءِ فِي الدِّينِ، حديث رقم ٤٨٠٢.

٤ - التدافع السياسي:

السياسة هي القيام على أمر من الأمور، فقد جاء في لسان العرب: «ساس الأمر سياسة: قام به...، السياسة: القيام على الشيء بما يصلحه...، يسوس الدواب: إذا قام عليها وراضها، والوالي يسوس رعيته...»(١).

وتعتبر السياسة مُفَعِّلا من محركات الحضارات وأهلها، وميدانا من ميادين التدافع الحضاري، حيث تسهم في تحقيق الريادة والظهور، والسيطرة والنفوذ لهذه الحضارات، ولهذا تتسابق القوى المختلفة في تنشيط دورها السياسي، سواء على المستوى المحلي، أو الإقليمي، أو العالمي، لتكون لها زمام القيادة والريادة والسيادة على غيرها من المجتمعات البشرية، ولتكون لها كلمة الفصل في الأمور جميعها، وليكون ذلك سبيلا لفرض حضارتها بما تحمله من معتقدات وثقافات ومخرجات على الناس جميعا..بل توسع نطاق السياسة لدى بعض القوى العالمية ليؤثر في مقدرات الأمم والشعوب الأخرى، بحيث تسخرها لصالحها اقتصاديا واجتماعيا وعسكريا...، وذلك بتوجيه المسار لصالحها، وترويض الآخرين على طاعتها والسير وفق مخططاتها ورغباتها.

والسياسة من مظاهر خلافة الإنسان في هذه الأرض، قال سبحانه: ﴿وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ١٢٩﴾، (سورة الأعراف، الآية: ١٢٩)، ومن واجب الخليفة أن يقوم بحق الله وحق الخلق، فيقوم بصالح الدين والدنيا، قال ابن خلدون -رحمه الله-: «لما تبين أن

---

(١) لسان العرب، ج ٦، ص ١٠٨.

حقيقة الخلافة نيابة عن صاحب الشرع في حفظ الدين وسياسة الدنيا، فصاحب الشرع متصرف في الأمرين، أما في الدين فبمقتضى التكاليف الشرعية الذي هو مأمور بتبليغها وحمل الناس عليها، وأما سياسة الدنيا فبمقتضى رعايته لمصالحهم في العمران البشري، وقد قدمنا أن هذا العمران ضروري للبشر، وأن رعاية مصالحه كذلك، لئلا تفسد إن أهملت، وقدمنا أن الملك وسطوته كاف في حصول هذه المصالح، نعم إنما تكون أكمل إذا كانت بالأحكام الشرعية، لأنه أعلم بهذه المصالح، فقد صار الملك يندرج تحت الخلافة إذا كان إسلاميا، ويكون من توابعها...»[1].

٥ - التدافع الاقتصادي:

مادة القصد تشير إلى الاستقامة والاعتدال، فقد جاء في لسان العرب: «القصد استقامة الطريق قصد يقصد قصدا فهو قاصد...، وطريق قاصد سهل مستقيم...، والقصد العدل...، والقصد في الشيء خلاف الإفراط، وهو ما بين الإسراف والتقتير، والقصد في المعيشة أن لا يسرف ولا يقتر، يقال: فلان مقتصد في النفقة، وقد اقتصد، واقتصد فلان في أمره أي استقام»[2]، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾، (الفرقان، ٦٧)، قال الرازي: «وذكر المفسرون في الإسراف والتقتير وجوهاً: أحدها وهو الأقوى: أنه تعالى وصفهم بالقصد الذي هو بين الغلو والتقصير»[3].

---

(١) مقدمة ابن خلدون، لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، ج ١، ص ٢١٨- ٢١٩، الفصل الحادي والثلاثون، دار القلم، بيروت، ١٩٨٤م، الطبعة: الخامسة.

(٢) لسان العرب، ج ٣، ص ٣٥٣- ٣٥٤، مادة القصد.

(٣) الرازي، التفسير الكبير، ج ١١، ص ٤٤٩.

وغلب في عصرنا مصطلح الاقتصاد على الجانب المالي في الحياة، فالاقتصاد هو الاستقامة والاعتدال في التصرف بالأموال والصنائع والمدخرات وحسن إدارتها وتسخيرها لخدمة المجتمعات الإنسانية.

وقد بين تعالى أن المال نعمة من نعمه التي أعطاها عباده وكلفهم أن يقوموا بحقها، قال جل شأنه: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾، (سورة النور، الآية: ٣٣).

كما حث الله تعالى عباده على حفظ الأموال ووجه إلى حسن استخدامها بما يحقق السعادة للناس، ففرض لها شرائع تقيم سيرها، وتضبط حركتها، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾، (سورة الفرقان، الآية: ٦٧).

والمال عصب الحياة، وعنصر من العناصر المؤثرة في الحضارات، فهو أداة لتحريك التفاعلات التدافعية بين الحضارات، وهو من أبرز المجالات التي تتنافس فيها القوى المختلفة، سواء من حيث الجمع والتحصيل، أو من حيث الإنفاق والصرف، ليكون لها التفوق الاقتصادي، بالسيطرة على حركة الاقتصاد العالمي، والتحكم في الثروات وتوجيهها لصالحها، حتى وصل الأمر بكثير من هذه القوى إلى حد الطغيان، وتجاوز الحدود، وأكل أموال الناس بالباطل، قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾، (العلق، ٦- ٧).

وقد اتخذ البعد الاقتصادي في التدافع الحضاري صورا متعددة، فتارة يكون الانفتاح الاقتصادي والتجارة العالمية الحرة أنموذجا عمليا،

وتارة تفرض القيود والحواجز الاقتصادية كعقوبات وضغوطات حقيقية، بل توسع الأمر حتى أصبحت القوة الاقتصادية وسيلة للتأثير في المجالات الأخرى السياسية والعسكرية والاجتماعية وغيرها...

٦ - التدافع العلمي:

العلم هو اليقين ومعرفة الشيء، فقد جاء في المصباح المنير: «العلم: اليقين، يقال: علم، يعلم: إذا تيقن، وجاء بمعنى: المعرفة أيضا»[1].

والعلم والمعرفة سبيل إلى تحقيق كرامة الإنسان التي خصه بها رب العزة والجلال من بين سائر خلقه، فقال سبحانه: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾، (سورة الإسراء، الآية:٧٠)، وقد جاء الدين الإسلامي مؤكدا على أهمية العلم والمعرفة ومحركا للعقل الإنساني لما فيه الصلاح في الأولى والآخرة، ورابطا بين العلم والإيمان، فقد قرن الله تعالى شهادته لذاته العلية بالوحدانية بشهادة ملائكته والعلماء من خلقه، فقال جل وعلا: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾، (سورة آل عمران، الآية: ١٨).

والعلم بشقيه الديني والدنيوي متطلب إنساني، وفريضة شرعية عينية أو كفائية، والإسلام جعل من العلمين مجالا من مجالات التفكر والتدبر، قال سبحانه: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ

---

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، ج ٢، ص ٤٢٧، المكتبة العلمية، بيروت.

وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾، (سورة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، الآية: ١٩)، وعن مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «**من يُرِدْ الله به خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا أنا قَاسِمٌ، وَاللَّهُ يُعْطِي، وَلَنْ تَزَالَ هذه الأُمَّةُ قَائِمَةً على أَمْرِ اللَّهِ لا يَضُرُّهُمْ من خَالَفَهُمْ حتى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ**»(١).

كما حث القرآن الكريم على التفكر والتأمل والتدبر في الكون لتسخيره والإفادة من خيراته، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾، (سورة النحل الآيات:١٠- ١٨).

وقد تسابقت الأمم في ميدان العلم والتعلم والتعليم، وتوسيع مجالات

---

(١) صحيح البخاري، باب من يرد الله به خيرا يفقه في الدين، حديث رقم ٧١.

العلم، وتيسير وسائله وسبله، وتطبيقه وتجريبه، والإبداع والاختراع في أبوابه المختلفة، ونقل تلك المعارف والعلوم إلى الآخرين، من خلال تصدير المخرجات والمنتجات، أو استقطاب الكفاءات والقدرات، وتكريم العلماء والنابغين، حتى أصبح المجال العلمي من أبرز المجالات التي تقيم الشعوب بها، ومن أهم المؤهلات التي ترتفع الأمم والمجتمعات بسببها.

كما أن العلم والمعرفة أصبحا من أهم المعالم التي تتطلع الأمم والمجتمعات إلى الانتساب إليهما، من خلال الحصول على براءات الاختراع والاكتشاف والابتكار، ومن أهم المجالات التي تسعى الأبحاث الحضارية إلى التأكيد على اهتمام أهلها بهما، لأن العلم سبيل إلى التقدم والرقي الحضاري.

ومع تباين المستوى العلمي والمعرفي بين الأمم بتفشي الجهل والتخلف في بعض المجتمعات الإنسانية في عصرنا، ورقيه وتطوره في مجتمعات أخرى، فقد أخذ المجال العلمي والمعرفي أبعادا كثيرة، اقتصادية وسياسية ودينية واجتماعية...، وأصبح ميدانا من أهم ميادين التدافع في هذا العصر.

٧- التدافع الإعلامي:

الإعلام هو التواصل بين المرسل والمتلقي عبر الرسالة المنقولة بوسائل مختلفة مقروءة أو مسموعة أو مرئية، وقد عرفه الدكتور سعيد صيني، عند تعريفه لكلمة الإعلام، بقوله: «يميز المؤلفون في الإعلام بين الإعلام والاتصال، باعتبار كلمة اتصال أكثر شمولا، فالاتصال قد يكون بين الإنسان وأخيه الإنسان، أو بينه وبين الحيوانات، والجمادات، وقد يكون بين هذه الأصناف الثلاثة.

فأشكال الاتصال لنقل المعلومات والحصول عليها بين الإنسان والحيوان عرفته البشرية منذ أن كانت هناك مجموعة بشرية، والإنسان وهو يقود السيارة يقوم بعملية اتصال بينه وبين الآلات الصماء.

والاتصال البشري قد يكون ذاتيا بين الإنسان ونفسه، وقد يكون شخصيا، وقد يكون جمعيا، وقد يكون جماهيريا، وهذه الحالة الأخيرة وحدها نسميها الإعلام.

ومن عناصر الاتصال الجماهيري: التعقيد في التنظيم، والتكرار في العناصر، فالمرسل في الاتصال الجماهيري ليس واحدا، بل طاقما متكاملا، والوسيلة ليست شيئا واحدا، ولكن مجموعة معقدة من الأجهزة، كما أن الرسالة تظهر في هيئة مجموعة من الرموز المتنوعة، أو المؤثرات الصوتية أو المرئية، ولا تقتصر على اللغة بمفردها، أما الجمهور فهو مجموعة من الناس متناثرة على مساحة جغرافية وزمانية واسعة، قد لا يجمع بينها شيء سوى الاشتراك في التعرض إلى رسالة بعينها كما هي.

والاتصال قد يكون باللمس والصوت والنظر و... أما الإعلام فلا يكون باللمس، إلا أن ندخل في حسابنا طريقة برايل للمكفوفين...»[1].

وتطور الاتصال والإعلام في عصرنا حتى وصل إلى مستوى من التفاعل السريع والمباشر بين الأطراف المختلفة لعملية الاتصال الإعلامية، حتى أصبح ميدان الاتصال من أبرز الميادين التي تتسابق

(١) مدخل إلى الإعلام الإسلامي، لسعيد صيني، ص ٣٤- ٣٥، دار الحقيقة للإعلام الدولي، القاهرة، ١٤١١هـ، ١٩٩١م، بتصرف.

الأمم في تطوير وسائلها، وحسن استغلالها، وتسخيرها لنشر رغباتها، وتحقيق أهدافها.

وقد وجه الإسلام إلى ضرورة الاتصال بالناس، وإبلاغهم دعوة الحق والدين، قال تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾، (سورة المائدة، الآية: ٦٧)، وقال سبحانه: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾، (سورة فصلت، الآية: ٣٣).

كما قام عليه الصلاة والسلام بدعوة قومه مستخدما كل وسيلة تساعده على الاتصال بهم من الزيارات الفردية، واللقاءات الجماعية، حتى إنه وقف يوما على جبل الصفا يدعو قومه، فعن عبد الله بن عَبَّاس رضي الله عنهما قال: صَعِدَ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم الصَّفَا ذَاتَ يَوْمٍ فقال: **«يا صَبَاحَاهْ، فَاجْتَمَعَتْ إليه قُرَيْشٌ، قالوا: مالك؟ قال: أَرَأَيْتُمْ لو أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ الْعَدُوَّ يُصَبِّحُكُمْ أو يُمَسِّيكُمْ، أَمَا كُنْتُمْ تصدقونني؟ قالوا: بَلَى، قال: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بين يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، فقال أبو لَهَبٍ: تَبًّا لك، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فَأَنْزَلَ الله: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ﴿١﴾﴾**، (سورة المسد، الآية: ١)[(١)].

ونشر صلى الله عليه وعلى آله وسلم دعوته بين القبائل، فعن جابر ابن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه: (أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لبث عشر سنين يتبع الناس، في منازلهم، في الموسم، ومجنة، وعكاظ،

---

(١) صحيح البخاري، بَاب قَوْلُهُ: ﴿...إِنْ هُوَ إلا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾، (سورة سبأ، الآية: ٤٦)، حديث رقم ٤٥٢٣.

ومنازلهم من مني، من يؤويني، من ينصرني حتى أبلغ رسالات ربي فله الجنة، فلا يجد أحدا ينصره ولا يؤويه)[1].

ومن ذلك خروجه صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى الطائف، وإرساله الرسل والرسائل، واتخاذه المنبر لخطبه، وأمره بكتابة الوحي والحديث، إلى غير ذلك من وسائل اتصال سخرها عليه الصلاة والسلام لخدمة دينه وتبليغ رسالة ربه.

وقد تطورت وسائل الاتصال عبر الزمان حتى تجاوزت الحدود والحواجز، واخترقت الخصوصيات، وأصبحت في العصر الحاضر تشكل ملامح ثورة تقنية حديثة، جعلت من التقنيات الفضائية، والشبكات العنكبوتية، والرسائل اللاسلكية مظاهر لها، فانتشرت الفضائيات، وتوسعت خدمات الشبكات والاتصالات وتنوعت، ملبية متطلبات التطور البشري، حتى أصبحت من أبرز ميادين التدافع بين الناس في عصرنا الحاضر.

وقد استخدمت هذه الوسائل استخدامات متعددة، بدءاً من نشر الأفكار والمعتقدات والمناهج والاتجاهات، إلى الترويج والتزيين وتلبية الرغبات، إلى وسائل للتنسيق والترتيب والتواصل بين الدول والمؤسسات والشركات، سواء منها الرسمي أو الشعبي، المسموح له بممارسة النشاط أو الممنوع، الموجه للخير أو للشر، فكثرت القنوات والمواقع الفكرية والعلمية والدعوية والاجتماعية والسياسية...، سواء منها المعروف من

---

(١) المستدرك على الصحيحين، باب ذكر أخبار سيد المرسلين وخاتم النبيين، حديث رقم ٤٢٥١، وقال عنه الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد جامع لبيعة العقبة ولم يخرجاه»، قال عنه الذهبي في التلخيص: صحيح.

حيث مصدره وتوجهه، أو المجهول المستتر، حتى لا نكاد نرى دولة أو مؤسسة أو مركزا أو شركة أو أفرادا أحيانا إلا ولهم منها نصيب.

وفي مقابل هذا المد السريع قامت جهود كبيرة واستخدمت تقنيات كثيرة للرقابة والمتابعة، والتضييق والحجب، إلا أن ثورة الاتصال قد تجاوزت تلك الحدود الرقابية، مما جعل منها ميدانا من الميادين التي يتسابق فيها أطراف التدافع المختلفة.

وقد تعددت وسائل الاتصال عبر وسائل الإعلام فتجاوزت الدعوات المباشرة إلى مناهج وأساليب حديثة في الإقناع الشعوري واللاشعوري، حتى قامت مؤسسات متخصصة في مجال الإعلام والدعاية، لها نظمها وقوانينها، مما يؤكد أهمية ميدان الإعلام والدعاية في العصر الحاضر في تفعيل التدافع السلمي والحربي على حد سواء.

٨- التدافع الصناعي والتقني:

الصناعة هي احتراف الإنسان في أمر من الأمور التي يمارسها ويمهر فيها، فقد جاء في المعجم الوسيط: «الصانع: من يصنع بيديه ومن يحترف الصناعة، جمعها: صناع، ويقال: امرأة صانعة اليدين، ماهرة حاذقة مجيدة في عمل اليدين، جمعها صوانع، الصناع: خشب ونحوه يوضع في مجرى الماء لحبسه، والماهر في الصناعة، يقال: رجل أو امرأة صناع اليد أو اليدين: ماهر أو ماهرة في العمل باليدين...، الصناعة: حرفة الصانع، وكل علم أو فن مارسه الإنسان حتى يمهر فيه، و يصبح حرفة له، الصناعية: يقال: قوم صناعية: يحسنون جمع المال واستثماره»[١].

(١) المعجم الوسيط، ج ١، ص ٥٢٥.

وعرف المهندس علي بن محمد الخنيني التقنية بقوله: «علم أو فن الحرفة أو الصنعة»[1]، فلكل صنعة وحرفة قواعدها وأصولها، وآلياتها، وسائلها، التي تشكل منها فنا أو علما، فيقال علم أو تقنية كذا، وعلم أو تقنية كذا...، وفقه هذا الفن والعلم به، والحذق في تطبيقه يعتبر إتقانا.

وبهذا يمكن ربط المصطلح بالإتقان، فالإتقان هو إحكام الأمر، جاء في لسان العرب: «أتقن الشيء: أحكمه، وإتقانه: إحكامه، والإتقان: الإحكام للأشياء،...، ورجل تِقْن وتَقِن: متقن للأشياء حاذق»[2]، وإتقان الأمر معتبر في الحرفة والصنعة، وهو معبر عن الخبرة والتمكن من العلم والفن الخاص بالموضوع.

والصناعة والتقنية الحديثة أصبحت من أهم مقومات تقدم الأمم ورقيها، حتى إن بعض الأمم جعلت من الصناعة أولى اختياراتها في التدافع العالمي، وسخرت لذلك قدراتها حتى فاقت على غيرها في هذا المجال.

وقد أنشئت كليات متخصصة للتعليم والتأهيل التقني تقوم بتخريج الكوادر الفنية المؤهلة علمياً وعملياً للعمل في المجالات الفنية التي تسهم بشكل مباشر في بناء الاقتصاد الوطني.

---

(١) انظر: موقع الكلية التقنية بالزلفي، (http://www.zct.edu.sa).

(٢) لسان العرب، ج ١٣، ص ٧٣.

والصناعة سبيل لتسخير وتيسير الحياة، وهي مجال يحتضن الخبرات الفكرية والقدرات الجسدية في الشعوب والمجتمعات، ويسخرها لخدمة الأمة ورقيها، كما أن الصناعة من أهم مقدمات التجارة التي تسهم في الرقي الاقتصادي للأمم والشعوب.

بل أصبح المجال الصناعي من أبرز معايير تقييم مستوى الرقي الحضاري والمادي لحياة الأمم والشعوب، وقد أسهم الجانب الصناعي في أبعاد أخرى اقتصادية وسياسية واجتماعية...

ومن هنا كانت الصناعة من أبرز ميادين التدافع التي استطاعت بعض الأمم من خلاله التفوق على غيرها.

٩- التدافع العسكري:

يطلق مصطلح العسكر على جانب الإعداد المعنوي والمادي للحماية والمواجهة، فقد جاء في لسان العرب: «عسكر، العسكرة: الشدة والجدب...، والعسكر، الجمع فارسي، وقال ابن الأعرابي: العسكر: الكثير من كل شيء، يقال: عسكر من رجال وخيل وكلاب...، وعسكر الليل: تراكمت ظلمته، وعسكر بالمكان: تجمع، والعسكر: مجتمع الجيش...، والعسكر الجيش»[(١)].

وقد حث الله تعالى المسلمين على الإعداد للحماية والمواجهة، فقال سبحانه: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا

---

(١) لسان العرب، ج ٤، ص ٥٦٧- ٥٦٨.

تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾، (سورة الأنفال، الآية: ٦٠)، وعن سَلَمَةَ بن الأَكْوَع رضي الله عنه قال: مَرَّ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم على نَفَرٍ من أَسْلَمَ يَنْتَضِلُونَ[1]، فقال: النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**ارْمُوا بَنِي إِسْمَاعِيلَ فإن أَبَاكُمْ كان رَامِيًا ارْمُوا وأنا مع بَنِي فُلانٍ قال فَأَمْسَكَ أَحَدُ الْفَرِيقَيْنِ بِأَيْدِيهِمْ**، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**ما لَكُمْ لا تَرْمُونَ؟ قالوا: كَيْفَ نَرْمِي وَأَنْتَ مَعَهُمْ! فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ارْمُوا فَأَنَا مَعَكُمْ كُلِّكُمْ**»[2].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «علموا أولادكم السباحة والرمي والفروسية»[3].

فالإعداد العسكري من الناحية البشرية والتقنية والصناعية يعتبر مطلبا من مطالب التدافع الحضاري المعاصرة التي تتسابق فيه الأمم، وتسعى إلى التميز فيه، وذلك لتحافظ الأمم والشعوب على حقوقها وممتلكاتها، وفرض مكانتها وهيبتها على غيرها، بل هو وسيلة إلى تنفيذ إرادتها والسيطرة على غيرها، والتحكم فيه، حتى أصبح سباق التسلح في الشرق والغرب من أبرز مقومات التدافع في هذا العصر.

---

(١) ينتضلون: أي يرتمون بالسهام، النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي، ج ٥، ص ٧١، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

(٢) صحيح البخاري، باب التحريض على الرمي، حديث رقم ٢٧٤٣.

(٣) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، لعلاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، تحقيق: محمود عمر الدمياطي، ج ٤، ص ٢٠٠، فصل في آداب متفرقة، الأثر رقم ١١٣٨٦، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م، الطبعة: الأولى.

ومع أهمية الجانب العسكري في استقرار الأمم والشعوب، وحاجتهم إليه لحماية أنفسهم وحقوقهم، فإن بعضا من الأمم تجاوزت الحدود، وطغت في استخدام تلك الوسيلة، حتى أصبحت نقمة وخطرا على العالم، تعقد له المؤتمرات وتفرض من أجله القيود والحدود، ويوقع من أجله على المواثيق والعهود...

ومن هنا كان الجانب العسكري من أبرز مجالات التدافع المعاصرة.

إلى غير ذلك من مجالات تتسابق فيها القوى المختلفة لتكون لها العزة والظهور على الآخر...

●●●●●

المبحث الثالث
آليات التدافع ووسائله

آليات التدافع ووسائله القلبية:

الصبر والتحمل.

الفداء والتضحية.

آليات التدافع ووسائله العقلية:

التخطيط والترتيب.

الحوار والمجادلة.

آليات التدافع ووسائله الحركية:

التسابق والمنافسة.

التسخير والاستسلام.

التعاون والمظاهرة.

التفاوض والموادعة.

التكتل والتجمع.

المداراة والمجاملة.

المواجهة والقتال.

الهجرة والتنقل.

المبحث الثالث

آليات التدافع ووسائله

سبق الحديث عن سنة التدافع من حيث إنها سنة كونية، لها أبعادها المتعددة، من تكامل وتتميم، إلى تصادم وتصارع، ولها ميادينها المتنوعة، وأشكالها المختلفة، بما يستوعب نطاق الحضارة بأوسع معانيها، مما يوسع نطاق الوسائل والآليات التي تقوم عليها، فقد أخذ التدافع آليات ووسائل متعددة، في تطوراته الزمانية والمكانية، سواء منها المعنوي أو المادي، والسلمي التوافقي أو الحربي القتالي، وبينهما درجات متفاوتة.

ولما كان التدافع تفاعل بين أطراف متعددة من القوى التي يحركها الإنسان، منها ما يقوم على جوانب الخير ومجالاته، ومنها ما يقوم على جوانب الشر ومتاهاته، فقد تنوعت آلياته ووسائله، بناء على تنوع مكونات الإنسان ومركباته، فمن آليات ووسائل قلبية وعاطفية، إلى وسائل عقلية وفكرية، إلى وسائل عملية وحركية، ، كما تنوعت هذه الآليات والوسائل لتشمل صور وأشكال التدافع المتنوعة الإيجابي منها والسلبي، والتوافقي أو التضادي، كما سبق بيانه عند تعريف سنة التدافع، فتارة يكون التدافع بمعنى التكامل والتتميم، بالتعاون والتفاهم والتوفيق، وتارة يكون التدافع بالمواجهة والتصادم والتصارع والتحييد، وفي كل الأحوال التوافقية والتصادمية يتحقق التدافع بمعناه الشامل، ومجالاته المتعددة.

قال الأستاذ عمر عبيد حسنه –حفظه الله –: «فالصراع والتدافع،

هو سبيل الحيوية والنمو والازدياد، وعلامة الحياة والاستمرار، ابتداءا من الخلية، وانتهاءاً بالحياة الحية.. وهو إحدى محركات الحياة الاجتماعية، وامتداد التاريخ البشري، وله صوره المتعددة، وشوكاته المتنوعة، من الحوار والمفاكرة، والمثاقفة والمناظرة، والقتال والمواجهة، والمنافسة والسباق، والمغالبة، كلها صور ومعارك، منها المشروع المحكوم بضوابط ليست من وضع الإنسان، ومنها ما يستخدم وسائل غير مشروعة،وكل ذلك يقع ضمن دائرة الصراع الحضاري، الذي يندفع من عقائد وأنساق معرفية، ورؤى قيمية، وأنماط حياتية وسلوكية، تمتاز بخصوصيتها، وتسعى للبرهنة على أحقيتها وإثبات وجودها، فهي أشبه ما تكون في خصوصيتها ببصمات الأصابع، وسحن الوجوه، وملامح الشخصية، لا يمكن أن تتطابق، ذلك أن التطابق يعني التوقف والموت»[1].

كما أثر في هذا التنوع لآليات ووسائل التدافع عوامل كثيرة، من أهمها القدرات المتفاوتة والمختلفة للأطراف المتدافعة، واختلاف الأحوال والظروف، وتطورات الزمان والمكان، فإن كانت سنة التدافع سنة من سنن الله تعالى الثابتة في خلقه، فإن وسائلها وآلياتها وصورها متعددة ومتجددة ومتباينة.

وقد وجه الله تعالى إلى حسن المدافعة في جميع الأحوال، وذلك بما يتناسب معها، قال سبحانه: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾، (سورة فصلت، الآية: ٣٤)، جاء في تفسير البيضاوي: «﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: ادفع السيئة حيث

(١) مقدمة كتاب الإسلام وصراع الحضارات، للدكتور أحمد القديري، ص ١٠- ١١، سلسلة كتاب الأمة، العدد ٤٤، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

اعترضتك بالتي هي أحسن منها، وهي الحسنة، على أن المراد بالأحسن: الزائد مطلقا، أو بأحسن ما يمكن دفعها به من الحسنات»[1].

كما ذم سبحانه من أعرض عن المدافعة حين مناسبتها، فقال جل شأنه: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَـٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَـٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾﴾، (سورة آل عمران، الآية: ١٦٧)، جاء في التفسير الكبير: «قوله: ﴿قَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ﴾، يعني: إن كان في قلبكم حب الدين والإسلام، فقاتلوا للدين والإسلام، وإن لم تكونوا كذلك، فقاتلوا دفعاً عن أنفسكم وأهليكم وأموالكم، يعني: كونوا إما من رجال الدين أو من رجال الدنيا...»[2].

ومن أبرز آليات التدافع ووسائله المعاصرة:

الآليات والوسائل القلبية أو العاطفية:

١ - الصبر والتحمل:

الصبر هو حبس النفس عند الشدائد، «وأَصلُ الصَّبْرِ: الحَبْسُ، وكلُّ منْ حَبَسَ شَيْئاً فقد صَبَرَه...، وقال الجَوْهَرِيّ: الصَّبْرُ: حَبْسُ النَّفْسِ عندَ الجَـزَعِ...، وقيل: الصَّبْرُ: أَنْ تَرْضَى بتَلَفِ نَفْسِكَ في رِضَا من تُحِبّه...»[3].

---

(١) ج ٥، ص ١١٥.

(٢) ج ٩، ص ٦٩.

(٣) تاج العروس، ج ١٢، ص ٢٧١- ٢٧٣.

والصبر يحتاجه الإنسان في تدافعاته الداخلية بين دواعي الخير والفطرة السليمة، وبين سطوة الشر ولمته الشيطانية، إضافة إلى الحاجة إليه في الحياة وظروفها وتحدياتها الشديدة، ومن هنا فقد جاء التوجيه القرآني إلى أهمية الصبر، والاستعانة به على تحمل الرسالة، وأداء الأمانة، قال جل شأنه: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾، (سورة البقرة، الآية: ٤٥)، جاء في تفسير الطبري -رحمه الله-: «قال أبو جعفر: يعني بقوله جل ثناؤه: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ﴾: استعينوا على الوفاء بعهدي الذي عاهدتموني في كتابكم، من طاعتي، واتباع أمري، وترك ما تهوونه من الرياسة وحب الدنيا إلى ما تكرهونه من التسليم لأمري، واتباع رسولي محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، بالصبر عليه والصلاة»[1].

كما خص الله تعالى الصابرين بمعيته، فقال سبحانه: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾، (سورة الأنفال، الآية: ٤٦)، كما أكرم الصابرين بمحبته، فقال جل ثناؤه: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾، (سورة آل عمران، الآية: ١٤٦)، كما وجه تعالى إلى أن يكون الصبر له خالصا، وأن يستعان عليه بالصبر والتصبر، فقال سبحانه: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلا بِاللَّهِ...﴾، (سورة النحل، الآيتان:١٢٦- ١٢٧).

---

(١) تفسير الطبري، ج ١، ص ٢٥٩.

وقد أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يصبر نفسه مع عباده الصالحين، الذين صبروا على طاعة الله تعالى، وبذلوا جهدهم في سبيله، فقال جل وعلا: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾، (سورة الكهف، الآية: ٢٨)، ووعد الله تعالى الصابرين بالمقام السامي، والأجر الوافي، فقال سبحانه: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾، (سورة الزمر، الآية: ١٠).

كما وجه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أصحابه وأمته، إلى أهمية الصبر، والتصبر، فعن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ نَاسًا من الأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فلم يَسْأَلْهُ أَحَدٌ منهم إلا أَعْطَاهُ، حتى نَفِدَ ما عِنْدَهُ، فقال لهم حين نَفِدَ كُلُّ شَيْءٍ أَنْفَقَ بِيَدَيْهِ: «**ما يكون عِنْدِي من خَيْرٍ لا أَدَّخِرْهُ عَنْكُمْ، وَإِنَّهُ من يَسْتَعِفَّ يُعِفَّهُ الله، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ الله، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ الله، وَلَنْ تُعْطَوْا عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ من الصَّبْرِ**»[1].

وما يزال الصبر من أبرز الوسائل المعنوية التي يتحلى بها أطراف التدافع على تباين في قدراتهم على تحمله، وموازناتهم في مدى أهميته، واجتهاداتهم في مواضع تطلبه، سواء كان ذلك من منطلق ديني إيماني، أو مصلحي حياتي بشري، «قال محمد بن يسير:

(١) صحيح البخاري، بَاب الصَّبْرِ عن مَحَارِمِ اللَّهِ، حديث رقم ٦١٠٥.

إنّ الأمــور إذا انــسـدّت مسالكها

فـالـصَّبر يفتـق منهـا كـلَّ مـا ارتتجا

لا تـيـأسـنَّ وإن طـالـت مطالبةٌ

إذا استعنت بصبرٍ أن تـرى فرجا

أخلق بذي الصَّبر أن يحظى بحاجته

ومـدمـن الـقـرع لـلأبـواب أن يلجا[1]

٢ - الفداء والتضحية:

التضحية والفداء بذل المحبوب المقدور عليه لمحبوب ومرغوب أعظم منه، جاء في لسان العرب: «فداه وفاداه: إذا أعطى فداءه فأنقذه، وفداه بنفسه وفداه يفديه: إذا قال له جعلت فداك، وتفادوا: أي فدى بعضهم بعضا...»[2].

والفداء والتضحية في سبيل الخير والهدى من مقتضيات التدافع ومتطلباته، وهما من الصفات القلبية التي تنبثق عنها مواقف ومجاهدات عملية، فقد وصف الله تعالى رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، والمؤمنين معه بالتضحية والبذل والعطاء، فقال جل شأنه: ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾، (سورة التوبة، الآية:٨٨).

---

(١) ابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس الجالس، ج١، ص ٣٦.

(٢) لسان العرب، ج ١٥، ص ١٥١.

وعن صُهَيْب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «كان مَلِكٌ فِيمَنْ كان قَبْلَكُمْ، وكان له سَاحِرٌ، فلما كَبِرَ، قال للْمَلِك: إني قد كَبِرْتُ فابعث إلي غُلامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ، فَبَعَثَ إليه غُلامًا يُعَلِّمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إذا سَلَكَ رَاهِبٌ، فَقَعَدَ إليه وَسَمِعَ كَلامَهُ فَأَعْجَبَهُ، فَكَانَ إذا أتى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إليه، فإذا أتى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فشكى ذلك إلى الرَّاهِبِ، فقال: إذا خَشِيتَ السَّاحِرَ فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وإذا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ، فَبَيْنَمَا هو كَذَلِكَ إِذْ أتى على دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قد حَبَسَتْ الناس، فقال: الْيَوْمَ أَعْلَمُ الساحر أَفْضَلُ أَمْ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ، فَأَخَذَ حَجَرًا فقال: اللهم إن كان أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ من أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هذه الدَّابَّةَ حتى يمضي الناس، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا وَمَضَى الناس، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ، فقال له الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ أنت الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، قد بَلَغَ من أَمْرِكَ ما أَرَى، وإنك سَتُبْتَلَى، فَإِنْ ابْتُلِيتَ فلا تَدُلَّ عَلَيَّ، وكان الْغُلامُ يُبْرِئُ الأكمه وَالأَبْرَصَ ويداوي الناس من سَائِرِ الأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كان قد عمي، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ فقال: ما ها هنا لك أَجْمَعُ إن أنت شفيتني، فقال: إني لا أشفي أَحَدًا، إنما يشفي الله، فَإِنْ أنت آمَنْتَ بِاللَّهِ دَعَوْتُ الله فَشَفَاكَ، فَآمَنَ بِاللَّهِ فَشَفَاهُ الله، فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إليه كما كان يَجْلِسُ، فقال له الْمَلِكُ: من رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قال: رَبِّي، قال: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي! قال: رَبِّي وَرَبُّكَ الله، فَأَخَذَهُ فلم يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حتى دَلَّ على الْغُلامِ، فَجِيءَ بِالْغُلامِ فقال له الْمَلِكُ: أَيْ بُنَيَّ قد بَلَغَ من سِحْرِكَ ما تُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ، فقال: إني لا أشفي أَحَدًا، إنما يشفي الله، فَأَخَذَهُ فلم يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حتى دَلَّ على الرَّاهِبِ، فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ،

فَقِيلَ له: ارْجِعْ عن دِينِكَ، فَأَبَى، فَدَعَا بِالْمِئْشَارِ[1] فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ حتى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ له ارْجِعْ عن دِينِكَ فَأَبَى، فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ بِهِ حتى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلامِ فَقِيلَ له: ارْجِعْ عن دِينِكَ، فَأَبَى فَدَفَعَهُ إلى نَفَرٍ من أَصْحَابِهِ فقال: اذْهَبُوا بِهِ إلى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ فإذا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ فَإِنْ رَجَعَ عن دِينِهِ وَإِلا فَاطْرَحُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فقال: اللهم اكْفِنِيهِم بِمَا شِئْتَ، فَرَجَفَ بِهِمْ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا وَجَاءَ يمشي إلى الْمَلِكِ، فقال له الْمَلِكُ: ما فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قال: كَفَانِيهِمُ الله، فَدَفَعَهُ إلى نَفَرٍ من أَصْحَابِهِ فقال: اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ[2] فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ فَإِنْ رَجَعَ عن دِينِهِ وَإِلا فَاقْذِفُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فقال: اللهم اكْفِنِيهِم بِمَا شِئْتَ، فَانْكَفَأَتْ بِهِمْ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا، وَجَاءَ يمشي إلى الْمَلِكِ فقال له الْمَلِكُ: ما فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قال: كَفَانِيهِمُ الله فقال لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حتى تَفْعَلَ ما آمُرُكَ بِهِ، قال: وما هو؟ قال: تَجْمَعُ الناس فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصْلُبُنِي على جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا من كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعْ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلامِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إذا فَعَلْتَ ذلك قَتَلْتَنِي، فَجَمَعَ الناس فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ على جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا من كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبْدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قال: بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلامِ، ثُمَّ رَمَاهُ، فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ، فقال الناس: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلامِ، آمَنَّا

(١) المئشار بالهمز: هو المنشار بالنون، قال: وقد يترك الهمز، يقال: أشرت الخشبة أشرا، ووشرتها وشرا إذا شققتها، مثل: نشرتها نشرا، ويجمع على مآشير ومواشير، لسان العرب، ج ٤، ص ٢١.

(٢) القُرْقُور: ضرب من السفن، وقيل: هي السفينة العظيمة أو الطويلة، والقرقور من أطول السفن، وجمعه قراقير، لسان العرب، ج ٥، ص ٩٠.

بِرَبِّ الْغُلام، فأتى الْمَلِكُ فَقيلَ له: أَرَأَيْتَ ما كُنْتَ تَحْذَرُ، قد والله نَزَلَ بك حَذَرُكَ، قد آمَنَ الناس، فَأَمَرَ بالأُخْدُودِ في أَفْوَاهِ السِّكَك فَخُدَّتْ وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ، وقال: من لم يَرْجِعْ عن دِينِه فَأَحْمُوهُ فيها، أو قِيلَ له: اقْتَحِمْ، فَفَعَلُوا، حتى جَاءَتْ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لها فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فيها، فقال لها الْغُلامُ: يا أُمَّهْ اصْبِرِي فَإِنَّك على الْحَقِّ»[1].

كما حث النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أصحابه على التضحية والفداء، وتحمل الأذى في سبيل الله، فعن خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ رضي الله عنه، قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم – وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ– قُلْنَا لَهُ: أَلا تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلا تَدْعُو الله لَنَا؟ قَالَ: **«كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ فَيُجْعَلُ فيه فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِه، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِه، وَاللهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لا يَخَافُ إِلا اللهَ أَوْ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»**[2].

وما يزال الناس يبذلون من أموالهم وأملاكهم وجهودهم وأنفسهم في تحقيق مطالبهم وأهدافهم ومآربهم، في طريق الخير والرشاد، وفي طريق الشر والفساد، فإذا كان الله تعالى امتدح عباده المؤمنين ببذلهم الأموال والأنفس في سبيله، فقد أوضح أيضا حال الكفرة وأعداء الدين، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ

---

(١) صحيح مسلم، باب بَاب قِصَّةِ أَصْحَابِ الأُخْدُودِ وَالسَّاحِرِ وَالرَّاهِبِ وَالْغُلام، حديث رقم ٣٠٠٥.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم ٣٣٤٣.

﴿فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾، (سورة الأنفال: ٣٦).

فالفداء والتضحية من أعظم وسائل التمكين والوصول إلى المطلوب في ميدان التدافع بين الناس.

الآليات والوسائل العقلية والفكرية:

١ - التخطيط والترتيب:

التخطيط عبارة عن وضع الطرق المناسبة للوصول الأمثل إلى تحقيق الغايات والأهداف، وتنظيمها وترتيبها وكتابتها، جاء في لسان العرب: «خطط، الخط: الطريقة المستطيلة في الشيء، والجمع خطوط...، وخط القلم: أي كتب، وخط الشيء يخطه خطا: كتبه بقلم أو غيره...، والتخطيط: التسطير...، والخط: الكتابة ونحوها مما يخط»[١].

وأما الترتيب فهو وضح الشيء في مرتبته وتثبيته في مكانه المناسب من الخطة، جاء في لسان العرب: «رتب الشيء يرتب رتوبا وترتب: ثبت فلم يتحرك...، و الرتبة والمرتبة: المنزلة»[٢].

وقد أخبرنا الله تعالى عن نفسه وهو العالم بكل شيء، أنه خلق خلقه وفقا لما قدره، فقال سبحانه: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾، (سورة القمر، الآية: ٤٩)، وقال أيضا: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾﴾، (سورة الأعلى، الآيات: ١- ٣).

(١) لسان العرب، ج ٧، ص ٢٨٧.

(٢) لسان العرب، ج ١، ص ٤٠٩- ٤١٠.

كما جعل الله تعالى البصيرة من أبرز خصائص النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأصحابه في دعوتهم، فقال جل شأنه: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٠٨﴾، (سورة يوسف عليه السلام، الآية: ١٠٨).

فكان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يسير في دعوته متأنيا متدرجا، متوازنا بين إمكاناته وواقعه، محققا لأفضل المصالح، دافعا للمفاسد، مستشرفا لمستقبل دعوته، حتى رسم في بضع وعشرين سنة منهجا نبويا عظيما في الدعوة إلى الله تعالى، بدأ بالدعوة السرية، ثم الجهرية، انطلق من مكة المكرمة، ثم أسس دولة في المدينة المنورة، تعامل مع من حوله ثم توسع ونشر دعوته في الناس كافة، وتميز في تخطيطه عليه الصلاة والسلام بالتسديد والعصمة من الله تعالى، فكان في منهجه وتخطيطه قدوة لمن بعده.

ومن أبرز مظاهر التخطيط في سيرته عليه الصلاة والسلام[1]، ما رسمه لنفسه وصاحبه أبي بكر رضي الله عنه يوم الهجرة إلى المدينة المنورة، بدءا من إعداد الدابة وتأمين متطلبات السفر من زاد وعتاد ومراسل يأتيه بالأخبار، وآخر يدله على الطريق، وتغيير اتجاه سيره في الهجرة، وجلوسه في الغار أياما ثلاثة، ثم السير في الطريق متخذا بالأسباب، ومتوكلا على الله تعالى، حتى وصل المدينة المنورة محفوظا مؤيدا.

كما كان عليه الصلاة والسلام في جهاده يخطط لجيشه، ويرتب له

---

(١) انظر بحث التخطيط والدراسات المستقبلية في السنة النبوية المشرفة، للكاتب، نشر مجلة الشريعة، كلية الشريعة، جامعة الكويت، ٢٠١١م

الأمور، ويرسم له الحدود، فيختار المكان، ويقسم الجيش، ويوزع الأدوار، أملا في تحقيق النصر والظفر.

ومن مقتضيات العقل والحكمة في توجيه الحراك البشري في تفاعلاته التدافعية أن تقوم على بصيرة ورؤى واضحة، وخطط وبرامج مدروسة، تعتمد على الحقائق والتجارب، وتتعرف على الإمكانيات والقدرات المتاحة، وتحدد الآليات والوسائل المطلوبة، وتقدر النتائج والعقبات المتوقعة، وتقترح المعالجات والبدائل الممكنة...

وقد أصبح التخطيط علما وفنا، له قواعده وأسسه، وله خطواته ومعاييره، وله أهميته وضرورته، كما انتشر انتشارا كبيرا في ميادين الحياة المختلفة، وفي المستويات البشرية المتنوعة، الرسمية والشعبية، والجماعية والفردية، فلا نكاد نرى قوة من القوى البشرية، إلا ولها خططها المدروسة، وبرامجها المنظورة...

بل أصبح التخطيط في العصر الحاضر وسيلة لإدارة الحياة الشخصية، فكم من أفراد وضعوا لأنفسهم خططا خاصة، كل بحسب مجاله وعمله، ولا يزال التخطيط بمنهجياته المتنوعة، وعناصره الكثيرة، وسيلة من أهم وسائل الإنسان في ميدان التدافع على مختلف مجالاته وأبعاده.

ولا يزال التخطيط من أهم وسائل تفاعل الإنسان في ميدان التدافع على مختلف مجالاته وأبعاده.

٢ - الحوار والمجادلة:

الحوار والمجادلة عبارة عن المجاوبة والمناقشة والمخاصمة، فقد جاء في المعجم الوسيط: «حاوره محاورة وحوارا: جاوبه و جادله»[١]، وجاء فيه أيضا: «جادله مجادلة وجدالا: ناقشه وخاصمه»[٢].

والحوار والمجادلة بالحسنى منهج قرآني، وسنة نبوية، ومتطلب بشري، فقد أشار القرآن الكريم إلى الحوار وضرب عليه أمثلة متعددة، ابتداء من محاورة الله تعالى ملائكته، حيث قال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾، (سورة البقرة، الآية: ٣٠)، إلى محاورته تعالى إبليس في خلق آدم، قال جل شأنه: ﴿قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾﴾، (سورة الحجر، الآيات: ٣٢- ٣٨)، ومرورا بمحاورات الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام مع أقوامهم.

ومن ذلك محاورته صلى الله عليه وعلى آله وسلم للنساء، قال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾، (سورة المجادلة، الآية: ١).

---

(١) ج ١، ص ٢٠٥.

(٢) ج ١، ص ١١١.

وكذلك محاورته عليه الصلاة والسلام للشاب الذي جاء يستأذنه بالزنا، وللرجل الذي جاء يسأله عن تباين لونه ولون ابنه، ومحاوراته للوفود التي تقدم إليه، وحواره للمخالفين له في الدين والعقيدة، إلى غير ذلك من محاورات تؤكد استخدام النبي عليه الصلاة والسلام للحوار في سيرته.

وقد وجه الله تعالى المؤمنين إلى الإحسان في المجادلة والابتعاد عما يخرجها عن أهميتها ويبعدها عن تحقيق أهدافها، فقال سبحانه: ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾، (سورة العنكبوت، الآية: ٤٦).

فبالحوار والمجادلة الحسنة يبين الإنسان ما عنده من خير ويقدمه للناس، مدعما ما يقوله ويفعله بالأدلة الشرعية والعقلية، وبه أيضا يتعرف الإنسان على ما عند الآخرين، ويتبين أدلتهم ومآخذهم، وبه أيضا يطور الإنسان قدراته، ويدعم أفكاره ومعتقداته.

والحوار مجال للمصارحة بين الناس، وفرصة للتقارب والتكامل معهم، ووسيلة للتعاون في المتفق عليه، والإعذار في المختلف فيه، فهو طريق لمعرفة مكامن الاختلاف مع الفرقاء، ويبصر بأبعادها، ويرشد إلى أفضل السبل للتعامل معها...، مما يضيق مساحات الخلاف بين الفرقاء، ويعين على تفعيل المشتركات بينهم.

قال القرضاوي – حفظه الله –: «إن الصراع بين الحضارات ليس ضرورة توجبها طبيعة اختلاف الحضارات، فقد تستطيع الحضارات المختلفة أن تتحاور وأن تتعايش، ولا تتصارع، بل يأخذ بعضها من بعض عن طريق التلاقح والتبادل»[1].

---

(١) المسلمون والعولمة، ص ١١٦– ١١٧.

وقد أصبح الحوار فنا له أسسه ومبادئه وآدابه، وله متطلباته ومناهجه، وله مستوياته ومراحله، وله وسائله المختلفة التي تسهم في تحقيق أهدافه وثمراته، وله رجالاته الذين يحسنون تطبيقه وأداءه في الموضوعات المتنوعة.

وما زال الحوار والمجادلة، من الأساليب البشرية التي تفعل وتحرك سنة التدافع بين القوى المختلفة، سواء كان الحوار بين قوى التدافع الإيجابي أو السلبي فيما بينها، والذي يسمى بالحوار مع الذات، أو كان بين الاتجاهين المتضادين فيما بينهما، وهو ما يسمى بالحوار مع الآخر...

وأما بشأن مستقبله فيقول الأستاذ عطية الويشي -حفظه الله-: «ولعل مستقبل قضية الحوار الحضاري، مرهون بمدى استعداد كل حضارة لفهم، بل لهضم البعد الإنساني، واستيعاب قيم الخير والإيجابية في أدبيات كل حضارة أخرى بتجرد وموضوعية... يستتبع ذلك تخطيطا للعلاقات الحضارية بحيث يعكس تلك القيم بصولة عملية صادقة...»(١).

الآليات والوسائل العملية والحركية:

١ - التسابق والمنافسة:

التسابق والتنافس يشيران إلى الرغبة في الشيء والسبق في الوصول إليه، فقد جاء في لسان العرب: «تنافسنا ذلك الأمر وتنافسنا فيه: تحاسدنا وتسابقنا، وفي التنزيل العزيز: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِي ذَٰلِكَ

---

(١) حوار الحضارات، ص ٢٨٤، مكتبة المنار الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

﴿فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾، (سورة المطففين، الآية: ٢٦) أي: وفي ذلك فليتراغب المتراغبون...، ونافست في الشيء منافسة و نفاسا: إذا رغبت فيه على وجه المباراة في الكرم، وتنافسوا عليه أي: رغبوا»[1].

وجاء في تاج العروس: «التَّنَافُسُ: الرَّغْبَةُ فِي الشَّيْءِ، الإِنْفِرَادُ به، وهو منَ الشَّيْءِ النَّفِيس الجَيِّدِ في نَوعه»[2].

ومن آليات التدافع ووسائله التسابق والمسارعة في الحصول على المرغوب فيه، فالتنافس بين الناس محرك من محركات التدافع بينهم، حيث يسخر كل طرف إمكاناته، ويوجه طاقاته وقدراته للسبق في تحقيق ما يصبو إليه، والحصول على رغباته قبل غيره، أو الاستئثار والتفرد به دون الآخرين.

وقد وجه الله تعالى عباده المؤمنين إلى التسابق في الخيرات، فقال سبحانه: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾﴾، (سورة البقرة، الآية: ١٤٨)، وقد جعل الله تعالى التسابق في الخيرات من صفات المؤمنين فقال جل شأنه: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾، (سورة المؤمنون، الآية: ٦١).

كما أقر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أصحابه رضي الله عنهم في تنافسهم في الخير، فعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: جاء الْفُقَرَاءُ إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فَقَالُوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ من الأَمْوَالِ بِالدَّرَجَاتِ الْعُلا وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ، يُصَلُّونَ كما نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كما نَصُومُ،

---

(١) ج ٦، ص ٢٣٨.

(٢) ج ١٦، ص ٥٧٠.

وَلَهُمْ فَضْلٌ من أَمْوَالٍ يَحُجُّونَ بها وَيَعْتَمِرُونَ وَيُجَاهِدُونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، قال: «ألا أُحَدِّثُكُمْ بأمر إن أَخَذْتُمْ به أَدْرَكْتُمْ من سَبَقَكُمْ، ولم يُدْرِكْكُمْ أَحَدٌ بَعْدَكُمْ، وَكُنْتُمْ خَيْرَ من أَنْتُمْ بين ظَهْرَانَيْه إلا من عَمِلَ مثله، تُسَبِّحُونَ وَتَحْمَدُونَ وَتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كل صَلاةٍ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، فَاخْتَلَفْنَا بَيْنَنَا فقال بَعْضُنَا نُسَبِّحُ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ وَنَحْمَدُ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ وَنُكَبِّرُ أَرْبَعًا وَثَلاثِينَ فَرَجَعْتُ إليه، فقال: تَقُولُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ حتى يَكُونَ مِنْهُنَّ كُلِّهِنَّ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ»[1].

وحذر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من التنافس في الدنيا وترك الآخرة، والتناحر والتنافر من أجل ذلك، فعن عَمْرِو بن عَوْفٍ رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا ما يَسُرُّكُمْ، فَوَاللَّهِ ما الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا كما بُسِطَتْ على من كان قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كما تَنَافَسُوهَا وَتُلْهِيَكُمْ كما أَلْهَتْهُمْ»[2].

ومع تعدد المرغوبات في الحياة الدنيا وفي الآخرة، واختلاف المتسابقين في تحقيق مرغوباتهم، فقد توسعت مجالات التنافس والتسابق الديني والدنيوي، وسلك السالكون في سبيل ذلك طرقا كثيرة، ليبرزوا بنشاطهم هذا وسيلة من وسائل سنة التدافع بين الناس.

٢ - التسخير والاستسلام:

التسخير والاستسلام هما الخضوع والتسليم للقوي، والعمل وفقا

(١) صحيح البخاري، باب الذكر بعد الصلاة، حديث رقم ٨٠٧.

(٢) صحيح البخاري، بَاب ما يُحْذَرُ من زَهَرَةِ الدُّنْيَا وَالتَّنَافُسِ فيها، حديث رقم ٦٠٦٠.

لما يراه ويأمر به، فقد جاء في لسان العرب: «السخرة: ما تسخرت من دابة أو خادم بلا أجر ولا ثمن، ويقال: سَخَرْتُه بمعنى: سَخَّرْتُه أي قهرته وذللته...، سخره تسخيرا: كلفه عملا بلا أجرة، وكذلك تَسَخَّرَه وسخَّره يُسَخِّرُه سِخْرِيّاً وسُخْرِيّاً وسَخَرَه: كلفه ما لا يريد، وقهره، وكل مقهور مدبر لا يملك لنفسه ما يُخَلِّصه من القهر فذلك مسخر...»[1].

وهما صورة من صور العلاقة بين الأطراف والقوى التدافعية المختلفة، بحيث يكون كل طرف خادم للطرف الآخر ومسخِّر له، ومستفيد منه، أو قاهر له ومتسلط عليه، ومجبر له على فعل ما يراه...

وقد سبق التمهيد لهذه الآلية عند الحديث عن سنة التفاضل، وقول الله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾، (سورة الزخرف، الآية: ٣٢)، قال القرطبي -رحمه الله-: «(لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا): قال السدي وابن زيد: خولا وخداما يسخر الأغنياءُ الفقراءَ فيكون به بعضهم سببا لمعاش بعض، وقال قتادة والضحاك يعني ليملك بعضهم بعضا»[2].

كما أشار أبو العلاء المعري إلى ذلك في حكمة مشتهرة، حيث قال: «والنّاسُ بالنّاسِ من حَضْرٍ وبادِيَةٍ، بعضٌ لبعضٍ، وإن لم يَشعُروا، خدَم»[3]، فالتسخير والتذليل بين الناس بعضهم لبعض آلية ووسيلة من وسائل التدافع بين الناس، يسهم في تحريك القوى المختلفة،

---

(١) ج ٤، ص ٣٥٣.

(٢) القرطبي، الجامع، ج ١٦، ص ٨٣.

(٣) علي الجارم و مصطفى أمين، البلاغةُ الواضِحَةُ، ج، ١، ص ٢٤٩.

ويفعل النشاط البشري لتحقيق الأهداف المتنوعة، فكل مسخر للآخر تسخيرا سننيا...

وأما إذا تجاوز الأمر التسخير السنني إلى التسخير التسلطي، تحول الأمر إلى الخضوع والاستسلام القهري، والاستجابة المجردة عن الإرادة الذاتية للإنسان...

وقد حذر الله تعالى عباده المؤمنين من الخضوع والذل لغيره، وجعل العزة لهم في الدنيا والآخرة، فقال سبحانه: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾، (سورة المنافقون، الآية: ٨)، كما منع الله تعالى من أن يكون للكافرين على المؤمنين سلطانا، فقال جل شأنه: ﴿... وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾، (سورة النساء، الآية: ١٤١)، وقد ذم الله تعالى من طلب العزة من غيره وجعل ذلك من صفات المنافقين، قال تعالى: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾، (سورة النساء، الآيتان: ١٣٨- ١٣٩)، جاء في تفسير أبي السعود: «﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾: في محل النصب أو الرفع على الذم، بمعنى: أريد بهم الذين، أو هم الذين، وقيل: نصب على أنه صفة للمنافقين، وقوله تعالى: ﴿مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: حال من فاعل يتخذون، أي: يتخذون الكفرة أنصارا، متجاوزين ولاية المؤمنين، وكانوا يوالونهم، ويقول بعضهم لبعض: لا يتم أمر محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فتولوا اليهود، ﴿أَيَبْتَغُونَ

عِندَهُمُ الْعِزَّةَ﴾: إنكار لرأيهم، وإبطال له، وبيان لخيبة رجائهم، وقطع لأطماعهم الفارغة، والجملة معترضة، مقررة لما قبلها، أي: أيطلبون بموالاة الكفرة القوة والغلبة!، قال الواحدي: أصل العزة: الشدة، ومنه قيل للأرض الشديدة الصلبة: عزاز، وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾: تعليل لما يفيده الاستفهام الإنكاري، من بطلان رأيهم، وخيبة رجائهم، فإن انحصار جميع أفراد العزة في جنابة عز وعلا، بحيث لا ينالها إلا أولياؤه الذين كتب لهم العزة والغلبة، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾، يقضى ببطلان التعزز بغيره سبحانه وتعالى، واستحالة الانتفاع به، وقيل: هو جواب شرط محذوف، كأنه قيل: إن يبتغوا عندهم عزة فإن العزة لله»[1].

وما زال الناس فريقين فريق عزيز النفس قوي الإيمان، لا يعطي الدنية في دينه، ولا يخاف في الله لومة لائم، وفريق خاضع ذليل، يتبع الأقوياء أملا في إرضائهم، وخوفا من عقابهم، وكلا الفريقين يسهم في إبراز وسيلة من وسائل التدافع بين الناس، وآلية من آلياته.

٣ - التعاون والمظاهرة:

التعاون والمظاهرة تشيران إلى التفاهم والتساعد والمؤازرة والمساندة بين أطراف متعددة من أطراف التدافع، فقد جاء في المعجم الوسيط: «أعانه على الشيء: ساعده»[2]، وفيه أيضا: «الظهير: المعين...»[3].

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج ٢، ص ٢٤٤.

(٢) ج ٢، ص ٦٣٨.

(٣) ج ٢، ص ٥٧٨.

وقد خلق الله تعالى الإنسان في مجتمع بشري، وجعل من طبعه أن يعيش مع غيره من أبناء جنسه، وربط بينه وبين غيره بروابط متعددة، منها رابطة القرابة والنسب، والمصاهرة والانتساب، ورابطة الأرض والوطن، ورابطة الدين والملة، والرابطة الإنسانية التي تجمع الناس جميعا، فجاءت آيات القرآن الكريم في مواضع كثيرة تنادي الناس جميعا بنسبتهم إلى أبي البشر آدم عليه السلام، قال سبحانه: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾، (سورة الأعراف، الآية: ٢٧)، وقال عليه الصلاة والسلام: **«يا أَيُّهَا الناس أَلاَ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ إلا لاَ فَضْلَ لعربي على أعجمي وَلاَ لعجمي على عربي وَلاَ لأَحْمَرَ على أَسْوَدَ وَلاَ أَسْوَدَ على أَحْمَرَ إِلاَّ بِالتَّقْوَى...»**[(١)].

وحث الله تعالى عباده الذين استخلفهم في أرضه أن يتعاونوا فيما بينهم على الخير والبر، فقال سبحانه: ﴿... وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢﴾﴾، (سورة المائدة، الآية: ٢)، وجعل صلى الله عليه وعلى آله وسلم التعاون والمؤازرة صفة من صفات المؤمنين، فعن أبي مُوسَى رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: **«الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا ثُمَّ شَبَّكَ بين أَصَابِعِه»**[(٢)].

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، باب حديث رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، حديث رقم ٢٣٥٣٦، مؤسسة قرطبة، مصر، وقال عنه الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، مجمع الزوائد، ج ٣، ص ٢٦٦.

(٢) صحيح البخاري، بَاب تَعَاوُنِ الْمُؤْمِنِينَ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، حديث رقم ٥٦٨٠.

ومع كثرة الخلق في أعداهم، واختلافهم في أجناسهم، وتباينهم في قدراتهم، وتنوعهم في معارفهم وثقافاتهم، يبقى التعاون وسيلة من أهم الوسائل التي تبرز صورة التكامل والانسجام بين الناس، سواء كان هذا التعاون في سبيل الخير، أو كان في سبيل الشر، فالتعاون والتظاهر وسيلة من وسائل التدافع السلمي بين الأطراف المختلفة، يسعى إليه المتفقون لتحقيق أهداف مرحلية، أو الوصول إلى غايات مشتركة فيما بينهم.

٤ - التفاوض والموادعة:

التفاوض والموادعة يدلان على الاشتراك والمجاراة والمساواة والمصالحة، وإعطاء الأمان للآخر، وتوثيق ما اتفق عليه، فقد جاء في لسان العرب: «المفاوضة: الشركة العامة في كل شيء، وتفاوض الشريكان في المال: إذا اشتركا فيه أجمع...، وفاوضه في أمره: أي جاراه، وتفاوضوا الحديث: أخذوا فيه، وتفاوض القوم في الأمر: أي فاوض فيه بعضهم بعضا...، المفاوضة: المساواة والمشاركة، وهي مفاعلة من التفويض، كأن كل واحد منهما رد ما عنده إلى صاحبه...»[١].

وجاء في المصباح المنير: «وادعته موادعة: صالحته»[٢].

ويثمر عن هذا التفاوض المصالحة على العهود والمواثيق، و«العهد: الأمان واليمين والموثق والذمة والحفاظ والوصية...، التعهد: التحفظ بالشيء، وتجديد العهد به...، وهو أفصح من تعاهد، لأن التعاهد إنما يكون بين اثنين...»[٣].

---

(١) لسان العرب، ج ٧، ص ٢١٠.

(٢) المصباح المنير، ج ٢، ص ٦٥٣.

(٣) مختار الصحاح، ج ١، ص ١٩٢.

وقد وجه القرآن الكريم إلى قبول التفاوض والصلح مع المخالفين حتى مع الأعداء المحاربين، حرصا على تحقيق السلم بين الناس، فقال جل وعلا: ﴿ ۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ ﴾، (سورة الأنفال، الآية: ٦١)، وقد بوب البخاري رحمه الله بابا عن السلم فأسماه: «بَاب الْمُوَادَعَةِ وَالْمُصَالَحَةِ مع الْمُشْرِكِينَ بِالْمَالِ وَغَيْرِهِ وَإِثْم من لم يَفِ بِالْعَهْدِ»[1]، وعن الْبَرَاءِ بن عَازِب رضي الله عنهما قال: «صَالَحَ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم الْمُشْرِكِينَ يوم الْحُدَيْبِيَةِ على ثَلاثَةِ أَشْيَاءَ...»[2].

كما أمر الله تعالى بالوفاء بالعهد وعدم تجاوزه، قال سبحانه: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ ﴾، (سورة التوبة، الآية: ٤).

وقد عقد النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عهودا متعددة، منها العهد الذي عاهد عليه أهل المدينة المنورة من اليهود، ومنها عهده لأهل مكة يوم الحديبية، فقد قال عليه الصلاة والسلام: **«وَالَّذي نَفْسي بيده لا يسألونني خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فيها حُرُمَاتِ الله إلا أَعْطَيْتُهُمْ إيَّاهَا»**[3]، وعَنْ **الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا قَالَ: «صَالَحَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ عَلَى ثَلاثَةِ أَشْيَاءَ: عَلَى أَنَّ مَنْ أَتَاهُ مِنْ**

---

(١) صحيح البخاري.

(٢) صحيح البخاري، بَاب الصُّلْحِ مع الْمُشْرِكِينَ، حديث رقم ٢٥٥٣.

(٣) صحيح البخاري، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، حديث رقم ٢٥٨١.

الْمُشْرِكِينَ رَدَّهُ إِلَيْهِمْ وَمَنْ أَتَاهُمْ مِنْ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَرُدُّوهُ وَعَلَى أَنْ يَدْخُلَهَا مِنْ قَابِلٍ وَيُقِيمَ بِهَا ثَلاثَةَ أَيَّامٍ وَلا يَدْخُلَهَا إِلا بِجُلُبَّانِ[1] السِّلاحِ السَّيْفِ وَالْقَوْسِ وَنَحْوِهِ فَجَاءَ أَبُو جَنْدَلٍ يَحْجُلُ فِي قُيُودِهِ فَرَدَّهُ إِلَيْهِمْ»[2].

وما زالت العهود والمواثيق والمصالحات آلية من آليات التعامل بين المختلفين، على اختلاف مستوياتهم الفردية والجماعية، والرسمية والشعبية، والمحلية والعالمية.

فالتفاوض والتقارب والتنازل للآخر عن بعض الأمور مقابل الحصول على مصالح أخرى، والتصالح على ذلك، وعقد المواثيق والمعاهدات من أجل ضمان ما اتفق عليه، كل ذلك من وسائل وآليات التدافع بين الناس بدرجاته وأطره الداخلية والخارجية.

٥ - التكتل والتجمع:

التكتل والتجمع عبارة عن التقارب والتفاهم والانضمام والتوحد، فقد جاء في المعجم الوسيط: «كتل الشيء كتلا: تلزق وتلزج...، كتله: جمعه ودوره...، والناس صاروا كتلة أي: جماعة متفقة على رأي واحد، (مج)»[3]، وجاء فيه أيضا: «تجمع: انضم بعضه إلى بعض»[4].

ويعتبر التجمع والتكتل صورة متقدمة من صور التفاهم والتعاون، فإذا كان التعاون والمظاهرة يتم بالتوافق والمساندة المادية والمعنوية، ولا

---

(١) الجُلُبَّان، وروي بضم الجيم وللام وتشديد الباء، هو أوعية السلاح بما فيها، النهاية في غريب الحديث، ج ١، ص ٢٨٢، باب الجيم مع اللام.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب الصلح مع المشركين، حديث الباب.

(٣) المعجم الوسيط، ج ٢، ص ٧٧٦.

(٤) المعجم الوسيط، ج ١، ص ١٣٥.

يلزم منه التجمع والتكتل، فإن التجمع والتكتل يلزم منه الاجتماع والوحدة العملية، وتوجيه القوى نحو التدافع ﭬ مجالاته المتنوعة.

وقد حث الله تعالى عباده المؤمنين على التجمع فجعل منهم أمة واحدة، وجعل منهم إخوة ﭬ الدين، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، (سورة الحجرات، الآية: ١٠)، وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فإن الظَّنَّ أَكْذَبُ الحديث ولا تَجَسَّسُوا ولا تَحَسَّسُوا ولا تَبَاغَضُوا وَكُونُوا إِخْوَانًا ولا يَخْطُبُ الرَّجُلُ على خِطْبَةِ أَخِيهِ حتى يَنْكِحَ أو يَتْرُكَ»**[1].

كما أكد الله تعالى على أهمية الاجتماع ﭬ مواقف المواجهة مع الأعداء، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾، (سورة الصف، الآية: ٤)، وأمر صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالتطاوع والاتفاق وخاصة ﭬ المسائل العامة، فعن سَعِيدِ ابن أبي بُرْدَةَ عن أبيه عن جَدِّهِ رضي الله عنه، أَنَّ النبي صلى الله عليه وسلم بَعَثَ مُعَاذًا وَأَبَا مُوسَى إلى الْيَمَنِ، قال: **«يَسِّرَا ولا تُعَسِّرَا وَبَشِّرَا ولا تُنَفِّرَا وَتَطَاوَعَا ولا تَخْتَلِفَا»**[2].

وأوصى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالاجتماع ﭬ العمل بصورة عامة، وبين أن الله تعالى يؤيد الجماعة ويوفقها للخير والهدى، فعن ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله

---

(١) صحيح البخاري، بَاب لا يَخْطُبُ على خِطْبَةِ أَخِيه حتى يَنْكِحَ أو يَدَعَ، حديث رقم ٤٨٤٩.

(٢) صحيح البخاري، بَاب ما يُكْرَهُ من التَّنَازُعِ وَالِاخْتِلَافِ ﭬ الْحَرْبِ وَعُقُوبَةِ من عَصَى إِمَامَهُ، حديث رقم ٢٨٧٣.

وسلم قَالَ: «إِنَّ اللهَ لا يَجْمَعُ أُمَّتِي أَوْ قَالَ: أُمَّةَ مُحَمَّدٍ - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - عَلَى ضَلالَةٍ وَيَدُ الله مَعَ الْجَمَاعَةِ وَمَنْ شَذَّ شَذَّ إِلَى النَّارِ»[1].

كما حث المؤمنين على الاجتماع في كل لقاء يجمعهم، فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «...وَلا يَحِلُّ لِثَلاثَةِ نَفَرٍ يَكُونُونَ بِأَرْضِ فَلاةٍ إِلا أَمَّرُوا عَلَيْهِمْ أَحَدَهُمْ...»[2]، وأمرهم أن يبعدوا كل من يقف أمام وحدة جماعتهم، فعَنْ عَرْفَجَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم، يَقُولُ: «مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ فَاقْتُلُوهُ»[3].

وما زالت التكتلات والتجمعات تقوم على أسس وقواعد دينية ودنيوية لتحقيق السبق والمنافسة في الحصول على المرغوبات، ومواجهة التحديات، مما جعل منها وسيلة من أبرز وسائل التدافع بين الناس.

٦ - المداراة والمجاملة:

المداراة والمجاملة تشيران إلى الملاينة والمداجاة في الظاهر وإن لم تكن المحبة والصفاء في القلب، فقد جاء في مختار الصحاح: «مداراة الناس -

---

(١) سنن الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة، حديث رقم ٢٠٩٣، وقال عنه: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وقال عنه الإمام النووي - رحمه الله -: ضعيف، صحيح مسلم بشرح النووي، المجلد ٧، ج ١٣، ص ٦٧، كتاب الإمارة، باب قوله صلى الله عليه وسلم: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق...).

(٢) مسند الإمام أحمد - رحمه الله -، كتاب مسند المكثرين من الصحابة رضي الله عنهم، باب مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، حديث رقم ٦٣٦٠، وقال عنه الهيثمي: رواه أحمد والطبراني وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن وبقية رجال أحمد رجال الصحيح، مجمع الزوائد. الإصدار ٢,٠٢، المحدث، ج ٤، ص .١٤٦، كتاب البيوع، باب ما نهي عنه من البيوع، حديث رقم: ٦٣٦٢.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع، حديث رقم ٣٤٤٣.

يهمز ويلين - وهي: المداجاة والملاينة»[1]، وجاء في العين: «جاملت فلانا مجاملة: إذا لم تصف له المودة، وماسحته بالجميل»[2].

وقد وجه القرآن الكريم إلى مداراة من يتوقع منه سوء أو شرا، فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾، (سورة الأنعام، الآية: ١٠٨).

وعن عَائِشَةُ رضي الله عنها أَنَّ رَجُلا اسْتَأْذَنَ على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فقال: «**ائْذَنُوا له فَلَبِئْسَ بن الْعَشِيرَةِ أو بِئْسَ رَجُلُ الْعَشِيرَةِ، فلما دخل عليه أَلانَ له الْقَوْلَ، قالت عَائِشَةُ فقلت: يا رَسُولَ اللَّهِ قُلْتَ له الذي قُلْتَ ثُمَّ أَلَنْتَ له الْقَوْلَ! قال: يا عَائِشَةُ إِنَّ شَرَّ الناس مَنْزِلَةً عِنْدَ اللَّهِ يوم الْقِيَامَةِ من وَدَعَهُ أو تَرَكَهُ الناس اتِّقَاءَ فُحْشِهِ**»[3].

ومع أهمية المداراة والملاينة مع من يخشى شره وضرره، فإن الإسلام منع من ذلك إن أدى إلى ضرر بالدين أو بالدعوة، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾، (سورة الأحزاب، الآية: ٤٨)، جاء في تفسير أبي السعود: «نهى عن مداراتهم في أمر الدعوة واستعمال لين الجانب في التبليغ والمسامحة في الإنذار، كنى عن ذلك بالنهي عن طاعتهم مبالغة في الزجر والتنفير عن المنهي عنه،

---

(١) ج ١، ص ٨٦.

(٢) ج ٦، ص ١٤٢.

(٣) صحيح مسلم، بَاب مُدَارَاةِ من يتقي فُحْشَهُ، حديث رقم ٢٥٩١.

بنظمه في سلكها، وتصويره بصورتها ...، (ودع أذاهم): أي لا تبال بأذيتهم لك بسبب تصلبك في الدعوة والإنذار»[1].

والمداراة والمجاملة وسيلة من وسائل التدافع بين الأطراف المختلفة، ولقيام الإنسان بدوره في تحريك سنة التدافع نحو تحقيق أهدافه وغاياته لا بد أن يحسن التعامل مع الآخرين، وذلك بحكمة بالغة واستيعاب كبير، تحقيقا للمصالح المطلوبة، ودفعا للمفاسد المحذورة، فلا يحسن بالإنسان أن يعبر بصراحة عن أهدافه ومعتقداته، إن كان ذلك حاجزا له عن تحقيق النجاح في مدافعاته، كما لا يحسن تجاوز الحد في المداراة والمجاملات إن أدت إلى تفويت المصالح، والأمور تقدر بقدرها.

٧ - المواجهة والقتال:

المواجهة والقتال من الآليات الحربية في ميدان التدافع، «والمواجهة: المقابلة»[2]، و«قاتله مقاتلة وقتالا: حاربه ودافعه»[3]، و«الحرب: القتال بين فئتين»[4].

والمواجهة والقتال من الآليات التصادمية في ميدان التدافع، وهما من أقدم آليات التدافع وأخطرها أثرا، حيث عرف التاريخ البشري مواجهات كثيرة، وحروب طويلة، منها الديني ومنها الاجتماعي، ومنها الاقتصادي...، قبل الإسلام وبعده، فكان من هذه الأحداث ما يتوافق مع القيم والمبادئ الإنسانية والإسلامية، ومنها ما يتعارض معها...

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج ٧، ص ١٠٨.

(٢) مختار الصحاح، ج ١، ص ٢٩٦.

(٣) المعجم الوسيط، ج ٢، ص ٧١٥.

(٤) المعجم الوسيط، ج ١، ص ١٦٣.

وقد جعل الإسلام من المواجهة والقتال وسيلة من وسائله في مواجهة الآخر، واشتق لها مصطلحا شرعيا، له أبعاده وضوابطه وشروطه وأشكاله، وهو مصطلح الجهاد، الذي هو ذروة سنام الإسلام، بما يشمله من جهاد للنفس والهوى، وجهاد للشيطان، وجهاد للأعداء، وجهاد بالدعوة، والكتابة واللسان، إلى غير ذلك من مجالات الجهاد وأشكاله.

فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في غزوة تبوك، فقال لي: (أولا أدلك على رأس الأمر وعموده وذروة سنامه؛ أما رأس الأمر فالإسلام، فمن أسلم سلم، وأما عموده فالصلاة، وأما ذروة سنامه فالجهاد في سبيل الله)[1].

وذكر ابن القيم - رحمه الله تعالى - مراتب الجهاد، فقال: «فالجهاد أربع مراتب؛ جهاد النفس، وجهاد الشيطان، وجهاد الكفار، وجهاد المنافقين»[2]، ثم فرع مراتب لكل مرتبة من المراتب المذكورة حتى أوصلها إلى ثلاثة عشر مرتبة.

وقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالإعداد للقتال والجهاد في سبيله فقال: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾، (سورة الأنفال،

(١) مسند الإمام أحمد، باب حديث معاذ رضي الله عنه، حديث ٢٢١٢١، قال عنه الحاكم في المستدرك: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، كتاب الجهاد، حديث رقم ٢٤٠٨، ووافقه الذهبي في التلخيص.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق وتخريج وتعليق: شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ومكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة الثامنة، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، ج ٣، ص ٩-١١.

الآية:٦٠)، كما فضل الله تعالى المجاهدين بأموالهم وأنفسهم في سبيله وقت تحقق شروط القتال على القاعدين، فقال جل شأنه: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾﴾، (سورة النساء، الآية:٩٥).

وأخبر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله تعالى الجهاد في سبيله، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم سُئِلَ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: «**إِيمَانٌ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: حَجٌّ مَبْرُورٌ**»[1]، وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم قَالَ: «**رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنْ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا وَالرَّوْحَةُ يَرُوحُهَا الْعَبْدُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ الْغَدْوَةُ خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا**»[2].

وكما يقاتل المؤمنون في سبيل الحق والهدى استجابة لأمر الله تعالى، فإن أولياء الشيطان يقاتلون أيضا في سبيله، قال جل وعلا: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾، (سورة النساء، الآية: ٧٦).

وما تزال المواجهة والقتال وسيلة من وسائل وآليات التدافع بين الناس، على اختلاف مستوياته وأشكاله ووسائله.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب من قال إن الإيمان هو العمل، حديث رقم ٢٥.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل رباط يوم في سبيل الله، حديث رقم ٢٦٧٨.

٨ - الهجرة والتنقل:

الهجرة هي ترك أمر إلى ما هو أولى منه، جاء في تاج العروس: «هَجَرَه يَهْجُره هَجْرَاً بالفتح وهِجْراناً بالكسر: صَرَمَه وَقَطَعه، والهَجْرُ: ضِدُّ الوَصْل، هَجَرَ الشيءَ يَهْجُره هَجْرَاً: تَرَكَه وأَغْفَله وأَعْرَض عنه»[1].

فبالهجرة والتنقل يحافظ الإنسان على حقوقه، وبها ينشر رسالته، ومن خلالها ينمي خبراته، ويتعرف على من يشاركه في رسالته وأهدافه، فهي مظهر من مظاهر الحراك التدافعي بين الناس.

وقد وجه الله تعالى عباده المؤمنين إلى الهجرة في سبيله حيثما ضيق عليهم في حمل الأمانة وتبليغ الرسالة، وذلك إن عجزوا عن الإصلاح، فقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾، (سورة النحل، الآية: ٤١)، كما ذم الله تعالى من عباده الذين تركوا الهجرة في سبيله عند تعينها، فقال جل شأنه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾، (سورة النساء، الآية: ٩٧).

وقد أمر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أصحابه بالهجرة في سبيل الله إلى الحبشة أولا، ثم إلى المدينة المنورة ثانيا، ثم أذن له فهاجر إلى المدينة المنورة، رغم حبه لمكة المكرمة، رغبة في تبليغ رسالة الله، وأداء الأمانة التي حملها، بعد أن ضاق به أهل مكة، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ حَمْرَاءَ الزُّهْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه

(١) تاج العروس، ج ١٤، ص ٣٩٦.

وعلى آله وسلم وَاقِفًا عَلَى الْحَزْوَرَة[1]، فَقَالَ: «**وَاللهِ إِنَّك لَخَيْرُ أَرْضِ اللهِ وَأَحَبُّ أَرْضِ اللهِ إِلى اللهِ وَلَوْلا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْك مَا خَرَجْتُ**»[2].

وكانت هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من أبرز معالم تحول السياق التدافعي في الإسلام، من عهد مكي يتسم بحال الضعف والمسالمة، إلى عقد مدني تجلت فيه القوة والغلبة.

كما بين صلى الله عليه وعلى آله وسلم، تنوع أسباب الهجرة في حياة الناس فعن عُمَرَ بن الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «**الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَلامْرِئٍ ما نَوَى، فَمَنْ كانت هِجْرَتُهُ إلى اللهِ وَرَسُوله فَهِجْرَتُهُ إلى اللهِ وَرَسُولِه، وَمَنْ كانت هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا، أو امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إلى ما هَاجَرَ إليه**»[3].

وقد أصبحت الهجرة في عصرنا ظاهرة عالمية، تجتهد الدول في تقنينها والتعامل معها، حرصا على الإفادة من فوائدها وإيجابياتها، وتجاوزا لسلبياتها ومثالبها.

وما تزال الهجرة والتنقل في الأرض لحفظ الخصوصيات، ونشر الأفكار والدعوات وسيلة من الوسائل التي تستغلها الأطراف المختلفة في ميدان التدافع الإنساني. إلى غير ذلك من آليات ووسائل تسهم في تفعيل التدافع بين الناس...

●●●●●

---

(١) الحزورة: الناقة المذللة، والرابية الصغيرة، المعجم الوسيط، ج ١، ص ١٧٠، مادة حزر.

(٢) سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب في فضل مكة، حديث رقم ٣٨٦٠، وقَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ.

(٣) صحيح البخاري، بَاب الخطأ وَالنِّسْيَانِ في الْعَتَاقَةِ وَالطَّلَاقِ وَنَحْوِهِ، حديث رقم ٢٣٩٢.

الخاتمة

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تتجز الأعمال، وبرحمته تتقبل الطاعات، والصلاة والسلام على الهادي البشير، والسراج المنير، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فمن خلال هذه الدراسة لموضوع سنة التدافع من منظور إسلامي، تم التوصل إلى ما يلي:

التدبر في هذا الوجود الذي خلقه الله تعالى فأحسن خلقه وأبدعه شأن أهل المعرفة، ومن أهم مجالات التدبر في الخلق تأمل السنن الكونية التي أودعها الله تعالى في خلقه.

فقه السنن الكونية يرشد الإنسان إلى طريق الهدى والنور ليسير على بصيرة من الأمر في أعماله الدينية والدنيوية.

من السنن الكونية سنة التدافع، وهي: طريقة الله تعالى في توجيه التفاعل بين القوى المتعددة بحيث يؤثر كل منها في الآخر ويتأثر به، إيجابا أو سلبا، وذلك بصورة مستمرة ومتتابعة، تسهم في تحقيق التوازن بينها أولا، وتنتهي بظهور بعضها على بعض آخراً.

تتضمن سنة التدافع التفاعل الإيجابي في تحقيق التوازن بين القوى المتنوعة نحو التكامل والتتميم، والتفاعل السلبي في تحقيق التوازن في العلاقة بين المتضادات نحو التصادم والتصارع.

العناصر التي تحرك سنة التدافع بإذن الله، هي: الإنسان باعتباره خليفة الله في هذه الأرض، والمنهج باعتباره موجها ومؤثرا في حراك الإنسان، والكون باعتباره البيئة التي تحكم عملية التدافع، وبتفاعل الإنسان مع الكون والحياة فهما وعلما وتطبيقا وسلوكا، تتشكل القوى، وتحتشد الطاقات، وتبرز صور التدافع المتنوعة.

تتصل سنة التدافع بين الناس بعدد من السنن الكونية الأخرى، ومنها: سنة التداول بين الناس، وسنة التغيير، وسنة الإفناء والإزالة، وسنة العقاب على الطغيان، وسنة الاستبدال، وسنة التعدد والتنوع، وسنة الابتلاء والامتحان، وسنة التفاضل والتمايز، وغيرها من السنن...

تبرز سنة التدافع بين الناس من خلال المعطيات الحضارية المتنوعة للبشر، وذلك في عدد من المجالات، منها: التدافع الديني، والتدافع الفكري، والتدافع العلمي، والتدافع السياسي، والتدافع الاقتصادي، والتدافع الإعلامي، والتدافع الصناعي والتقني، والتدافع العسكري، إلى غير ذلك من مجالات للتدافع الحضاري بين الناس...

لسنة التدافع بين الناس آليات ووسائل؛ تتنوع بتنوع مكونات الإنسان، القلبية والعقلية والحركية، فمن الآليات والوسائل القلبية أو العاطفية: الصبر والتحمل، والفداء والتضحية، وغيرها، ومن الآليات والوسائل العقلية والفكرية: التخطيط والترتيب، والحوار والتفاوض، وغيرها، ومن الآليات والوسائل العملية والحركية: التعاون والمظاهرة، والتكتل والتجمع، والمداراة والمجاملة، والتسابق والمنافسة، والتسخير والاستسلام، والهجرة والتنقل، والمواجهة والقتال، إلى غير ذلك من آليات ووسائل...

من حكمة المسلم فقه المكونات الخاصة بالحضارة، وتحقيق الشمول والتوازن في تحريكها والتفاعل معها، وتنويع أساليب ووسائل الرقي فيها وتطويرها.

وفي الختام أحمده سبحانه وتعالى أن وفقني لإتمام هذه الدراسة، وأعانني على كتابتها، بمنه وكرمه، وأسأله جل شأنه أن تكون هذه الدراسة قد أسهمت في أداء بعض حقوق الدعوة الإسلامية علينا، وعالجت الموضوع الذي كتبت فيه، وبصرت به، كما أسأله تعالى أن ينفعني بما كتبت، وأن ينفع به إخواني المسلمين، وأن يجعله ذخرا لي يوم الدين، وأن يغفر لي تقصيري وزلاتي إنه سميع مجيب، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

●●●●●

المراجع

المراجع

- القرآن الكريم:
- ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق وتخريج وتعليق: شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط، (بيروت، مؤسسة الرسالة، الكويت، مكتبة المنار الإسلامية، الطبعة الثامنة، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م).
- أبو السعود محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، (بيروت، دار إحياء التراث العربي).
- أبو الفضل عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، معجم مقاليد العلوم، تحقيق: أ.د محمد إبراهيم عبادة، (مصر، القاهرة، مكتبة الآداب، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م، الطبعة: الأولى).
- أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م).
- أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي،تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، (بيروت، دار الفكر، ١٩٩٥م).
- أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، تفسير القرآن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، (السعودية، الرياض،دار الوطن، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م، الطبعة: الأولى).
- أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (القاهرة، دار الشعب).
- أحمد الراوي، الوسطية والبعد الحضاري، سلسلة الأمة الوسط، العدد ٨، (الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المركز العالمي للوسطية).

- أحمد القديري، الإسلام وصراع الحضارات، سلسلة كتاب الأمة، العدد ٤٤، (دولة قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م).
- أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي،المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، (بيروت، المكتبة العلمية).
- أحمد يوسف القرعى،العولمة وصدام الحضارات، قراءة في فكر محاضير محمد، (القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٥م).
- الحاكم المستدرك على الصحيحين.
- حسن البنا، رسائل الإمام.
- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين تحقيق: د مهدي المخزومي ود إبراهيم السامرائي، (دار ومكتبة الهلال).
- سعيد صيني، مدخل إلى الإعلام الإسلامي، (القاهرة،دار الحقيقة للإعلام الدولي، ١٤١١هـ، ١٩٩١م).
- الشريف علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م).
- صامويل هنتجتون، صدام الحضارات، ترجمة طلعت الشايب، تقديم صلاح قنصوه، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م.
- صحيح البخاري.
- صحيح مسلم.
- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، مقدمة ابن خلدون، (بيروت، دار القلم، ١٩٨٤م، الطبعة: الخامسة).
- عبد الرزاق مقري، صدام الحضارات، (مصر، المنصورة، دار الكلمة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م).

- عبد العزيز التويجري، صراع الحضارات في المفهوم الإسلامي، (منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م).
- عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين أبو البركات النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل.
- عطية الويشي، واقعنا بين العالمانية وتصادم الحضارات، سلسلة التنوير الإسلامي، العدد ٥٩، (نهضة مصر).
- فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، التفسير الكبير، (بيروت،دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى).
- فريد الأنصاري، الفجور السياسي والحركة الإسلامية، دراسة في التدافع الاجتماعي، (مصر، دار الكلمة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م).
- القاضي محمد أعلى التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، (باكستان، نشر سهيل أكاديمي لاهور، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م).
- مالك بن نبي، شروط النهضة، سلسلة مشكلات الحضارة، ترجمة عمر كامل مسقاوي، وعبد الصبور شاهين، بإشراف ندوة مالك بن نبي، (لنبان، دار الفكر المعاصر، سورية، دار الفكر، طبعة ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م).
- مجلة البيان، العدد ١٩٢.
- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، تحقيق: إبراهيم مصطفى، و أحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، (دار الدعوة).
- محمد العزالي، كيف نتعامل مع القرآن الكريم، الطبعة الأولى، دار نهضة مصر.
- محمد الغزالي، الدعوة الإسلامية في القرن الحالي، (القاهرة، دار الشروق، أولى، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م).

- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، (بيروت، مكتبة لبنان، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م).
- محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، (بيروت، اليمامة، دار ابن كثير، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، الطبعة: الثالثة).
- محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر،جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (بيروت، دار الفكر، ١٤٠٥هـ).
- محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (مؤسسة الرسالة، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م).
- محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني، شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ، الطبعة: الأولى).
- محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، إحياء علوم الدين، (بيروت، دار المعرفة).
- محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب، (بيروت، دار صادر، الطبعة: الأولى).
- محمد عبد الرؤوف المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، (بيروت، دار الفكر المعاصر، ودمشق، دار الفكر، ، ١٤١٠هـ، الطبعة: الأولى).
- محمد عمارة، احترام المقدسات، خيرية الأمة، عوامل تفوق الإسلام، سلسلة هذا هو الإسلام، رقم ٣، (القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م).

- محمد عمارة، صراع القيم بين الغرب والإسلام، سلسلة التنوير الإسلامي، العدد ٩، (نهضة مصر، ١٩٩٧م).
- محمد عمارة،الحضارات العالمية تدافع أم صراع، سلسلة التنوير الإسلامي، العدد ٢٤، (مصر،مكتبة نهضة الطبعة الأولى، ١٩٩٨م).
- محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، (دار الهداية).
- موقع الكلية التقنية بالزلفي، (http: //www. zct. edu. sa).
- يوسف القرضاوي، المسلمون والعولمة، (القاهرة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م).
- يوسف القرضاوي، ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق، (القاهرة، دار الشروق، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٥م).

فهرس الموضوعات

مَصَادِرُ قُوَةِ الأُمَّةِ الإِسْلَامِيَّة

المقدمة

المقدمة

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين، وأتم علينا النعمة، ورضي لنا الإسلام دينا، والصلاة والسلام على سيدنا محمد البشير النذير، والسراج المنير، الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، وجاهد في سبيل الله حتى أتاه اليقين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، ورضي الله عن الصحابة الأخيار، الصفوة الأبرار الذين اصطفاهم رب العزة والجلال لصحبة نبيه المختار، وعن التابعين لهم بإحسان من العلماء والدعاة العاملين، الذين ورثوا العلم عن خاتم النبيين، وعن كل من سار على دربهم واهتدى بهديهم إلى يوم الدين، فكان ممن امتدحه الله تعالى بقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾، (سورة فصلت)، وممن صدق عليهم ما رواه مُعَاوِيَة رضي الله عنه حيث قال: سمعت رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «**لا تَزَالُ طَائفَةٌ من أُمَّتِي قَائمَةً بِأَمْرِ الله لا يَضُرُّهُمْ من خَذَلَهُمْ أو خَالَفَهُمْ حتى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ على الناس**»[1]، وبعد:

فإن الله تعالى طلب إلى نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يحدث عن نعم الله تعالى عليه، قال سبحانه: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ (سورة الضحى، الآية: ١١)، فكان من شأن المقتفين أثر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يتحدثوا بنعم الله تعالى عليهم ذاكرين لها، وشاكرين المتفضل بها عليهم، ومن نعم الله تعالى على الناس خلق الكون لهم، فالله

---

(١) صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، باب قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم، حديث رقم ١٠٣٧.

عز وجل خلق الكون وأبدعه وأحسن صنعه، وهيأه وسخره للناس جميعا، قال سبحانه: ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (١٢) ﴾، (سورة فصلت، ٩-١٢)، فتبارك الله أحسن الخالقين.

كما شرع سبحانه وتعالى لخلقه شرعا قويما، ختمه برسالة الإسلام التي أراد لها أن تكون ظاهرة على الدين كله، بما حوته من مبادئ وأسس، وما دارت حوله من قيم ومثل، وما لاحظت فيه من مقاصد وكليات، وما تميزت به من خصائص ومحاسن، قال جل شأنه: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا (١٢٥) ﴾، (النساء، ١٢٥).

وأتم جل شأنه نعماءه على خلقه فأكمل لهم الدين، وجعله شاملا ظاهرا بينا، فقال سبحانه: ﴿...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۚ ...﴾، (سورة المائدة، الآية: ٣)[1]، وعن العرباض

---

(١) وعن طَارِقِ بن شِهَاب قال: جاء رَجُلٌ من الْيَهُودِ إلى عُمَرَ رضي الله عنه، فقال يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تقرؤونها لو عَلَيْنَا نَزَلَتْ مَعْشَرَ الْيَهُودِ لاتَّخَذْنَا ذلك الْيَوْمَ عِيدًا، قال: وَأَيُّ آيَةٍ؟ قال: (... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا...)، (سورة المائدة، الآية: ٣)، فقال عُمَرُ: إني لأَعْلَمُ الْيَوْمَ الذي نَزَلَتْ فيه وَالْمَكَانَ الذي نَزَلَتْ فيه، نَزَلَتْ على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بِعَرَفَاتٍ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ، صحيح مسلم، كتاب التفسير، حديث رقم ٣٠١٧.

بن سارية رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «**قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي الا هالك...**»[1].

فنالت الأمة المحمدية بما أولاها الله تعالى به من خصائص رتبة الخيرية بين الأمم، قال جل وعلا: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾، (سورة آل عمران، الآية:١١٠)، واستحقت مقام الشهادة على الناس، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ ...﴾، (سورة البقرة، الآية: ١٤٣).

ونظرا لتأثر واقع الرسالات في الوجود بحال من يحملها، فقد تأثرت الرسالة الإسلامية بحال المسلمين في كل وقت وزمان، مع احتفاظها بكل مقوماتها الخاصة ومحاسنها الناصعة، حتى أتى على المسلمين حين من الدهر كان فيه كثير منهم عن مقومات القوة في دينهم غافلين، وفي تحقيق سبل العيش المادي لحياتهم منشغلين، حيث ابتعد كثير منهم عن حمل الأمانة التي حملهم الله تعالى إياها بقوله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ

---

(١) مسند الإمام أحمد، باب حديث العرباض بن سارية، حديث رقم ١٧١٨٢، قال عنه الحاكم بعد روايته له: تابع عبد الرحمن بن عمرو على روايته عن العرباض بن سارية ثلاثة من الثقات الأثبات من أئمة أهل الشام، المستدرك، كتاب العلم، حديث رقم ٣٣١، وسكت عنه الذهبي في التلخيص.

ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾، (سورة الأحزاب، الآية: ٧٢)، فاكتفى كثير من المسلمين بأداء بعض الشعائر التعبدية التي اعتادوها في حياتهم، متكلين على وعد الله تعالى بحفظ هذا الدين، وهم يحسبون أنهم فهموا دينهم وأدوا واجبهم نحوه، وقد صدق فيهم قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كما تَدَاعَى الأَكَلَةُ إلى قَصْعَتِهَا فقال قَائِلٌ وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ قال بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ وَلَيَنْزَعَنَّ الله من صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ الله في قُلُوبِكُمْ الْوَهْنَ، فقال قَائِلٌ: يا رَسُولَ اللهِ وما الْوَهْنُ؟ قال: حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ**»[1].

وأشار الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله - إلى ذلك بقوله: «والتاريخ الإسلامي سجل لعمل أمتنا بهذا الدين، وعملها له، ورفعها لمناره، وحياطتها له، حتى لا تطفئه الرياح الهوج... والإسلام دين معصوم الأصول، بيد أن العمل له يتفاوت ويلحقه العثار والعوج...»[2].

ومع الإيمان باستمرار وجود الخير في أمة الإسلام إلى قيام الساعة، كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فيما رواه أَنَس رضي الله عنه حيث قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**مَثَلُ أُمَّتِي مَثَلُ الْمَطَرِ لا يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ**»[3]، كان من واجب الدعاة

---

(١) عن ثوبان رضي الله عنه، سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، باب في تداعي الأمم على الإسلام، حديث رقم ٤٢٩٧، وسكت عنه.

(٢) الدعوة الإسلامية في القرن الحالي، ص ٥، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

(٣) الجامع الصحيح، سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، باب ذكر خبر أوهم من لم يحكم صناعة الحديث أن آخر هذه الأمة في الفضل كأولها، حديث رقم ٢٨٦٩، وقال عنه حديث حسن غريب من هذا الوجه.

إلى الله تعالى أن يبصروا الناس بمصادر قوة دينهم، وأن يبرزوا لهم مقومات القوة في أمتهم، تحقيقا لواجبات الاستخلاف في الأرض، فقد خص الله تعالى طائفة من خلقه بحمل الأمانة وأداء الرسالة، تقوم على مصالح الدين والدنيا، وتعي حقائق الدين ومدلولاته، وتحسن التعامل مع حقائق الكون ومعطياته، وتؤدي دورها في تحقيق التفاعل بينهما، لتكون بذلك أمة وسطا، خير أمة أخرجت للناس، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ...﴾، (البقرة، ١٤٣).

قال فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي حفظه الله: «وتؤمن المدرسة الوسطية بعالمية الإسلام، وأنه رحمة للعالمين، ودعوة للناس جميعا، ولهذا لا تشغلها المشكلات المحلية عن البعد العالمي، فهي تؤمن بوحدة الأسرة البشرية، وأنها جميعا تنتمي من ناحية الخلق إلى رب واحد، ومن ناحية النسب إلى أب واحد، وتتبنى التسامح بين الأديان، والحوار بين الحضارات ناهيك بالتقريب بين المذاهب.

ولا غرو أن تؤمن بثقافة عالمية ربانية إنسانية أخلاقية، تدعو إلى الحب لا الكراهية، وإلى التسامح لا التعصب، وإلى الرفق لا العنف، وإلى الحوار لا الصراع، وإلى الحرية لا الإكراه، وإلى التنوع لا الإقصاء، وإلى السلام لا الحرب، وإلى الرحمة لا النقمة، ومما يعينها على ذلك: إيمانها بضرورة التجديد في الدين، والاجتهاد في الفقه، والانفتاح في الفكر، والإبداع في الحضارة، والشمولية في التنمية»[1].

---

(١) دراسة في فقه مقاصد الشريعة بين المقاصد الكلية والنصوص الجزئية، ليوسف القرضاوي، ص ١٥٢، دار الشروق، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

ولتقصير كثير من المسلمين في معرفتهم بمصادر القوة في دينهم وأمتهم، وإخلالهم في التعامل معها، معرفة وفهما، وعلما وتعلما، وتطبيقا وسلوكا، ونشرا وتبليغا، كان واجب العلماء الربانيين، والدعاة العاملين، والمفكرين العارفين، واجبا عظيما، يتطلب منهم تصحيح المفاهيم والمعارف الإسلامية، وتوجيه التعليم والمناهج الشرعية، وتقويم السلوك والأعمال الدعوية، وتفعيل المؤهلات والنعم الربانية، حتى تعود أمة الإسلام عزيزة قوية، خير أمة أخرجت للناس، آمرة بالمعروف، ناهية عن المنكر، مؤمنة بالله.

قال الفاروقي - رحمه الله -: «ومن المفارقات الغريبة أن هذه الأمة تجمع بين كونها الأمة الأكبر عددا من حيث عدد المنتمين إليها، والأكثر من حيث العدة المادية، لكونها أغنى الأمم في الأراضي والموارد، وفي الثروة الفكرية من مدخلي حيازتها أعظم تراث، وتفردها بعقيدة متمشية مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها، مما يجعلها هي الأقدر بين نظيراتها على الحياة، بيد أن تلك الأمة تمثل من الجانب المقابل، واحدا من أضعف مقومات النظام العالمي الراهن، وتقبع في مكانة متدنية على هرم ذلك النظام، وصورتها من هذه الزاوية هي صورة أمة ممزقة، بين تشكيلة متباينة من الدول القومية، المنقسمة على نفسها، والمتخاصمة مع الأمم الأخرى المجاورة لها، العاجزة عن إنتاج ما تستهلكه وما تحتاج إليه، وغير القادرة على الدفاع عن نفسها في مواجهة خصومها وأعدائها»[1].

---

(١) التوحيد مضامينه على الفكر والحياة، تأليف: إسماعيل راجي الفاروقي، ترجمة: السيد عمر ص ٧٢، ١٣٤١ هـ، ٢٠١٠ م.

ومن هنا برزت أصوات إسلامية إصلاحية، تحمل على عاتقها حمل لواء الدعوة إلى ما صلح به أول هذه الأمة، لتعود بالأمة الإسلامية إلى مكانتها وفاعليتها، وتصل بها إلى مقامها ورتبتها، ومع تنوع مناهج وأساليب ووسائل المصلحين والدعاة إلى الله تعالى، قامت جهود مشكورة بإبراز مكامن القوة والتمكين في الأمة الإسلامية، لتفعيلها وتنميتها، واختلفت في المنطلقات التي انطلقت منها، فكان منها ما توجه نحو القوة في الدين والملة، ومنا ما اتجه نحو القوة في الكون والمادة، ومنها ما اتجه نحو القوة البشرية الفاعلة، وهكذا...

ومع تعدد هذه الدراسات وتنوع أساليب عرضها، فقد غلب على كثير منها التداخل بين المصطلحات، والاجتزاء والاقتصار على بعض المجالات، أو عرضها في سياقات متعددة[1]، مما يؤكد ضرورة وجود

---

(١) نظرا لصعوبة حصر المؤلفات التي يمكن أن تعتبر دراسات سابقة للبحث، فأكتفي بعرض نماذج منها، انظر مثلا: كتاب: ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، ليوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م، وقد تحدث الكتاب عن بعض الأبعاد الدينية، المتعلقة بالعقيدة والشريعة والأخلاق، وذلك من خلال تفاعل الإنسان معها في السلوك الاجتماعي، ومن ثم تطرق إلى القيم الإنسانية باعتبارها تقوم على احترام الإنسان وكرامته، وقد اجتهدت في توظيف وتطوير ما يتصل بالبحث من أمور، ومن ثم عرضها، كمصدر من مصادر قوة الأمة الإسلامية، وببيان موضعها في منظومة الحضارة الإسلامية، كما توجهت الدراسة هنا لعرض القيم باعتبارها مقصودات الشارع الحكيم على اختلاف رتبها ودرجاتها، لتشكل مظلة للحراك النهضوي للأمة الإسلامية في تفاعلها الحضاري.

وانظر كتاب: مقومات الشخصية المسلمة أو الإنسان الصالح، لماجد عرسان الكيلاني، مؤسسة الريان، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م، حيث عرض لمواصفات الشخصية الصالحة، وأساليب ومتطلبات صناعتها، ومقومات تأهيلها للقيام بدورها، واختصت الدراسة هنا بعرض نموذج الإنسان المسلم بصفته محورا من محاور مصادر قوة الأمة الإسلامية، وذلك من خلال تفاعله مع الدين والحياة وتميزه عن غيره من البشر.

وانظر كتاب: العالم الإسلامي والمكائد الدولية خلال القرن الرابع عشر الهجري، لفتحي يكن، حيث ذكر في الفصل الأول: لمحة عن العالم الإسلامي، (مقدراته وثرواته وسكانه)، تمهيدا لعرض

مؤلف يجمع بين هذه المجالات، ويصنفها وفقا لمفاهيمها المصطلحية، ويجعل منها وحدة متآلفة...

إضافة إلى حاجة النهضة الإسلامية اليوم إلى تبصير بمقومات القوة في الأمة الإسلامية، تتميما لما جاء في بعض المؤلفات الإسلامية التي تؤسس لنظرية التخطيط في الدعوة الإسلامية[1] عبر رصد لواقع القوى العالمية بين مقومات القوة والضعف، مما يؤكد عالمية الدين الإسلامي وظهوره على الدين كله...

ومن هنا يمكن تحديد أهمية الموضوع بما يلي:

- حاجة الدعوة إلى تأسيس رؤى إستراتيجية شاملة، تهيئ الأجواء لتعزيز أثر الأمة الإسلامية وفاعليتها الحضارية.

- ضرورة وضع إطار منهجي لجوانب الموضوع في منظومة شاملة ومتكاملة، تبصر المسلمين بمصادر القوة في أمتهم، وتعمل على عرضها في سياق الحراك النهضوي للأمة.

- أهمية الانسجام مع طبيعة الواقع المعاصر، الذي يشهد تنافسا شديدا بين مختلف القوى الحضارية المتنوعة، نحو الانفتاح والعالمية.

وتأتي هذه الدراسة في سياق رؤية إستراتيجية شاملة، تؤطر لعناصر النهضة الإسلامية، التي ترتكز على ثلاثة عناصر؛ أما العنصر الأول

المكائد الموجهة نحو الإسلام والمسلمين، وقد أفدت من المعلومات الواردة في الكتاب، ووظفتها في سياق الخطة العامة للبحث. إلى غير ذلك من دراسات وبحوث، استثمرتها في العرض لمباحث الدراسة ومطالبها.

(١) انظر التخطيط للدعوة الإسلامية، لعلي محمد جريشة، طباعة رابطة العالم الإسلامي.

فهو الإنسان باعتباره خليفة الله في هذه الأرض، (ويراد به هنا الإنسان المسلم)، وأما العنصر الثاني فهو المنهج باعتباره موجها ومؤثرا في حراك الإنسان، (ويراد به هنا الدين الإسلامي)، وأما العنصر الثالث فهو الكون باعتباره البيئة التي تحكم الفاعلية الحضارية وتتجلى فيه صورها في هذه الحياة، وبهذا تغطي الدراسة جانب مصادر القوة في الأمة الإسلامية، بمجالاتها الكونية والدينية والبشرية، من خلال منهجية علمية تعتمد على الوصف والتحليل، واستنباط الحقائق والمعالم، منطلقة من مصادر التشريع الإسلامي الحنيف، ومستصحبة لبعض ما جاء في كتب التراث الإسلامي القديم والحديث، وملتزمة بمتطلبات البحث العلمي المتعارف عليها في مثل هذه البحوث في الأوساط الأكاديمية، من تحديد للمجال، وبيان للمنهج، وبناء للهيكل وتنصيص وتوثيق للنصوص، وذكر للمراجع والمصادر، وجاءت الدراسة وفقا للمخطط التالي:

- **المقدمة:** وفيها بيان بأهمية الموضوع وسبب اختياره، وعرض لمنهجية البحث وهيكله.

- **التمهيد:** وفيه بيان بأبرز مصطلحات البحث.

- **المبحث الأول:** مصادر قوة الأمة الإسلامية في الكون والطبيعة، وفيه خمسة مطالب: ثبات السنن الكونية، وانسجام مجالات الحياة مع الشريعة الإسلامية، والموقع الإستراتيجي، والثروات الكامنة، والمساحات الكبيرة والمتنوعة.

- **المبحث الثاني:** مصادر قوة الأمة الإسلامية في الدين والرسالة، وفيه خمسة مطالب: المبادئ الإسلامية العامة، والمقاصد الإسلامية

العامة، والقيم الإسلامية السامية، والخصائص الإسلامية العامة، والخصائص الإسلامية العامة.

- **المبحث الثالث:** مصادر قوة الأمة الإسلامية في الإنسان والفطرة، وفيه تسعة مطالب: كثرة العدد، وتنوع الأجناس، ووضوح المهام وتحديد المسؤوليات، وتنوع وتباين القدرات، والسعي إلى التزكية، واجتماع المسلمين، وانسجام طبيعة المسلم مع الشريعة، وانسجام أفراد الأمة مع الكائنات الأخرى، والتميز النوعي للمسلم.

الخاتمة: وفيها عرض لملخص البحث وأبرز توصياته، ثم المراجع والمصادر، والفهرس.

سائلا المولى عز وجل بفضله وكرمه أن يكون هذا البحث موفقا، وأن يمدني بعونه، ويوفقني بتسديده، ويمن علي بقبوله، وأن يجعله لوجهه خالصا، وللناس ناصحا، ولي يوم الحساب مخلصا، إنه خير من سئل، وأعظم من أعطى، وهو ولي التوفيق...

كتبها: د. معاذ البيانوني

●●●●●

التمهيد

التمهيد

يحسن في مقدمة هذه الدراسة بيان المصطلحات ومدلولاتها المفاهيمية، وذلك تحقيقا لمتطلبات الوعي الحضاري من جهة، وتأصيلا للتصنيف المتبع في البحث من جهة أخرى.

فالمراد بالمصادر هنا المواضع والأمور التي تستمد الأمة الإسلامية قوتها منها، فقد جاء في لسان العرب: «الصَّدْر أَعلى مقدَّم كل شيء وأَوَّله، حتى إِنهم ليقولون صَدْر النهار والليل، وصَدْر الشتاء والصيف، وما أَشبه ذلك مذكّراً... والموضع مَصْدَر، ومنه مَصادِر الأَفعال»[1].

ونظرا لكثرة مصادر القوة في الأمة الإسلامية، فسأقتصر على ذكر أبرزها من خلال محاور التفاعل الحضاري: (الكون والطبيعة، الدين والرسالة، الإنسان والفطرة)، والتي يمكن أن أعتبرها المرتكزات والأسس العامة التي قامت عليها أمة الإسلام في دينها وشريعتها ومنهاجها.

فالأسس والمرتكزات هي القواعد الأساسية التي تقوم عليها الأمة الإسلامية، فقد جاء في لسان العرب: «(أسس) الأُسُّ والأَسَس والأَساس: كل مُبْتَدَإِ شيءٍ، والأُسُّ والأَساس أَصل البناء...، وجمع الأُسِّ إِساس، مثل عُسّ وعِساس، وجمع الأَساس أُسس»[2]، وجاء في لسان العرب: «الرَّكْزُ غَرْزُكَ شيئاً منتصباً كالرمح ونحوه تَرْكُزُه رَكْزاً في مَرْكَزِه... والمَراكِزُ منابت الأَسنان، ومَرْكَزُ الجُنْدِ الموضع الذي أُمروا أَن يلزموه وأُمروا أَن

---

(١) لسان العرب، ج ٤، ص ٤٤٥-٤٤٨.

(٢) لسان العرب، ج ٦، ص ٦، المكتبة لشاملة.

لا يَبرَحُوه، ومَرْكَزُ الرجل موضعُه، يقال أَخَلَّ فلانٌ بِمَرْكَزِه...، ومَرْكَزُ الدائرة وَسَطُها...»[1].

وقد قامت أمة الإسلام على أسس ومرتكزات عظيمة وسامية، انبثقت عنها محاسن وخصائص كثيرة، من حيثيات متعددة، ومن أبرز تلك الأسس والمرتكزات:

• **الكون والحياة:** الكون والحياة هما الأساس والركيزة الأولى التي قام عليها الإسلام، لأنهما مسرح التفاعل البشري في هذه الدنيا، ومحل استخلاف الله تعالى له، وذلك من حيثيات متعددة، منها:

• **السنن والنواميس الكونية:** فقد جعل الله تعالى في كونه سننا وقوانين ثابتة، تحكم مسار الحياة في هذه الدنيا، من حيث إنها أسباب ومقدمات توصل إلى غيرها من الحقائق والنتائج، ومن هنا فقد وجه الإسلام إلى العناية بمعرفة السنن والنواميس الكونية، ودراستها دراسة نافعة، تعرف الإنسان بحقائقها، وترشده بأبعادها ونتائجها، ليسير على بصيرة من أمره في التعامل مع الكون، والسير في هذه الحياة، مع التأكيد على أنها أسباب ذرأها الله تعالى في كونه، وليست بمسببات مستقلة قائمة بذاتها، وقد جاء الإسلام دينا قويما منسجما مع هذه السنن والقوانين الكونية ومتناسقا معها بصورة عجيبة معجزة، تهدي من الناس إلى الطريق الأمثل للإفادة منها، والسبيل الأقوم للتعامل معها، ليجعل منها أساسا من أسسه ومرتكزا من مرتكزاته.

• **تغير الحياة وتقلباتها:** فقد جعل الله تعالى من طبيعة الكون

---

(١) لسان العرب، ج ٥، ص ٣٥٥.

والحياة والخلق جميعا التغير والتحول والتقلب، قال أبو البقاء صالح بن شريف الرندي - رحمه الله تعالى -:

لـكـل شــيء إذا مـا تم نقصان

فـلا يـغـر بـطـيـب الـعـيـش إنـسـان

هـي الأمـور كـمـا شـاهـدتـهـا دول

مـن سـره زمـن سـاءتـه أزمـان

وهـذه الـدار لا تـبـقـي عـلـى أحـد

ولا يـدوم عـلـى حـال لـهـا شـان[1]

● **الدين:** أما ركيزة الدين فهي الأساس والمرتكز الثاني الذي يقوم عليه الإسلام، وذلك من حيثيات متعددة، منها:

١ - المصدر الذي تستمد منه العقائد والشرائع والأحكام، وتستقى منه المكارم والفضائل والأخلاق، فالمصادر والأصول التشريعية الأصلية في الإسلام من كتاب وسنة وإجماع تعتبر أساسا من الأسس التي يقوم عليها الدين الإسلامي، ومرتكزا من المرتكزات التي يعتمد عليها.

٢ - وحدة المبادئ الإسلامية وثباتها، فقد جعل الإسلام من المبادئ الإسلامية التي تجتمع عليها أمة الإسلام قاطبة في مجال العقيدة والشريعة والأخلاق أركانا ثابتة، لا تحتمل التغيير ولا التبديل ولا التأويل

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لأحمد بن المقري التلمساني، تحقيق: إحسان عباس، الباب السابع: في نبذة مما من الله تعالى به على أهل الأندلس من توقد الأذهان، وبذلهم، ج ٤، ص ٤٨٧، دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة١، ١٩٩٧م.

لتكون أساسا من الأسس التي يقوم عليها الدين الإسلامي، ومرتكزا من مرتكزاته التي يعتمد عليها.

٣ - وحدة الغايات والمقاصد التشريعية وسموها، فقد توجه الإسلام في عقائده وشرائعه وأحكامه إلى غايات سامية، ومقاصد عظيمة، تحدد للإنسان توجهاته في الحياة، وترشده في مناهجه التي يعتمد عليها، وتصحح مساره في فهم الدين وشرائعه المختلفة.

• **الإنسان:** أما الإنسان فهو الأساس الثالث والركيزة التالية التي جعل الإسلام منها خليفة لله تعالى في أرضه واستعمره فيها، وقد جاء الإسلام مستوعبا لقدرات الإنسان ومتطلباته، من حيثيات متعددة، منها:

١ - **من حيث تكوين الإنسان:** عقله وفكره، وجسده وكيانه، ومشاعره وعواطفه، وفطرته وروحه، فقد جاء الإسلام ليحقق لكل نطاق احتياجاته ومتطلباته، ويوجهه لأداء واجباته ومهامه، وذلك بصورة متوازنة متكاملة وشاملة، تحقق للإنسان سعادته ونجاحه في دنياه وآخرته، وبهذا يكون الإنسان أساسا من الأسس التي يقوم عليها الإسلام، ومرتكزا من مرتكزاته التي يعتمد عليها.

٢ - **من حيث تفرده واجتماعه:** فقد توجه الإسلام إلى الإنسان الفرد بالتزكية والتربية والتهذيب والتأديب ليجعل منه أساسا صالحا مؤهلا للاعتماد عليه، وتحميله الأمانة، وتكليفه بها، وشرع له أحكاما خاصة تحقق له رغباته، وتلبي كل متطلباته، وتؤمن له كل احتياجاته، وتحجزه عن تجاوز حدوده ومسؤولياته، وذلك بتقدير وتوازن بين مكوناته الشخصية الخاصة، كما أن الإسلام توجه إلى الإنسان كمجتمع مكرم

يستوي مع غيره من بني جنسه، تجمع بينه روابط كثيرة، تبدأ برابطة الأخوة البشرية، لتجعل منه أمة إنسانية مجتمعة في أصولها، ومتنوعة في انتماءاتها وتوجهاتها، لتمثل كل مجموعة منها كيانا خاصا بها، وميز من بينها أمة الإسلام، التي ربطت بينها أسمى وأعظم الروابط، لما تتميز به من خصائص ومحاسن، تحقق لها القوة والاستمرار، وترقى بأفرادها عن الروابط الطينية التي تجمعهم إلى العقيدة الربانية التي توحدهم، كما جعل لكل فرد من أفراد المجتمعات البشرية حقوقا خاصة، وكلفه بواجبات عامة بعدالة تامة، تحقق للمجتمع البشري سلامته وانسجامه، ومن هنا فقد جعل الإسلام من الإنسان من حيث جنسه بصورة عامة، ومن حيث المتمسكين بدين الله وشرعه، والمنتمين إليه بصورة خاصة، أساسا من الأسس التي يقوم عليها، ومرتكزا من مرتكزاته التي يعتمد عليها.

وسأشير إلى أبرز مصادر القوة في المرتكزات السابقة وذلك في مجالاتها الثلاثة:

المصادر الكونية.

المصادر الدينية.

المصادر البشرية.

●●●●●

المبحث الأول

المصادر الكونية لقوة الأمة الإسلامية

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول

ثبات السنن الكونية وانسجامها مع الشرع الإلهي

المطلب الثاني

انسجام الحياة ومجالاتها في هذا الكون مع الدين الإسلامي

المطلب الثالث

الموقع الإستراتيجي

المطلب الرابع

الثروات الكامنة

المطلب الخامس

المساحات الكبيرة والمتنوعة

المبحث الأول

المصادر الكونية لقوة الأمة الإسلامية

خلق الله تعالى الكون فأحسنه وأبدعه، قال جل شأنه: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾﴾، (سورة السجدة، الآية: ٧)، وكان في خلق الله تعالى لهذا الكون دلائل وعبر للذين استعملوا ما وهبهم الله تعالى إياه من العقل والفكر في التأمل والتفكر، قال سبحانه: ﴿إِنَّ فِى خَلۡقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَـٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِى تَجۡرِى فِى ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَعۡقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾، (سورة البقرة، الآية: ١٦٤).

كما أوضح تعالى أنه جبل السماوات والأرض وما بينهما على طاعته، فقال: ﴿۞ قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِى يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوۡقِهَا وَبَـٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِىٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهًا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَـٰوَاتٍ فِى يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَـٰبِيحَ وَحِفۡظًاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾، (سورة فصلت، الآيات: ٩- ١١).

فكل المخلوقات تسبح بحمد الله تعالى وتخر له ساجدة خاضعة

مسلمة فطرة لا اختيارا، قال جل شأنه: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾﴾، (الإسراء، الآية: ٤٤)، وقال أيضا: ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ۩ ﴿١٥﴾﴾، (سورة الرعد، الآية: ١٥).

قال القرطبي -رحمه الله -: (قال الحسن وقتادة وغيرهما: المؤمن يسجد طوعا والكافر يسجد كرها بالسيف، وعن قتادة أيضا: يسجد الكافر كارها حين لا ينفعه الإيمان، وقال الزجاج: سجود الكافر كرها ما فيه من الخضوع وأثر الصنعة، وقال بن زيد: طوعا من دخل في الإسلام رغبة، وكرها من دخل فيه رهبة بالسيف، وقيل: طوعا من طالت مدة إسلامه فألف السجود، وكرها من يكره نفسه لله تعالى، فالآية في المؤمنين، وعلى هذا يكون معنى والأرض: وبعض من في الأرض، قال القشيري: وفي الآية مسلكان، أحدهما: أنها عامة، والمراد بها: التخصيص، فالمؤمن يسجد طوعا، وبعض الكفار يسجدون إكراها وخوفا، كالمنافقين، فالآية محمولة على هؤلاء، ذكره الفراء، وقيل على هذا القول: الآية في المؤمنين، منهم من يسجد طوعا لا يثقل عليه السجود، ومنهم من يثقل عليه لأن التزام التكليف مشقة ولكنهم يتحملون المشقة إخلاصا وإيمانا إلى أن يألفوا الحق ويمرنوا عليه، والمسلك الثاني وهو الصحيح: إجراء الآية على التعميم، وعلى هذا طريقان، أحدهما: أن المؤمن يسجد طوعا، وأما الكافر فمأمور بالسجود مؤاخذ به، والثاني وهو الحق: أن المؤمن يسجد ببدنه طوعا، وكل مخلوق من المؤمن والكافر يسجد من حيث إنه مخلوق، يسجد دلالة وحاجة إلى الصانع، وهذا كقوله: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ

﴿بِحَمْدِهِۦ﴾: وهو تسبيح دلالة لا تسبيح عبادة، ﴿وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۩﴾: أي ظلال الخلق ساجدة لله تعالى بالغدو والآصال، لأنها تبين في هذين الوقتين وتميل من ناحية إلى ناحية وذلك تصريف الله إياها على ما يشاء، وهو كقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾، (سورة النحل، الآية: ٤٨)، قاله ابن عباس وغيره، وقال مجاهد: ظل المؤمن يسجد طوعا وهو طائع، وظل الكافر يسجد كرها وهو كاره[1]".

وبهذا تتجلى لنا روعة الخلق وتسويته وتدبيره وهدايته، فالله تعالى هو الذي خلق كل شيء فأبدعه وأحسنه، وفطره على طاعته فخر لعظمته ساجدا مسبحا بحمده، حتى بدت روعة الخلق آية من آيات الله الجليلة، يهتدي إليها العقلاء، ويأنس بجمالها العارفون، فيرون ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾، (سورة النمل، الآية: ٨٨).

وقد هيأ الله جل شأنه الكون وسخره وزينه للإنسان، وجعله مسرحا لحركته ونشاطه، قال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾، (سورة لقمان، الآية: ٢٠).

ويحدد الدكتور محمد عمارة - حفظه الله - موقع الإنسان من الكون في المنظور الإسلامي بقوله: «فالإنسان بنظر الإسلام ليس الحقير

(١) الجامع لأحكام القرآن، ج ٩، ص ٣٠١- ٣٠٢.

الساعي إلى الفناء والإمحاء، وليس السيد في هذا الوجود، وإنما هو وسط بين هذين الموقعين المتطرفين!. إنه سيد في الكون دون أن يكون سيده، وله سخرت كل طاقات الطبيعة وظواهرها، لا ليكون السيد المطلق في تعامله معها، وإنما ليتعامل وإياها بسلطة وسلطان الخليفة والوكيل والنائب عن الله سبحانه وتعالى...»[1].

وبما أن الكون محور من محاور التفاعل النهضوي للأمة الإسلامية، فإنه يحسن التعرف على بعض ما ذرأه الله تعالى فيه من خصائص ومقومات تجعل من المسلمين طرفا فاعلا ومتميزا من أطراف التدافع الحضاري، وتكون لهم مصدرا من مصادر قوتهم في ميدان التدافع، فيكون لهم الظفر والتمكين والظهور والانتشار في هذا الكون الفسيح، وقد جاء المبحث في خمسة مطالب:

المطلب الأول: ثبات السنن الكونية وانسجامها مع الشرع الإلهي.

المطلب الثاني: انسجام الحياة ومجالاتها في هذا الكون مع الدين الإسلامي.

المطلب الثالث: الموقع الإستراتيجي.

المطلب الرابع: الثروات الكامنة.

المطلب الخامس: المساحات الكبيرة والمتنوعة.

●●●●●

---

(١) العطاء الحضاري للإسلام، لمحمد عمارة، ص ٤٢، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

المطلب الأول

ثبات السنن الكونية وانسجامها مع الشرع الإلهي

فالله تعالى هو الذي خلق الخلق فأبدعه وسن فيه قوانين وسننا أمرنا بتدبرها وتأملها، فقال سبحانه: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾﴾، (سورة آل عمران، الآية: ١٣٧)، كما جعل الله تعالى هذه السنن ثابتة مستمرة لا تتغير ولا تتبدل، قال جل شأنه: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾، (سورة الفتح، الآية: ٢٣).

وكما سن الله تعالى هذه السنن في كونه، شرع لعباده المؤمنين شريعة تتوافق مع هذه السنن، وتنسجم معها انسجاما يؤكد أن مصدر الخلق والشرع من الله جل وعلا، وهذا ما أكده رب العزة والجلال بقوله: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾، (سورة فصلت، الآية: ٥٣).

فهذه السنن المتعددة والثابتة تعين الإنسان على فهم الحياة وطبيعتها، ومعرفة الواقع وخصائصه، فيسير على هدى وبصيرة من أمره، ملتزما بشرع ربه، كما سار النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في دعوته، قال جل شأنه: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾، (سورة يوسف عليه السلام، الآية: ١٠٨).

بل إن الإنسان مسلما كان أم غير مسلم إذا عرف تلك السنن ودرسها،

استطاع أن ينجح في حياته المادية، وأن يسخر الكون لاحتياجاته ورغباته، لأنها قوانين ومعادلات واضحة، من سار على دربها ووفقا لمتطلباتها حصل على ثمراتها ونتائجها، فالله تعالى لا يضيع أجر من أحسن عملا، وهو القائل سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ۝٣٠﴾، (سورة الكهف، الآية: ٣٠)، وهذا ما نشاهده اليوم في الجانب المادي في الحياة الدنيا، من تطور واسع، وظهور كبير لغير المسلمين في بعض مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والعلمية وغيرها....

●●●●●

المطلب الثاني
انسجام الحياة ومجالاتها
في هذا الكون مع الدين الإسلامي

خلق الله تعالى الخلق فأبدعه، وشرع له الدين فقومه وأصلحه، فالدين الإسـلامـي منسجم متلائم مـع الحـيـاة ومجالاتها المختلفة، وتطوراتها ومتطلباتها، في جميع شؤونها وأحوالها، ومن ذلك:

١- انسجام الدين مع العلم والتقدم:

فالعلم هو قوة هذه الحياة وهو محركها وقائدها، ولأصحابه حق السيادة على الكون، وقد جعل الله تعالى دين الإسلام وملة الإسلام قائمة على العقل والتفكر والتأمل، بل جعل ذلك العلم رافدا من روافد تقوية الإيمان وتعميقه في قلوب العباد، ووسيلة من وسائل الدعوة إلى هذا الدين، ودليلا على عظمة الخالق الجليل، قال سبحانه: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾، (سورة آل عمران، الآية: ١٨).

ولهذا فقد فضل الله تعالى العلماء على سائر الناس، ورفع قدرهم، وأعلى من شأنهم، قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾، (سورة المجادلة،

الآية: ١١)، وقال أيضا: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾، (سورة الزمر، الآية: ٩).

وعَنْ أبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ذُكِرَ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم رَجُلانِ أَحَدُهُمَا عَابِدٌ وَالآخَرُ عَالِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «**فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم: إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ**»[1]. وعن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم: (**تعلموا العلم فإن تعليمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة، لأنه معالم الحلال والحرام، ومنار سبل أهل الجنة، وهو الأنس في الوحشة، والصاحب في الغربة، والمحدث في الخلوة، والدليل على السراء والضراء، والسلاح على الأعداء، والزين عند الأخلاء، يرفع الله به أقواما فيجعلهم في الخير قادة وأئمة تُقتص آثارهم، ويُقتدى بأفعالهم، ويُنتهى إلى رأيهم...، وبه يُعرف الحلال من الحرام، هو إمام العمل والعمل تابعه، ويلهمه السعداء، ويحرمه الأشقياء**)[2].

---

(١) سنن الترمذي، باب العلم، كتاب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، حديث رقم ٢٦٠٩، وقال عنه الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ.

(٢) جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، لابن عبد البر، وقف على طبعه وتصحيحه وتقييد حواشيه: إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م. وقال عن الحديث: حديث حسن جدا، ولكن ليس له إسناد قوي، ورويناه من طرق شتى موقوفا – أي على معاذ رضي الله عنه –، ج ١، ص ٥٤– ٥٥.

٢- تنظيم الدين للجانب السياسي في الحياة:

فالمسلم ينطلق في هذا الكون من شعوره بخلافته في هذه الأرض، وواجبه في تحقيق ما أمره الله تعالى به، فيقوم بحفظ الدين وسياسة الدنيا به، انطلاقا من مبدأ الشورى الراشدة، التي تلتزم شريعة الله، وتحمل المسؤولية للناس جميعا، وتؤكد على واجب الجميع نحو تحقيق الصواب في سيرها، والنجاح في خلافتها، قال سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾، (سورة الشورى، الآية: ٣٨).

٣- تنظيم الجانب الاقتصادي في الحياة:

وذلك انطلاقا من شعور أفراد أمة الإسلام بأن المال مال الله تعالى، قال سبحانه: ﴿...وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ...﴾، (سورة النور، الآية: ٣٣)، فالمال رزق من الله تعالى لعباده، يرزق من يشاء ويمنع من يشاء بيده الخير والأمر، قال جل شأنه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٣﴾ ﴾، (سورة فاطر، الآية: ٣)، وباعتبار المال عصب هذه الحياة، فقد جعل له الشارع طرقا مشروعة في الحصول عليه، وضوابط محددة في الإنفاق منه، ومتعلقات متعددة من حيث الحقوق والواجبات، وتوازنات معلومة تحقق حق الأفراد وتضمن حق المجتمع فيه، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ

فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾، (سورة الحشر، الآيتان: ٦- ٧).

وعن أبي بَـرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه قال قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم: «**لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يوم الْقِيَامَةِ حتى يُسْأَلَ عن عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ وَعَنْ مَالِهِ من أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلاهُ**»[١].

٤- تنظيم الجانب الاجتماعي في الحياة:

ويتمثل ذلك في حرص الإسلام على إعداد الفرد والجماعة إعدادا شاملا متكاملا، يجعل من الفرد امرأً صالحا، في نفسه ومزكيا لها، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾، (سورة الشمس، الآيات: ٧- ١٠).

كما يتسع صلاح الفرد في نفسه ليكون صالحا في أسرته ولبنة من لبناتها المتينة التي تحكمها ضوابط وخصائص ربانية تربط بين أفرادها وتوزع الحقوق والمسؤوليات داخلها، قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾، (سورة البقرة، الآية: ٢٢٨)، وتعتبر هذه الأسرة لبنة من لبنات الأمة الإسلامية عامة، لها حقوقها وعليها واجباتها.

---

(١) سنن الترمذي، باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص، حديث رقم ٢٤١٧، وقال عنه: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

فعن عَوْنِ بن أبي جُحَيْفَةَ عن أبيه رضي الله عنه قال: آخَى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بين سَلْمَانَ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنهما، فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً، فقال لها: ما شَأْنُكِ! قالت: أَخُوكَ أبو الدَّرْدَاءِ ليس له حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا، فَجَاءَ أبو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ له طَعَامًا فقال: كُلْ، قال: فَإِنِّي صَائِمٌ، قال: ما أنا بِآكِلٍ حتى تَأْكُلَ، قال: فَأَكَلَ، فلما كان اللَّيْلُ ذَهَبَ أبو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ، قال: نَمْ فَنَامَ ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ، فقال: نَمْ فلما كان من آخِرِ اللَّيْلِ قال سَلْمَانُ: قُمْ الآنَ، فَصَلَّيَا فقال له سَلْمَانُ: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَأَتَى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فذكر ذلك له، فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**صَدَقَ سَلْمَانُ**»[1].

٥- تنظيم الجانب الأمني في الحياة:

جعل الله تعالى من أهم مقاصد الشريعة تحقيق متطلبات الحياة الكريمة للإنسان، بحيث يأمن على نفسه وماله وعرضه وعقله ودينه، حتى كان من وعد الله تعالى لعباده المؤمنين الصادقين أن يبدلهم من بعد خوفهم أمنا، قال جل شأنه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔاۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾، (سورة النور، الآية: ٥٥).

وعن محصن الْخَطْمِيِّ رضي الله عنه، قال: قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه

---

(١) صحيح البخاري، بَاب من أَقْسَمَ على أَخِيهِ لِيُفْطِرَ فِي التَّطَوُّعِ ولم يَرَ عليه قَضَاءً إذا كان أَوْفَقَ له، حديث رقم ١٨٦٧.

وعلى آله وسلم: «**مَن أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ له الدُّنْيَا**»[1].

فحقق الإسلام المحافظة على هذه المقاصد ابتداء، كما حقق الوقاية من التعدي عليها، وشرع سبل معالجتها، وذلك بتعزيز الوازع الديني الذي زرعه الإسلام في نفوس أتباعه، وهذبهم به، والرقابة الذاتية التي تنشأ وتقوى بالعقيدة والشريعة والأخلاق الإسلامية، وتسهم في الحفاظ على هذه الضرورات والمقاصد الإسلامية، وتقي الإنسان من الوقوع فيما يخل بها، كما شرعت الضوابط والحدود والعقوبات التأديبية التي تلحق بمن وقع في تجاوز أو إساءة إلى أمن الأفراد والمجتمعات، وذلك لمعالجة الأوضاع الاستثنائية علاجا جذريا، يقضي عليها، ويجعل الرهبة والخشية رادعة عن التعدي على تلك المقاصد والضرورات لدى من ضعف لديه الوازع الديني.

إلى غير ذلك من مجالات الحياة، فالدين الإسلامي يدعو إلى تسخير الكون المادي لخدمة الإنسان، ولا يقف حائلا دون ذلك، بل يحثه ويدفعه إلى أن أفضل السبل وأحسنها للتعامل مع تطورات الحياة وتغيراتها.

●●●●●

(١) سنن الترمذي، باب في التوكل على الله، حديث رقم ٢٣٤٦، وقال عنه: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

المطلب الثالث

الموقع الإستراتيجي

جعل الله تعالى مركز انبثاق هذا الدين وأهله من نقطة نواة هذا العالم وقلبه، فقد أثبتت الدراسات الحديثة توسط مكة المكرمة لليابسة في هذه الأرض التي خلقها الله تعالى، وأشارت تلك الدراسات إلى الإعجاز العلمي في قول الحق جل وعلا: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ۝٧﴾، (سورة الشورى، الآية: ٧)[١].

وقد أعطى هذا الموقع الإستراتيجي للبلاد الإسلامية في وسط العالم بعدا إيجابيا في التواصل بين المسلمين وشعوب العالم أجمع، عبر الطرق المتنوعة البرية والجوية والبحرية، مما أسهم في توسع العالم الإسلامي إلى تلك البلاد والشعوب، وانتشار عقيدته وشريعته وقيمه وأخلاقياته فيها، ووصول أعماله وأنشطته وتجاراته إلى كافة أقطار ومناطق العالم.

وذكر الدكتور فتحي يكن – حفظه الله – هذه الخصيصة، فقال: «وتتضح أهمية هذه الإمكانات الهائلة والطاقات المتوفرة في العالم الإسلامي، خاصة من هذا الموقع الفريد الذي يحتله في قلب العالم، إذ يربط بين القارات القديمة الثلاث آسيا وأفريقيا وأوروبا بطرق المواصلات البحرية والجوية مع قارات العالم الجديد، فيكاد لا يوجد

---

(١) انظر حديث الدكتور زغلول النجار، عن هذه الآية الكريمة، http://www.ssqs.net/.

خط بحري أو جوي في العالم إلا ويمر في العالم الإسلامي، فهو ملتقى طرق العالم وتجارته، وانتقالات مواد الطاقة كالبترول والمواد الخام التي هي عصب الصناعات الحديثة في الدول المتقدمة، وهذه الأهمية القصوى لهذا العالم من حيث الموقع والطرق ووفرة الخامات، هي التي جعلته مطمع الدول الكبرى ومجال صراعاتها وهدف سيطرتها، والتي نأمل أن نكون قد وصلنا من القوة والوعي والإدراك ما يجعلنا نضع حدا لكل تلك المطامع»[1].

●●●●●

(١) الشبكة الدعوية، (http://www.daawa-info.net/books)، كتاب العالم الإسلامي والمكائد الدولية خلال القرن الرابع عشر الهجري، لفتحي يكن، الفصل الأول: لمحة عن العالم الإسلامي، (مقدراته وثرواته وسكانه).

المطلب الرابع

الثروات الكامنة

أودع الله تعالى نعمه في هذه الأرض المسخرة للإنسان، ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾، (سورة إبراهيم عليه السلام، الآية: ٣٢- ٣٤).

وخص الله تعالى البلاد الإسلامية بأعظم النعم التي أودعها في خلقه ظاهرا وباطنا، فجعل فيها من التنوع في الثروات، والتعدد في الأصناف، والكثرة في الأعداد، ما يؤهلها لأن تكون لها السيادة على العالم أجمع، قال الدكتور فتحي يكن -حفظه الله-: «يملك العالم الإسلامي إمكانات ضخمة من عناصر القوى الاقتصادية، وهي الثروات الزراعية والحيوانية والمعدنية وخامات الصناعة، بالإضافة إلى الأيدي العاملة، ثم فصل قائلا:

يملك العالم الإسلامي نحو ٣٧٥ مليون رأس من الأبقار والأغنام والماشية، ولكن الإمكانات متوفرة، ورغم عدم الاستغلال الكامل، فالعالم الإسلامي ينتج حاليا: ١٥٪ من الإنتاج العالمي للقمح والأرز، و١٠٪ من إنتاج السكر، و٩٩٪ من إنتاج التمر، كما يتفوق في إنتاج الكاكاو، فينتج منه

٤٨٪، ونخيل الزيت ٨٠٪ ، وجوز الهند ٣٥٪، والزيتون ٣٠٪، والقطن ٤٣٪، والجوت ٧٥٪، والمطاط ٨٠٪، وهو إنتاج ضخم قياسا إلى وسائل الإنتاج المتخلفة، ويحتل العالم الإسلامي بذلك المرتبة الأولى في العالم في إنتاج القطن والكاكاو والمطاط والتمر، والمركز الثاني في إنتاج القمح والزيتون، والمركز الثالث في إنتاج قصب السكر وعدد من الغلات الأخرى.

أما من حيث الثروات المعدنية فنصيب العالم الإسلامي منها وفير جدا، ويحتل المرتبة الأولى بلا منازع في عدد منها، مثل النفط ٦٠٪، والقصدير ٥٦٪ ، والكروم ٤٠٪ ، والمنجنيز والفوسفات ٢٥٪، وبوكسيت الألومنيوم ٢٣٪، وهذا من حيث النسبة إلى الإنتاج الإجمالي في العالم، ولكن له المرتبة الأولى بين المجموعات المنتجة مع الأخذ بعين الاعتبار أن الثروات المعدنية لم تستغل بعد في العديد من الدول الإسلامية.

وهذه الثروات المعدنية تضع بين أيدي العالم الإسلامي إمكانية هائلة لاستخدامها في صناعات حديثة بدلا من (تصديرها خام)، وهذا يتطلب إقامة قاعدة صناعية تكنولوجية، وهي في الطريق الآن إلى أن تأخذ مكانها"[1].

●●●●●

(١) كتاب العالم الإسلامي والمكائد الدولية خلال القرن الرابع عشر الهجري، مرجع سابق.

المطلب الخامس
المساحات الكبيرة والمتنوعة

اتسعت رقعة البلاد الإسلامية على امتداد الأرض شرقا وغربا وشمالا وجنوبا، كما اتسعت رقعة المسلمين بوجود جاليات كثيرة في بلاد غير المسلمين يسمون بالجاليات أو الأقليات، وإذا نظرنا إلى أعدادهم في بعض الدول نجدها قد تجاوزت أعداد المسلمين في بعض الدول الإسلامية، ومن هنا فإن مصطلح الأقلية أو الجالية مصطلح نسبي، بل أصبح كثير من المسلمين في تلك البلاد من المواطنين الأصليين.

وقد قامت منظمة مؤتمر العالم الإسلامي التي تجمع الدول ذات الأغلبية الإسلامية في هذا العالم، وهي: «منظمة دولية ذات عضوية دائمة في الأمم المتحدة، الدول السبع والخمسون هي دول ذات غالبية مسلمة، من منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا وغربها وآسيا الوسطى وجنوب شرق آسيا وشبه القارة الهندية، (باستثناء ألبانيا وغويانا وسورينام).

تأسست المنظمة في الرباط، المملكة المغربية، في ٢٥ سبتمبر ١٩٦٩م، حيث عقد الاجتماع الأول لزعماء العالم الإسلامي عقب أكثر من شهر من حريق الأقصى ٢١ أغسطس ١٩٦٩م. حيث طرح وقتها مبادئ الدفاع عن شرف وكرامة المسلمين المتمثلة في القدس و قبة الصخرة، وذلك كمحاولة لإيجاد قاسم مشترك بين جميع فئات المسلمين.

بعد ستة أشهر من الاجتماع الأول، مارس ١٩٧٠م، تبنى المؤتمر

الإسلامي الأول لوزراء الخارجية، في جدة، إنشاء سكرتارية عامة للمنظمة، لضمان الاتصال بين الدول الأعضاء و تنسيق عملهم.

و تم وقتها تعين أمين عام، واختيرت جدة كمقر مؤقت للمنظمة، بانتظار تحرير القدس، حيث سيكون المقر الدائم»[١].

وقال الدكتور فتحي يكن - حفظه الله -: «ومساحة اليابس التي يسيطرون عليها -أي المسلمون - تبلغ ربع الكرة الأرضية، وهذا يبين مدى الإمكانات الكامنة في حوزة هذه القوى الإسلامية، وخطورة وضرورة استغلالها والاستفادة بها، ولاتساع وتنوع المناطق التي يشملها العالم الإسلامي، فإن الأراضي الزراعية به عظيمة الامتداد والخصوبة، وفي عدة مناطق مناخية مختلفة، مما يجعل المحاصيل متنوعة ووفيرة، ولكن حتى الآن لا زال مردود الزراعة في العالم الإسلامي منخفضا، بالقياس إلى ما يتوفر فيه من إمكانيات، لعدم الوصول إلى العناية الكافية والاستخدام الآلي الحديث»[٢].

إلى غير ذلك من مصادر القوة الكونية التي سخرها الله تعالى للناس عامة وللمسلمين والبلاد الإسلامية خاصة...

●●●●●

---

(١) موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة، http://ar.wikipedia.org/wiki.

(٢) كتاب العالم الإسلامي والمكائد الدولية خلال القرن الرابع عشر الهجري، لفتحي يكن، مرجع سابق.

المبحث الثاني

المصادر الدينية لقوة الأمة الإسلامية

المطلب الأول

المبادئ الإسلامية العامة

المطلب الثاني

القيم الإسلامية السامية

المطلب الثالث

المقاصد الإسلامية العامة

المطلب الرابع

خصائص الإسلام العامة ومحاسنه

المطلب الخامس

الوعود والدوافع الربانية

المبحث الثاني

المصادر الدينية(1) لقوة الأمة الإسلامية

ختم الله تعالى رسالاته إلى خلقه برسالة الإسلام، واصطفى لها خير خلقه رسول الهدى والسلام، واختار لها الكتاب الكريم هدى ورحمة للأنام، فكان دينها دين الإسلام، وهو دين الأنبياء والرسل جميعا عليهم الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾، (سورة الشورى، الآية: ١٣)، جاء في تفسير الخازن: «قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الإيمان منذ بعث آدم عليه السلام؛ شهادة أن لا إله إلا الله، والإيمان بما جاء من عند الله، ولكل قوم شريعة ومنهاج»(2).

وعَنْ أبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى الله عَلَيْه وعلى آله وَسَلَّمَ: **«أنَا أوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَالأنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلاتٍ(3) أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ»**(4).

---

(١) انظر بحث معالم النهوض بالخطاب الإسلامي، للمؤلف، الندوة العلمية: الخطاب الديني الواقع وآفاق المستقبل، طرابلس، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م، طباعة الهيئة العامة للأوقاف وشؤون الزكاة، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية، ص ٤٤١، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.

(٢) لباب التأويل في معاني التنزيل، ج ١، ص ٤٦٤.

(٣) لعلات: الذين أمهاتهم مختلفة، وأبوهم واحد، أراد أن إيمانهم واحد، وشرائعهم مختلفة، مادة: علل، النهاية في غريب الحديث، ج٣، ص٢٩١.

(٤) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، حديث رقم ٣١٨٧.

ومن هنا كان دين الإسلام هو الدين الحق، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ...﴾، (سورة آل عمران، الآية: ١٩)، وكان الدين الذي ارتضاه الله لعباده، وختم به رسالاته فلن يقبل من خلقه دينا غير دين الإسلام بعد مجيئه، قال جل شأنه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾، (سورة آل عمران، الآية: ٨٥).

وكان هذا الدين مصدرا من مصادر قوة الأمة الإسلامية، التي أكرمها بخير كتاب أنزله، قال سبحانه: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾، (سورة الأنبياء، الآية:١٠)، وشرفها بخير نبي أرسله، قال جل شأنه: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾، (سورة آل عمران، الآية: ١٦٤)، وعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «أنا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يوم الْقِيَامَةِ وَأَوَّلُ من يَنْشَقُّ عنه الْقَبْرُ وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ»[1]، وجعلها أمة وسطا ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾، (سورة البقرة، الآية: ١٤٣).

وحفظ الله تعالى لهذه الأمة رسالتها التي أراد لها أن تكون خاتمة

(١) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، حديث رقم ٢٢٧٨.

الرسالات، قال جل وعلا: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ (٩) ﴾، (سورة الحجر، الآية: ٩)، وهيأ لها من المقومات ما تحافظ به على مكانتها، وما يدعو الناس إلى الإيمان بها، ولا تزال الآيات الكونية المشاهدة تؤكد مع تطور العلوم والمعرفة انسجامها مع الآيات القرآنية المنزلة، لتدل الناس على الحق والهدى، قال سبحانه: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ (٥٣) ﴾، (سورة فصلت، الآية: ٥٣)، حتى بدت حقائق الإسلام ظاهرة متقدمة على غيرها في مقوماتها وخصائصها، كما أراد الله تعالى لها، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا (٢٨) ﴾، (سورة الفتح، الآية: ٢٨).ولهذا أمرنا الله سبحانه وتعالى بالمحافظة على هذا الدين، وحذرنا من التفرق والاختلاف فيه، قال جل شأنه: ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ (١٣) ﴾، (سورة الشورى، الآية: ١٣)، وحذرنا أيضا من المساومة في ديننا، والتخلي عنه مهما كانت الظروف والضغوط والأحوال، قال سبحانه: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ (١) لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ (٣) وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ (٤) وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ (٦) ﴾، (سورة الكافرون، الآيات: ١-٦).

كما حذرنا سبحانه وتعالى من الخروج عن ديننا، فقال عز وجل:

﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾، (سورة البقرة، الآية: ٢١٧)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وعلى آله وَسَلَّمَ: «**مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**»[1].

ونظرا لما أراده الله تعالى لدين الإسلام وحامليه من خلود وخيرية وشهود، فقد خصه بخصائص عظيمة، ومحاسن كثيرة، جعلت منه سندا لحامليه، وعونا لمتبعيه في تحقيق الشهود الحضاري على الناس.

وقد أسهبت كثير من الكتب الفكرية والدعوية في حديثها عن خصائص الدين الإسلامي ومحاسنه، وعن قيمه ومبادئه، وتنوعت في طرق عرضها وبيانها، ومن هنا رأيت أن أدرج تلك المقومات جميعا تحت عنوان مصادر القوة في الدين الإسلامي، وذلك من خلال التعريف بمبادئ الدين الإسلامي وقيمه العظيمة، ومقاصده العامة، وخصائصه ومحاسنه الجليلة، ، مجتهدا في توضيح مفهوم كل من المبادئ والقيم والمقاصد، والخصائص والمحاسن، معرفا بمصطلحاتها، وشارحا لمفاهيمها، ومبينا لما يمكن أن يندرج من مفردات في إطارها.

وجاء هذا المبحث في خمسة مطالب، وهي:

المطلب الأول: المبادئ الإسلامية العامة.

المطلب الثاني: القيم الإسلامية السامية.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، حديث رقم ٢٧٩٤، كتاب استتابة المرتدين، حديث رقم ٦٤١١.

المطلب الثالث: المقاصد الإسلامية العامة.

المطلب الرابع: خصائص الإسلام العامة ومحاسنه.

المطلب الخامس: الوعود والدوافع الربانية.

●●●●●

المطلب الأول

المبادئ الإسلامية العامة

المبادئ الإسلامية هي المكونات الأولى والمقدمات الجامعة للدين كله، عقيدة وشريعة وأخلاقا، فـ«المبدأ: مبدأ الشيء أوله ومادته التي يتكون منها، كالنواة مبدأ النخل، أو يتركب منها، كالحروف مبدأ الكلام، (ج) مبادئ، ومبادئ العلم أو الفن أو الخلق أو الدستور أو القانون: قواعده الأساسية التي يقوم عليها ولا يخرج عنها، مج»[1].

قال فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي - حفظه الله -: «الإسلام عقيدة جوهرها التوحيد، وعبادة جوهرها الإخلاص، ومعاملة جوهرها الصدق، وخلق جوهره الرحمة، وتشريع جوهره العدل، وعمل جوهره الإتقان، وأدب جوهره الذوق، وعلاقة جوهرها الأخوة، وحضارة جوهرها التوازن»[2].

وقد جمع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، مبادئ الدين وقواعده العامة[3]، فيما رواه عنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث قال: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ، شَدِيدُ

---

(١) المعجم الوسيط، ج ١، ص ٨٨.

(٢) الصحوة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد، ليوسف القرضاوي، ص ١٥، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٦م.

(٣) أشار الشيخ علي الطنطاوي - رحمه الله - إلى مبادئ الإسلام بعرضه لما جاء في الحديث المذكور فبين أركان الإيمان والإسلام ثم الإحسان، وبعدها خص الكتاب بشرح أركان الإيمان، وكأنه يخص بالمبادئ الإسلامية أركان الإيمان، تعريف عام بدين الإسلامي، دار البشير للثقافة والعلوم، مصر، الطبعة الثالثة، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.

بَيَاض الثِّيَاب، شَدِيدُ سَوَاد الشَّعَر، لا يُرَى عَلَيْه أَثَرُ السَّفَر، وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْه إِلَى رُكْبَتَيْه، وَوَضَعَ كَفَّيْه عَلَى فَخذَيْه، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي عَنْ الإِسْلام، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: «**الإِسْلامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّه وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ، وَتُقيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْه سَبِيلا، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ الإِيمَان، قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّه، وَمَلائكَته، وَكُتُبِه، وَرُسُله، وَالْيَوْم الآخر، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَر خَيْرِه وَشَرِّه، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ الإِحْسَان، قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّه كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ السَّاعَة، قَالَ: مَا الْمَسْؤولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنْ السَّائِل، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ: أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا[1]، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ[2] رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَان، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ، فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: يَا عُمَرُ، أَتَدْرِي مَنْ السَّائِلُ؟ قُلْتُ: اللَّه وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**»[3].

وعن طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْد اللَّه رضي الله عنه قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ، ثَائرَ الرَّأْسِ، يُسْمَعُ دَوِيُّ صَوْتِه، وَلا يُفْقَهُ

---

(١) قال النووي رحمه الله: « قَالَ الأَكْثَرُونَ مِنْ الْعُلَمَاء هُوَ إِخْبَار عَنْ كَثْرَة السَّرَارِيّ وَأَوْلادهنَّ؛ فَإِنَّ وَلَدهَا مِنْ سَيِّدهَا بِمَنْزِلَة سَيِّدهَا ...»، شرح النووي على مسلم، باب الإيمان والإسلام والإحسان، ج ١، ص ٧٠.

(٢) قال النووي –رحمه الله-: «أَمَّا (الْعَالَة) فَهُمْ الْفُقَرَاء، وَالْعَائِلُ الْفَقِيرُ، وَالْعَيْلَة الْفَقْر، وَعَالَ الرَّجُل يَعِيلُ عَيْلَةً أَيْ اِفْتَقَرَ. وَالرِّعَاء بِكَسْر الرَّاء وَبِالْمَدِّ، وَيُقَال فِيهِمْ (رُعَاة) بِضَمِّ الرَّاء وَزِيَادَة الْهَاء بِلا مَدٍّ وَمَعْنَاهُ أَنَّ أَهْل الْبَادِيَة وَأَشْبَاههمْ مِنْ أَهْل الْحَاجَة وَالْفَاقَة تُبْسَط لَهُمْ الدُّنْيَا حَتَّى يَتَبَاهَوْنَ فِي الْبُنْيَان. وَاَللَّه أَعْلَمُ »، شرح النووي على مسلم، باب الإيمان والإسلام والإحسان، ج ١، ص ٧٠.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الايمان، بَاب بَيَانِ الإِيمَانِ وَالإِسْلامِ وَالإِحْسَانِ، حديث رقم ٩.

مَا يَقُولُ، حَتَّى دَنَا، فَإِذَا هُوَ يَسْأَلُ عَنْ الإِسْلام، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: لا إلا أَنْ تَطَوَّعَ، قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَصِيَامُ رَمَضَانَ، قَالَ هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ؟ قَالَ: لا إلا أَنْ تَطَوَّعَ، قَالَ: وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الزَّكَاةَ، قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا، قَالَ: لا إلا أَنْ تَطَوَّعَ، قَالَ: فَأَدْبَرَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ: وَاللَّه لا أَزِيدُ عَلَى هَذَا وَلا أَنْقُصُ، قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ**»[١].

فعقيدة المسلم قائمة على أساس الفطرة السليمة، مرتكزة على ركيزة العقل والقلب[٢]، فليست أوهاما يعتقدها الإنسان، أو طلاسم يسلم لها، وليست أحكاما عقلية مجردة بعيدة عن العواطف والمشاعر، وإنما هي عقيدة واضحة متوازنة، تدخل الطمأنينة إلى القلب، والقناعة إلى العقل، كما أنها بتعدد جوانبها وأركانها تجعل المؤمن دائم الارتباط بخالقه، متوازن التعلق بين دنياه وآخرته، مراقبا لربه ومعدا نفسه للحساب يوم لقائه، ومسخرا نفسه لتحقيق رسالته، آخذا بالأسباب، ومعتبرا للمسببات، مع توكله على الله، وتأمله الفوز بمرضاته، والتنعم بجناته، فعقيدة المسلم قوة هادية، وقوة حافزة، وقوة ضابطة، ومصدر للسكينة [٣].

والشريعة الإسلامية بعباداتها ومعاملاتها الفردية والجماعية، تحقق في المؤمنين سموا روحيا، وتزكية ذاتية، وتربية سلوكية، فتحبب إليهم التسابق في الخيرات والمكرمات، وتطهرهم من النقائص والرذائل

---

(١) صحيح البخاري، باب الزكاة من الإسلام، حديث رقم ٤٤.

(٢) انظر: ركائز الإيمان بين العقل والقلب، لمحمد الغزالي، دار الشروق، القاهرة.

(٣) انظر الصحوة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد، ليوسف القرضاوي، ص ١٨-٢٠.

والموبقات، وتعينهم على التوازن في إحسان العلاقات، وتحثهم على الإنصاف في الحصول على الحقوق وأداء الواجبات، مما يعينهم على تحقيق الأخوة والائتلاف، وتعزيز الوحدة والاجتماع[١].

وهذه المبادئ الموضوعية للدين الإسلامي تبدوا مظاهرها جلية في مبادئ الإسلام من حيث العلاقات البشرية مع الله ومع النفس ومع الآخرين[٢]، فالشريعة الإسلامية بعباداتها ومعاملاتها الفردية والجماعية، تحقق في المؤمنين سموا روحيا، وتزكية ذاتية، وتربية سلوكية، فتحبب إليهم التسابق في الخيرات والمكرمات، وتطهرهم من النقائص والرذائل والموبقات، وتعينهم على التوازن في إحسان العلاقات، وتحثهم على الإنصاف في الحصول على الحقوق وأداء الواجبات، مما يعينهم على تحقيق الأخوة والائتلاف، وتعزيز الوحدة والاجتماع.

والأخلاق الإسلامية[٣] تحقق لأفرادها الرقي والسمو في حياتهم الروحية والمادية، فتؤثر في فكرهم، وتبرز في سلوكهم فيما بينهم ومع غيرهم، وتجعلهم دائما يسيرون نحو الفضائل ويبتعدون عن الرذائل، فتزكي نفوسهم، وتطهر سلوكهم، وترفع قدرهم.

وقد خص الله تعالى دين الإسلام بعقيدته وشريعته وأخلاقه

---

(١) انظر بصائر دعوية، لمحمد أبو الفتح البيانوني، بصائر في جانب العقيدة، ص ١١- ١٨، وبصائر في جانب العبادة، ١٩- ٣٨، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.

(٢) انظر المدخل إلى علم الدعوة، لمحمد أبو الفتح البيانوني، ص ١٨٥، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م.

(٣) انظر: خلق المسلم، لمحمد الغزالي، طبعة نهضة مصر، الطبعة العاشرة، ٢٠٠٥م، وانظر الأخلاق الإسلامية وأسسها، لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، ١٩٩٩م.

بالتناسق الجميل، والانسجام والتفاعل الإيجابي السليم في نفس المؤمن وشخصيته وسلوكه، فإن كانت العقيدة دافعا للتمسك بالشريعة والحرص على مكارم الأخلاق، والشريعة مزكية للسلوك والأخلاق، فإن الشريعة ومكارم الأخلاق تعزز العقيدة وتقويها، فيستمر التدافع الإيجابي في نفس المسلم، بين روافد الخير ودواعيه، مما يزيد المؤمن رقيا روحيا، ووعيا عقليا، ورشدا في القول والعمل، قال جل شأنه: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَـٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾، (سورة النور، الآية: ٣٥).

●●●●●

المطلب الثاني

القيم الإسلامية السامية

القيم الإسلامية هي الأمور التي رعاها الإسلام في عقيدته وأحكامه وتشريعاته، لما لها من قيمة عظمى خصها بها، ولما لها من أثر في كمال الإسلام وحسن قوامه، فقد جاء في لسان العرب: «ويجيء القيام بمعنى الوقوف والثبات.. وأقامَ الشيء أدامَه.. ويقال هذا قِوامُ الأمر وملاكُه الذي يَقوم به.. وقَوَّمَ السِّلْعة واسْتَقامها قَدَّرها.. والقِيمةُ واحدة القِيَم، وأَصله الواو لأَنه يقوم مقام الشيء، والقيمة ثمن الشيء بالتَّقْوِيم.. وقِوامُ العيش عماده الذي يقوم به وقِوامُ الجِسم تمامه وقِوام كل شيء ما استقام به...»[1].

وجاء في المعجم الوسيط: «القيم والمقومات: مشتقة من قوم، القوام: الحسن القامة والحسن القيام بالأمور، القويم: المعتدل والحسن القامة (ج) قوام، القيمة: قيمة الشيء قدره، وقيمة المتاع ثمنه، ومن الإنسان طوله، (ج) قيم، ويقال ما لفلان قيمة: ماله ثبات ودوام على الأمر...، وكتاب قيم ذو قيمة (مج)»[2].

وقد نظر الإسلام إلى القيم نظرة إيجابية مثلى، جعلت منها منظومة متكاملة، معتبرة في التشريع والسلوك والأخلاق، فاجتمعت في الإسلام جميع تلك القيم حتى أضحت مصدرا من مصادر كماله وقوته، وحسن قوامه، ورافدا من روافد عظمته وجلاله، ومن أبرز هذه القيم[3]:

---

(١) لسان العرب، ج ١٢، ص ٤٩٧- ٥٠٤.

(٢) المعجم الوسيط، ج ٢، ص ٧٦٨.

(٣) انظر: ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، ليوسف القرضاوي، الفصل السابع، ص ١٠٩،

١ - الإنسان:

كرم الله تعالى الإنسان على مختلف أجناسه وفئاته وألوانه ولغاته ودياناته ومذاهبه، قال سبحانه: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾، (سورة الإسراء، الآية: ٧٠)، وعن سَهْلُ بن حُنَيْفٍ وَقَيْسُ بن سَعْدٍ رضي الله عنهماَ قَالا: إنَّ النبي صلى الله عليه وسلم مَرَّتْ بِهِ جِنَازَةٌ فَقَامَ، فَقِيلَ له: إِنَّهَا جِنَازَةُ يَهُودِيٍّ، فقال: «أَلَيْسَتْ نَفْسًا»[١].

بل إن الشريعة الإسلامية جعلت من مقاصدها حفظ الإنسان وما يتصل به من دين ونفس وعقل ومال وعرض، قال الإمام الغزالي -رحمه الله-: «ومقصود الشرع من الخلق خمسة: وهو أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة ودفعها مصلحة...)»[٢].

٢ - الدين:

جعل الله تعالى الدين منهجا للإنسان، يبصره بحقيقته ووظائفه في حياته، ويهديه سبيل الرشاد لما فيه سعادته في دنياه وآخرته، وقد بين سبحانه وتعالى الفرق بين حياة الإنسان في هذه الدنيا وهو على

مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م

(١) صحيح البخاري، بَاب من قام لِجَنَازَةِ يَهُودِيٍّ، حديث رقم ١٢٥٠.

(٢) المستصفى من علم الأصول، للإمام الغزالي -رحمه الله-، وبذيله فواتح الرحموت للعلامة عبد العلي الأنصاري، بشرح مسلم الثبوت في أصول الفقه للمحقق محب الله بن عبد الشكور، دار صادر، المطبعة الأميرية ببولاق، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٢٢هـ، ج ١، ص ٢٨٦- ٢٩٠.

هدى من ربه وبين من يتخبط في دنياه ويهيم على وجهه وكأنه أعمى، فقال سبحانه: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾﴾، (سورة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، الآية: ١٤)، وقال أيضا: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾، (سورة طه، الآيتان: ١٢٣- ١٢٤).

ومن مقاصد الشريعة المحافظة على الدين لأنه ضرورة من الضرورات الإنسانية، بل توسع الإسلام فحفظ لكل إنسان حقه في التدين، فقال جل شأنه: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾، (سورة البقرة، الآية ٢٥٦). وعَن ابْنِ عَبَّاس رضي الله عنهما، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا بَعَثَ جُيُوشَهُ قَالَ: «**اخْرُجُوا بِسْمِ اللَّه، تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّه مَنْ كَفَرَ بِاللَّه، لا تَغْدِرُوا وَلا تَغُلُّوا وَلا تُمَثِّلُوا، وَلا تَقْتُلُوا الْوِلْدَانَ وَلا أَصْحَابَ الصَّوَامِعِ**»[1].

ومن هنا نتبين أن للتدين حرمته واحترامه، وأنه من القيم التي حفظها الإسلام للناس، سواء كان التدين حقا أم باطلا، فمع أن الدين الحق عند الله تعالى الإسلام، فقد حفظ الله تعالى للناس حق التدين

(١) مسند الإمام أحمد، باب بداية مسند عبد الله بن العباس رضي الله عنهما، حديث رقم ٢٥٩٢، قال الهيثمي: «رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني في الكبير والأوسط، إلا أنه قال فيه: ولا تقتلوا وليدا ولا امرأة ولا شيخا، وفي رجاله: البزار ابراهيم بن إسماعيل بن أبى حبيبة، وثقه أحمد، وضعفه الجمهور، وبقية رجال البزار رجال الصحيح، مجمع الزوائد، ج ٥، ص ٣١٦-٣١٧.

في الحياة الدنيا بما شاؤوا، بعد أن بين لهم الحق وأظهره لهم، قال جل شأنه: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾، (سورة الكهف، الآية: ٢٩).

٣ - الحياة:

جعل الإسلام للحياة الإنسانية قيمة عظمى، فشرع لحفظها أحكاما، وسن لدرء الهلاك عنها حدودا، ونسب سبحانه وتعالى الروح إلى نفسه فقال: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾، (سورة الحجر، الآية: ٢٩- ٣٠)، كما جعل تعالى إحياء النفس الواحدة إحياء للناس جميعا، وإهلاكها إهلاكا للناس جميعا فقال جل وعلا: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾، (سورة المائدة، الآية: ٣٢)، فمن حق كل إنسان أن يعيش حياته التي أمنه الله تعالى عليها، ونفخها فيه من روحه.

وقد أنكر الله تعالى على من تعدى على النفس البريئة، فقال سبحانه: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾، (سورة التكوير، الآيتان: ٨- ٩)، كما أمر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يحدث الناس بما حرم عليهم

ربهم، ومن جملة ذلك قتل النفس المحرمة، قال تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١)﴾، (سورة الأنعام، الآية: ١٥١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آله وَسَلَّمَ قَالَ: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلاتِ**»[1]، **وعن عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: إِنِّي مِنْ النُّقَبَاءِ الَّذِينَ بَايَعُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ: (بَايَعْنَاهُ عَلَى أَنْ لا نُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلا نَسْرِقَ، وَلا نَزْنِيَ، وَلا نَقْتُلَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ، وَلا نَنْتَهِبَ، وَلا نَعْصِيَ، بِالْجَنَّةِ إِنْ فَعَلْنَا ذَلِكَ، فَإِنْ غَشِينَا مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا كَانَ قَضَاءُ ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ**»[2].

وتوسع الإسلام في رعاية قيمة الحياة حتى بالنسبة للمخلوقات الأخرى، كالحيوانات والنباتات، قال سبحانه: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ

---

(١) صحيح البخاري، باب بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا...﴾، (سورة النساء، الآية: ١٠)، حديث رقم ٢٥٦٠.

(٢) صحيح البخاري، باب وفود الأنصار إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، حديث رقم ٣٦٠٤.

﴿٣٨﴾، (سورة الأنعام، الآية: ٣٨)، وعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**قَرَصَتْ نَمْلَةٌ نَبِيًّا مِنْ الأَنْبِيَاءِ فَأَمَرَ بِقَرْيَةِ النَّمْلِ فَأُحْرِقَتْ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ أَحْرَقْتَ أُمَّةً مِنْ الأُمَمِ تُسَبِّحُ**»[1]، وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَوْلا أَنَّ الْكِلابَ أُمَّةٌ مِنْ الأُمَمِ لأَمَرْتُ بِقَتْلِهَا فَاقْتُلُوا مِنْهَا الأَسْوَدَ الْبَهِيمَ**»[2].

٤ - العلم:

رعى الإسلام قيمة العلم رعاية متميزة، إذ جعل وسيلته من تفكر وتأمل وتعقل محلا لتكريم الجنس البشري على سائر الأمم والمخلوقات، قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلٗا ﴿٧٠﴾﴾، (سورة الإسراء، الآية: ٧٠)، قال النسفي – رحمه الله – في هذا التكريم: «بالعقل والنطق والخط والصورة الحسنة والقامة المعتدلة وتدبير أمر المعاش والمعاد والاستيلاء وتسخير الأشياء وتناول الطعام بالأيدي...»[3].

كما جعل الإسلام من العلم طريقا إلى الهداية والرشاد، فكم من آيات في كتاب الله تعالى وأحاديث في سنة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم تحث الإنسان على التأمل والتفكر والنظر، وتقديم العلم على العمل، قال سبحانه: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ

---

(١) صحيح البخاري، باب إذا حرق المشرك المسلم هل يحرق، حديث رقم ٢٧٩٦.

(٢) سنن أبي داود، باب في اتخاذ الكلب للصيد وغيره، حديث رقم ٢٤٦٢، وسكت عنه.

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لعبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين أبو البركات النسفي، ج ٢، ص ٢١١.

وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾﴾، (سورة محمد صلى الله عليه وسلم، الآية: ١٩)، وقال أيضا: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾، (سورة آل عمران، الآية: ١٨).

والعلم صفة الله تعالى، قال سبحانه: ﴿وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿٣﴾﴾، (سورة التحريم، الآية: ٣).

وقد جاءت نصوص شرعية كثيرة امتدحت العلم والعلماء ورفعت من مقامهم، وأعلت من شأنهم، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١١﴾﴾، (سورة المجادلة، الآية: ١١)، وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: ذُكِرَ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم رَجُلانِ أَحَدُهُمَا عَابِدٌ وَالآخَرُ عَالِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم: إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ**»[1].

٥ ـ العمل:

نظر الإسلام إلى العمل نظرة تقدير واحترام، وجعل منه قيمة من

---

(١) سنن الترمذي، باب العلم، كتاب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، حديث رقم ٢٦٠٩، وقال عنه الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ.

القيم العليا التي رعاها في البشرية جمعاء، لما يثمره العمل من عمارة لهذه الأرض، فوجه إليه وربطه بالإيمان، فكم من آية في كتاب الله تعالى جمعت بين الإيمان والعمل والصالح، قال جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾، (سورة الكهف، الآية: ٣٠).

كما حث الإسلام الناس على العمل وتحمل المسؤولية فيه، فقال سبحانه: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾، (سورة التوبة، الآية: ١٠٥)، وعَنْ الْمِقْدَام رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَام كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ**»[1].

وعَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَنَازَةٍ، فَأَخَذَ شَيْئًا، فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِهِ الأَرْضَ، فَقَالَ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنْ النَّارِ وَمَقْعَدُهُ مِنْ الْجَنَّةِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلا نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدَعُ الْعَمَلَ؟ قَالَ: اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾﴾**، (سورة الليل، الآيتان: ٥- ٦)»[2].

وقد عد الدكتور عبد الحليم عويس - حفظه الله - الربط والتوازن بين العمل الذهني واليدوي خصيصة من خصائص الحضارة الإسلامية،

---

(١) صحيح البخاري، باب كسب الرجل وعمله بيده، حديث رقم ١٩٣٠.

(٢) صحيح البخاري، باب فسنيسره للعسرى، حديث رقم ٤٥٦٨.

فقال: «ومن الجدير بالذكر أن من الخصائص الكبرى التي تميزت بها الحضارة الإسلامية أنها وازنت بين العمل الذهني والعمل اليدوي، على نحو باعد بين موقفها هذا وبين موقف حضارة اليونان، فعلى حين قدست حضارة اليونان العمل الذهني، واحتقرت العمل اليدوي، الذي قصرته على الرقيق شأن العرب في جاهليتهم، نجد الحضارة الإسلامية توازن بين العمل الذهني والعمل اليدوي حتى لتكاد تمزج بينهما مزجا شبه تام.»[1].

٦ - التعارف والشراكة:

أكد الإسلام على احترام الشراكة الإنسانية في الوجود، والمساواة والعدالة بين جميع أفراد المجتمعات البشرية باحترام الخصوصيات الفردية، وضمان التكامل والتعاون في المشتركات الإنسانية، حتى جعل من تعدد وتنوع الأجناس والشعوب والقبائل علة للتعارف، قال جل شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾﴾، (سورة الحجرات، الآية: ١٣)، وعن أبي نَضْرَةَ قال: حدثني من سمع خُطْبَةَ رسول اللّه صلى الله عليه وعلى آله وسلم في وَسَطِ أَيَّام التَّشْرِيقِ فقال: «**يا أَيُّهَا الناس أَلاَ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ إِلا لاَ فَضْلَ لعربي على أعجمي وَلاَ لعجمي على عربي وَلاَ لأَحْمَرَ على أَسْوَدَ وَلاَ أَسْوَدَ على أَحْمَرَ إِلاَّ بِالتَّقْوَى**»[2].

---

(١) النهضة الإسلامية بين مسؤولية القيادة وواجبات الأمة، للدكتور عبد الحليم عويس، ص ٣٠، سلسلة نحو عقلية إسلامية واعية، رقم ٢٧، دار الوفاء، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.

(٢) مسند الإمام أحمد، حديث شيخ من أصحاب النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، حديث رقم ٢٣٥٣٦، قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح، مجمع الزوائد، ج ٤، ص ٢٦٦، باب الخطب في الحج.

٧ - الأخوة والاجتماع:

جعل الإسلام من الأخوة والاجتماع قيمة عليا، وجاء شرعه معززا لها، وحث المسلمين على احترامها والعمل في أطرها المتنوعة، ففي إطارها الإنساني الواسع قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾، (سورة النساء، الآية: ١)، وعن أبي نَضْرَةَ قال: حدثني من سمع خُطْبَةَ رسول اللَّه صلى الله عليه وعلى آله وسلم في وَسَطِ أَيَّام التَّشْرِيقِ فقال: «**يا أَيُّهَا الناس أَلاَ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ إلا لاَ فَضْلَ لعربي على أعجمي وَلاَ لعجمي على عربي وَلاَ لأَحْمَرَ على أَسْوَدَ وَلاَ أَسْوَدَ على أَحْمَرَ إِلاَّ بِالتَّقْوَى**»[1].

وفي الإطار الإسلامي فقد جعل الله تعالى المؤمنين إخوة، قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾، (سورة الحجرات، الآية: ١٠)، وعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**...وَكُونُوا إِخْوَانًا...**»[2].

كما جعل الله تعالى اجتماع المؤمنين عصمة لهم من الضلال والزيغ، فعن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم قَالَ: «إِنَّ

---

(١) مسند الإمام أحمد، حديث شيخ من أصحاب النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، حديث رقم ٢٣٥٣٦، قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح، مجمع الزوائد، ج ٤، ص ٢٦٦، باب الخطب في الحج.

(٢) صحيح البخاري، بَاب لا يَخْطُبُ على خِطْبَةِ أَخِيهِ حتى يَنْكِحَ أو يَدَعَ، حديث رقم ٤٨٤٩.

اللهَ لا يَجْمَعُ أُمَّتِي أوْ قَالَ: أمةَ محمَّد - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - عَلَى ضَلالَةٍ وَيَدُ الله مَعَ الْجَمَاعَةِ وَمَنْ شَذَّ شَذَّ إِلَى النَّارِ»[1].

وعن عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ فَوَجَدَ قَلْبَ محمَّد صلى الله عليه وعلى آله وسلم خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ فَمَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا فَهُوَ عِنْدَ اللهِ حَسَنٌ وَمَا رَأَوْا سَيِّئًا فَهُوَ عِنْدَ اللهِ سَيِّئٌ[2].

٨ - الشورى:

جعل الإسلام للشورى قيمة عظمى، وجعلها أساسا لسلامة المجتمعات من الطغيان الفردي والفئوي، ومن هنا جاء الأمر الإلهي للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم باعتماد الشورى أساسا في حكمه لأصحابه، فقال جل شأنه: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾، (سورة آل عمران، الآية: ١٥٩).

---

(١) سنن الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة، حديث رقم ٢٠٩٣، وقال عنه: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وقال عنه الإمام النووي - رحمه الله -: ضعيف، صحيح مسلم بشرح النووي، المجلد ٧، ج ١٣، ص ٦٧، كتاب الإمارة، باب قوله صلى الله عليه وسلم: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق...).

(٢) مسند الإمام أحمد، كتاب مسند المكثرين من الصحابة، باب مسند عبد الله بن مسعود، حديث رقم ٣٤١٨، قال عنه العجلوني: وهو موقوف حسن، كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، توزيع مكتبة الغزالي، دمشق، ج ٢، ص ١٨٨، حرف الميم، حديث رقم ٢٢١٤.

كما جعل الله تعالى التشاور من أبرز صفات المؤمنين، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾، (سورة الشورى، الآية: ٣٨).

٩ - التعاون:

ركز الإسلام على قيمة التعاون انطلاقا من إقراره بالتعددية والتنوع والاختلاف، وأمر بالتعاون في وجوه الخير المختلفة، فقال سبحانه: ﴿...وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٢﴾، (سورة المائدة، الآية: ٢)، وعن أبي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ**»[1].

١٠ - الحرية:

نظر الإسلام إلى قيمة الحرية نظرة متوازنة، تحرر الإنسان من العبودية لغير خالقه العظيم، من سلطان أو شيطان أو هوى، وتحفظ لكل حريته وحقوقه المختلفة، من حيث الدين والعقيدة، ومن حيث العمل والنشاط، قال جل شأنه: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِي ٱلْوُجُوهَۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ۝٢٩﴾، (سورة الكهف، الآية: ٢٩)، ولكن هذه الحرية ليست مطلقة، لأنها مرتبطة بالمسؤولية والمحاسبة، فكل مسؤول عن أعماله، ومحاسب عليها، قال جل شأنه: ﴿وَقِفُوهُمْۖ إِنَّهُم

(١) صحيح البخاري، بَاب تَشْبِيكِ الْأَصَابِعِ فِي الْمَسْجِدِ وَغَيْرِهِ، حديث رقم ٤٦٧.

مَسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾، (سورة الصافات، الآية: ٢٤)، وعن أبي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يوم الْقِيَامَةِ حتى يُسْأَلَ عن عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ وَعَنْ مَالِهِ من أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلاهُ**»[1].

١١ - العدل:

أقام الله تعالى السموات والأرض على العدل، قال جل وعلا: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ﴿٩﴾﴾، (سورة الرحمن، الآيات: ٧- ٩)، وأرسل الله رسله، وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط، قال تعالى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴿٢٥﴾﴾، (سورة الحديد، الآية: ٢٥).

ورعى الدين الإسلامي قيمة العدل بين الناس، على اختلاف أجناسهم وألوانهم وألسنتهم، قال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾، (سورة النحل، الآية: ٩٠)، وأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يعدل بين الناس، فقال سبحانه: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ

(١) سنن الترمذي، باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص، حديث رقم ٢٤١٧، وقال عنه: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

﴿ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٥﴾، (سورة الشورى، الآية: ١٥).

وعن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قال: بَيْنَا النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يَقْسِمُ ذَاتَ يَوْمٍ قِسْمًا، فقال ذُو الْخُوَيْصِرَةِ - رَجُلٌ من بَنِي تَمِيمٍ-: يا رَسُولَ اللَّهِ اعْدِلْ، قال: «**وَيْلَكَ من يَعْدِلُ إذا لم أَعْدِلْ**»[1].

كما أوجب الإسلام العدل حتى مع الأعداء، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٨﴾، (سورة المائدة، الآية: ٨).

وجعل الله تعالى التمسك بشرعه طريقا إلى تحقيق العدل في هذه الحياة، قال جل شأنه: ﴿وَمِمَّنۡ خَلَقۡنَآ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ١٨١﴾، (سورة الأعراف، الآية: ١٨١).

١٢ - التنافس والتسابق في الخيرات:

فقد شرع الله تعالى لعباده التنافس في سبيل الخير، فقال سبحانه: ﴿وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٤٨﴾، (سورة البقرة، الآية: ١٤٨)، كما وصف الله تعالى عباده المؤمنين بالمسارعة في الخير والسبق إليه، فقال جل شأنه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي

(١) صحيح البخاري، باب ما جاء في قول الرجل ويلك، حديث رقم ٥٨١١.

ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾، (سورة المؤمنون، الآية: ٦١)، وجعل الله تعالى السابقين في الخيرات من المقربين في دار الخلود، قال سبحانه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾، (سورة الواقعة، الآيتان: ١٠- ١١).

كما أرشد النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أصحابه إلى الأعمال التي يدركون بها من سبقهم، ويسبقون بها من بعدهم، فعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم فَقَالُوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالدَّرَجَاتِ العلى وَالنَّعِيمِ الْمُقِيم فقال: (وما ذَاكَ؟ قالوا: يُصَلُّونَ كما نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كما نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ ولا نَتَصَدَّقُ، وَيُعْتِقُونَ ولا نُعْتِقُ، فقال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم: **«أَفَلا أُعَلِّمُكُمْ شيئا تُدْرِكُونَ بِهِ من سَبَقَكُمْ وَتَسْبِقُونَ بِهِ من بَعْدَكُمْ، ولا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ إلا من صَنَعَ مِثْلَ ما صَنَعْتُمْ، قالوا: بَلَى يا رَسُولَ اللَّهِ، قال: تُسَبِّحُونَ وَتُكَبِّرُونَ وَتَحْمَدُونَ دُبُرَ كل صَلاةٍ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ مَرَّةً»**(١).

١٣ - المحبة:

من القيم الإسلامية قيمة الحب، وهي شعور فطري في الإنسان، يميل بالقلب نحو من أحب، فيتقرب إليه ويتودد منه، ويقبل عليه، وقد رعى الإسلام المحبة ووجهها خير توجيه، وأوضح مفاهيمها وأبعادها ومتعلقاتها، فجعلها أساسا للعلاقة بين الخالق والمخلوق، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى

---

(١) صحيح مسلم، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته، حديث رقم ٥٩٥.

ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾، (سورة المائدة، الآية: ٥٤).

كما جعل الإسلام محبة الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم شرطا من شروط الإيمان، ووجه إلى أن تكون المحبة بين الناس في الله تعالى، فعَنْ أَنَس رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: «**لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْه مِنْ وَالِده وَوَلَده وَالنَّاس أَجْمَعِينَ**»[1]، وعنه رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: «**ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه وَجَدَ حَلاوَةَ الإيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْه ممَّا سوَاهُمَا، وَأَنْ يُحبَّ الْمَرْءَ لا يُحبُّهُ إلا لله، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ في الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ في النَّار**»[2].

وبين الإسلام علامة محبة العبد لربه تعالى، لأن المحبة محلها القلب، ودليلها العمل، فقال جل شأنه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، (سورة آل عمران، الآية: ٣١)، وقد قيل:

تعصي الإله وأنت تظهر حبَّه

هذا محالٌ في القياس بديع

لو كان حبُّك صادقاً لأطعته

إن المحبَّ لمن يحبُّ مطيع[3]

---

(١) صحيح البخاري، باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم، حديث رقم ١٤.

(٢) صحيح البخاري، باب حلاوة الإيمان، حديث رقم ١٥.

(٣) يروى عن محمود الوراق، وينسب إلى الشافعي، بهجة المجالس وأنس المجالس، لابن عبد البر، باب الغيبة والنميمة، ج ١، ص ٨٦.

وقد جعل الإسلام محبة الله تعالى للعبد سبيلا إلى محبة الناس له، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلانًا فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الأَرْضِ**»(١).

كما شرع الإسلام للمؤمنين ما يعزز من المحبة فيما بينهم، وجعل هذه المحبة علامة من علامات الإيمان، وطريقا من طرق الجنة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: «**لا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ، أَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُمْ**»(٢).

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ عَنْ السَّاعَة، فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: «وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟ قَالَ: لا شَيْءَ إلا أَنِّي أُحبُّ اللَّه وَرَسُولَهُ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ، فَقَالَ: أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ)، قَالَ أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ فَرَحْنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ، قَالَ أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَأَنَا أُحبُّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ(٣).

١٤ - الوقت:

نظرا لأهمية الوقت والزمان في حياة الإنسان فقد وجه الشارع الحكيم

(١) صحيح البخاري، باب ذكر الملائكة، حديث رقم ٢٩٧٠.

(٢) صحيح مسلم، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، حديث رقم ٨١.

(٣) صحيح البخاري، باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حديث رقم ٣٤١٢.

إلى الاهتمام به على أنه قيمة من القيم التي يتوجب على الإنسان الإفادة منها وعدم تفويتها، فكم من آيات في كتاب الله تعالى ابتدأت بقسم رب العزة والجلال بأجزاء من الزمان، بيانا لمكانة الزمان في الإسلام، فأقسم سبحانه بالفجر والضحى والنهار والعصر، وأقسم بالليل، ومن ذلك قوله جل شأنه: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾، (سورة العصر)، قال الطبري - رحمه الله -: «والصواب من القول في ذلك: أن يقال: إن ربنا أقسم بالعصر (وَالْعَصْرِ) اسم للدهر، وهو العشيّ والليل والنهار، ولم يخصص مما شمله هذا الاسم معنى دون معنى، فكلّ ما لزمه هذا الاسم، فداخل فيما أقسم به جلّ ثناؤه»[1].

وجاءت الأحاديث النبوية الشريفة مؤكدة قيمة الوقت ومكانته، وأنه من الأمور التي يسأل الإنسان عنها يوم الحساب، فعَنْ أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلاهُ**»[2].

كما جعل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم الفراغ من النعم التي يغبن الناس فيها فلا يقدرونها حق قدرها، حتى تضيع الفرص منهم، فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ**»[3].

---

(١) جامع البيان، ج ٢٤، ص ٥٨٩.

(٢) سنن الترمذي، باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص، حديث رقم ٢٣٤١، وقال عنه: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(٣) صحيح البخاري، باب لا عيش إلا عيش الآخرة، حديث رقم ٥٩٣٣.

ولهذا حث الإسلام على المسارعة في الخيرات، والمبادرة إلى الطاعات والمبرات، وحذر من التسويف والتأجيل، قال سبحانه: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾، (سورة آل عمران، الآية: ١٣٣)، وعن أَنَسَ ابْنَ مَالِك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنْ قَامَتْ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ**»[1].

١٥ - المال:

المال عصب الحياة وقوامها، وزينة الدنيا وبهجتها، قال جل شأنه: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾، (سورة الكهف، الآية: ٤٦)، فبالمال يحصل الإنسان احتياجاته، وبه ينمي أملاكه وثرواته، وبه يعمر دنياه وآخرته، وهو من الأمور التي جبل الإنسان على حبها، قال تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾، (سورة الفجر، الآية: ٢٠)، وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَكْبَرُ ابْنُ آدَمَ وَيَكْبَرُ مَعَهُ اثْنَانِ حُبُّ الْمَالِ وَطُولُ الْعُمُرِ**»[2].

ولهذا خص الإسلام المال بالمقام المناسب له، وجعل منه قيمة من القيم المعتبرة في مقاصد تشريعاته، ونعمة من النعم التي يتحاسد الناس عليها، فعن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ

---

(١) مسند أحمد، باب مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، حديث رقم ١٢٥١٢، قال الهيثمي: رجاله أثبات ثقات، مجمع الزوائد، ج ٤، ص ٦٣.

(٢) صحيح البخاري، باب من بلغ ستين سنة فقد أعذر إلى الله، حديث رقم ٥٩٤٢.

وَسَلَّمَ: «**لا حَسَدَ إلا فِي اثْنَتَيْنِ، رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا**»[1].

وقد وجه الشارع الحكيم إلى حسن التعامل مع المال أخذا وعطاء، وبذلا وإنفاقا، فهذا نبي الله يوسف عليه السلام، يطلب من الملك توليته على خزائن المال ليحسن التصرف فيها، ويحفظ الناس من تضييعها، قال سبحانه: ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ۝٥٥﴾، (سورة يوسف عليه السلام، الآية: ٥٥)، وحذر الشارع الحكيم من الفتنة بالمال كما حذر من إضاعته، قال جل وعلا: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ۝٢٨﴾، (سورة الأنفال، الآية: ٢٨)، وعَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الأُمَّهَاتِ، وَوَأْدَ الْبَنَاتِ، وَمَنَعَ وَهَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ**»[2].

كما جعل الإسلام إنفاق المال في وجوه الخير من أبواب البر التي يسعى إليها المؤمنون الصادقون، فقال جل وعلا: ﴿۞ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ۝١٧٧﴾، (سورة البقرة، الآية: ١٧٧).

---

(١) صحيح البخاري، باب الاغتباط في العلم والحكمة، حديث رقم ٧١.

(٢) صحيح البخاري، باب ما ينهى عن إضاعة المال، حديث رقم ٢٢٣١.

وقد نظر الإسلام إلى المال على أنه ملك خالص لله تعالى وما الإنسان إلا مستخلف عليه، قال سبحانه: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ...﴾، (سورة النور، الآية: ٣٣)، وجعل الإسلام للمال نصيبا في تشريعاته، فوضع له بعض القوانين والأحكام التي تحقق الفائدة المرجوة منه على أحسن حال وأقومها، سواء ما يتعلق منها بالتحصيل والكنز، أو التنمية والاستثمار، أو ما يتعلق بالإنفاق والصرف، متوازنا في ذلك بين حق الفرد بتلبية احتياجاته ومتطلباته على اختلاف مستوياته، وحق المجتمع ومتطلباته.

حتى جعل الإسلام من فريضة الزكاة ركنا من أركانه، تطهر المرء وتزكيه، قال جل شأنه: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾، (سورة التوبة، الآية: ١٠٣)، كما تجعل من المال وسيلة للتداول بين الناس جميعا، فلا يستأثر به بعضهم دون بعض، قال تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾، (سورة الحشر، الآية: ٧).

ولهذا كان التصرف في المال محلا للسؤال يوم الحساب، فعَنْ أَبي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: **«لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ وَعَنْ عِلْمِه فِيمَ فَعَلَ وَعَنْ مَالِه مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلاهُ»**[1].

---

(١) سنن الترمذي، باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص، حديث رقم ٢٣٤١، وقال عنه: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

١٦ - القوة:

الإسلام دين عمل ونشاط، وإنتاج وإبداع، يعزز الهمة والنشاط، ويرفض الكسل والخمول، ومن هنا نظر إلى القوة على أنها قيمة مثلى، حيث وصف الله سبحانه وتعالى نفسه بها، فقال جل وعلا: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ١٩﴾، (سورة الشورى، الآية: ١٩)، كما وصف الله تعالى بهذه الصفة أفضل وأعظم ملائكته، فقال سبحانه: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾، (سورة التكوير، الآيات: ١٩- ٢١).

والقوة صفة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فعن أَنَس بْن مَالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّهُ أُعْطِيَ قُوَّةَ ثَلاثِينَ**»[١].

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن فضل المؤمن المتصف بالقوة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**»[٢]، وعَنْ الْمِقْدَام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلام كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ**»[٣].

---

(١) صحيح البخاري، باب إذا جامع ثم عاد، حديث رقم ٢٦٠.

(٢) صحيح مسلم، باب في الأمر بالقوة وترك العجز، حديث رقم ٤٨١٦.

(٣) صحيح البخاري، باب كسب الرجل وعمله بيده، حديث رقم ١٩٣٠.

وجاءت الآيات القرآنية مؤكدة فضل صفة القوة المادية والمعنوية بحسب الأمر المتعلق بها، وذلك في سياق الحديث عن سيدنا موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾، (سورة القصص، الآية: ٢٦)، قال النسفي رحمه الله: «وقولها: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾: كلام جامع لأنه إذا اجتمعت هاتان الخصلتان الكفاية والأمانة في القائم بأمرك فقد فرغ بالك وتم مرادك، وقيل: القوي في دينه الأمين في جوارحه»[1].

وقد أمر الله تعالى رسله الكرام عليهم الصلاة والسلام بالقوة في أعمالهم ودعوتهم، فقال سبحانه: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾﴾، (سورة مريم، الآية: ١٢)، قال النسفي رحمه الله: «﴿بِقُوَّةٍ﴾: حال، أي بجد واستظهار بالتوفيق والتأييد»[2]، كما أمر عباده المؤمنين بإعداد القوة التي تحفظ مقامهم ومكانهم وهيبتهم، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾، (سورة الأنفال، الآية: ٦٠).

١٧ - الجمال:

عني الإسلام بالجمال في أسمى معانيه، وأعلى رتبه، وجعل منه قيمة حسنة ببعده المعنوي والحسي، فعن عبد اللهِ بن مَسْعُودٍ رضي الله عنه عن النبي

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج ٣، ص ٣٨.

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج ٢، ص ٢٦٣.

صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «**لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ من كان في قَلْبه مِثْقَالُ ذَرَّةٍ من كِبْرٍ، قال رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قال: إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ[1] الْحَقِّ، وَغَمْطُ[2] الناس**»[3].

وقد امتن الله تعالى على عباده بأن خلقهم في أحسن تقويم وأجمل صورة، وأودع لهم في خلقه ما يأنسون بجماله وحسنه، فقال: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦﴾، (سورة النحل، الآيتان: ٥-٦)، وأسمى سبحانه زينة الحياة الدنيا بالمتاع، فقال: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ۝١٤﴾، (سورة آل عمران، الآية: ١٤).

وحثنا سبحانه على التفكر في معاني الجمال والحسن التي أودعها في خلقه، فقال جل وعلا: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦﴾، (سورة ق، الآية: ٦)، وقال أيضا: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ

---

(١) بطر الحق: هو أن يجعل ما جعله الله حقا من توحيده وعبادته باطلا، وقيل: هو أن يتجبر عند الحق فلا يراه حقا، وقيل: هو أن يتكبر عن الحق فلا يقبله، النهاية في غريب الحديث، ج ١، ص ١٣٥.

(٢) الغمط: الاستهانه والاستحقار، وهو مثل الغمص، النهاية في غريب الحديث، ج ٣، ص ٣٨٧.

(٣) صحيح مسلم، باب تحريم الكبر وبيانه، حديث رقم ٩١.

مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾، (سورة الأنعام، ا لآية: ٩٩).

كما امتن سبحانه وتعالى على عباده بأن سخر لهم لباسا فيه زينة لهم، وأمرهم بالتزين به أوقات الصلوات، فقال سبحانه: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾، (سورة الأعراف، الآية: ٣١). وقد أنكر الله تعالى على من حرم زينة الله وضيق على الناس بمنعهم من التمتع بها، فقال: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾، (سورة الأعراف، الآية: ٣٢).

وجعل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، من صفات المرأة التي ترغب الخاطبين في الزواج منها الجمال، فعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «**تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ**»[1].

١٨ - النظافة والطهارة:

النظافة ضرورة من ضرورات حياة الإنسان حياة كريمة سليمة، فهي تسهم في الحفاظ على حياة الأفراد والمجتمعات، فتقيهم من الأذى والأمراض، وتهيئ لهم المناخ المناسب للعيش السليم والحياة الكريمة، ومن هنا فإن الإسلام رعى النظافة حق رعايتها، فجعلها قيمة إسلامية

(١) صحيح البخاري، باب الأكفاء في المال، حديث رقم ٤٨٠٢.

عظمى، وجعل منها محلا للاهتمام في تشريعاته، فعَنْ أَبِي مَالك الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ...**»[1].

وقد أطلق الإسلام على النظافة في تشريعاته مصطلحا خاص، وهو مصطلح الطهارة، ووسع في مفهومها وأبعادها ومجالاتها، لتشمل الجانب الحسي الظاهر، والجانب المعنوي الباطن، قال سبحانه: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾﴾، (سورة المائدة، الآية: ٦).

وأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالطهارة الظاهرة، فقال سبحانه: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾﴾، (سورة المدثر، الآية: ٤)، كما أمره أن يطهر أصحابه رضوان الله تعالى عليهم بالطاعات والقربات طهارة ظاهرة وباطنة، فقال جل شأنه: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾، (سورة التوبة، الآية: ١٠٣)، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا، مَا تَقُولُ ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ؟ قَالُوا: لا يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا، قَالَ: فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا**»[2].

وامتدح رب العزة والجلال أناساً من أصحاب النبي صلى الله عليه

---

(١) صحيح مسلم، باب فضل الوضوء، حديث رقم ٢٢٨.

(٢) صحيح البخاري، باب الصلوات الخمس كفارة، حديث رقم ٤٩٧.

وعلى آله وسلم تميزوا باهتمامهم بالطهارة والنظافة، فقال تعالى: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾، (سورة التوبة، الآية: ١٠٨).

ومن اهتمام الإسلام وعنايته بالنظافة والطهارة، فقد جعل الاهتمام بمظاهرها شعبة من شعب الإيمان، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ، أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا: قَوْلُ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا: إِمَاطَةُ الأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الإِيمَانِ**»(١).

كما أوضح رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن النظافة والطهارة من الفطرة، وذكر بعضا من خصالها، فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عَشْرٌ مِنْ الْفِطْرَةِ: قَصُّ الشَّارِبِ، وَإِعْفَاءُ اللِّحْيَةِ، وَالسِّوَاكُ، وَاسْتِنْشَاقُ الْمَاءِ، وَقَصُّ الأَظْفَارِ، وَغَسْلُ الْبَرَاجِمِ، وَنَتْفُ الإِبِطِ، وَحَلْقُ الْعَانَةِ، وَانْتِقَاصُ الْمَاءِ**»، قَالَ زَكَرِيَّاءُ: قَالَ مُصْعَبٌ: وَنَسِيتُ الْعَاشِرَةَ، إِلا أَنْ تَكُونَ الْمَضْمَضَةَ، زَادَ قُتَيْبَةُ: قَالَ وَكِيعٌ: انْتِقَاصُ الْمَاءِ يَعْنِي: الاسْتِنْجَاءَ(٢).

١٩ - الإبداع والإتقان والإحسان:

إن من أبرز القيم الإسلامية التي يراعيها المسلمون في حياتهم، الرغبة في الإبداع والإتقان، فقد وصف الله تعالى نفسه بالإبداع والإحسان، فقال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾﴾، (سورة السجدة، الآيتان: ٦- ٧)،

---

(١) صحيح مسلم، باب عدد شعب الإيمان وأفضلها، حديث رقم ٥١.

(٢) صحيح مسلم، باب خصال الفطرة، حديث رقم ٣٨٤.

وأمر عباده بالتأمل في صنعه الذي أحسنه، فقال جل شأنه: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾، (سورة العنكبوت، الآية: ٢٠)، وقال أيضا: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾، (سورة النمل، الآية: ٨٨).

كما أمر الله تعالى عباده بالنظر في مخلوقاته، وتسخيرها لخدمة الإنسان وتيسير شؤون الحياة، قال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾، (سورة الملك، الآية: ١٥)، وقال سبحانه: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾، (سورة التوبة، الآية: ١٠٥).

ووعد الله سبحانه عباده بالإحسان إحسانا، فقال جل وعلا: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿٦٠﴾﴾، (سورة الرحمن، الآية: ٦٠)، وقال أيضا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾، (سورة الكهف، الآية: ٣٠).

وعن شَدَّادِ بن أَوْسٍ رضي الله عنه قال: اثنتان حَفِظْتُهُمَا عن رسول اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «**إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ على كل شَيْءٍ، فإذا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وإذا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أحدكم شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَه**»(١).

---

(١) صحيح مسلم، باب الأمر بإحسان الذبح، حديث رقم ١٩٥٥.

٢٠ - القدوة والمثال المتبع:

إن طبيعة الإنسان مجبولة على تقليد من تحب وتعجب به، فتتقمص شخصيته، وتحاكي سلوكه، ومن هنا فقد جعل الإسلام المثال والقدوة مقاما محمودا، وقيمة سامية، تتطلع إلى التحقق بها النفوس الرفيعة، فكان المثال الأول، والقدوة المطلقة في رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، حيث قال فيه رب العزة والجلال: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾، (سورة الأحزاب، الآية: ٢١).

وجاء التوجيه للمؤمنين بأن يكونوا قدوة لغيرهم في الخيرات، وكان الوصول إلى مقام القدوة من أبرز مطالبهم في دعواتهم، قال سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾، (سورة الفرقان، الآية: ٧٤).

وقد استخدم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في الدعوة لبعض المسائل الشرعية أسلوب عرض القدوة والمثال الأعلى الذي يرغب المسلم في محاكاته، فعن جَابِرِ بن سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خَرَجَ عَلَيْنَا رسول اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال: **«ألا تَصُفُّونَ كما تَصُفُّ الْمَلائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا، فَقُلْنَا: يا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ قال: يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الأُوَلَ وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ»**[1].

وقد ظهر جليا أثر القدوة وأهمية الاقتداء في موقف النبي صلى

---

(١) صحيح مسلم، باب الأمر بالسكون في الصلاة، حديث رقم ٤٣٠.

الله عليه وعلى آله وسلم مع أصحابه رضي الله عنهم يوم الحديبية، فعَنْ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمَرْوَانَ رضي الله عنهما يُصَدِّقُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَدِيثَ صَاحِبِهِ قَالا: «...فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قَضِيَّةِ الْكِتَابِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأَصْحَابِهِ قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا قَالَ فَوَاللَّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنْ النَّاسِ فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَتُحِبُّ ذَلِكَ اخْرُجْ ثُمَّ لا تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ نَحَرَ بُدْنَهُ وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا فَنَحَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا...»[1].

●●●●●

---

(١) صحيح البخاري، باب الشروط في الجهاد، حديث رقم ٢٥٢٩.

المطلب الثالث

المقاصد الإسلامية العامة

المقاصد الإسلامية هي غايات الشارع الحكيم وتوجهاته في الخلق والتشريع، فقد جاء في لسان العرب: «والقَصْدُ الاعتمادُ والأَمُّ، قَصَدَه يَقْصِدُه قَصْداً وقَصَدَ له وأَقْصَدَني إليه الأَمرُ، وهو قَصْدُكَ وقَصْدَكَ أَي تُجاهَك، وكونه اسماً أَكثر في كلامهم، والقَصْدُ إِتيان الشيء...، قال ابن جني أَصل «ق ص د» ومواقعها في كلام العرب الاعتزام والتوجه والنهودُ والنهوضُ نحو الشيء، على اعتدال كان ذلك أَو جَوْر، هذا أَصله في الحقيقة، وإن كان قد يخص في بعض المواضع بقصد الاستقامة دون الميل»[1]، وجاء في المعجم الوسيط: «المقصِد موضع القصد، المقصَد يقال إليه مقصدي وجهتي»[2].

فالمراد بالمقاصد هنا: غاية الشارع الحكيم من الخلق والتشريع، وهي: المحافظة على الإنسان وتحقيق عبوديته لربه تعالى لينال السعادة في الدارين.

قال الإمام الغزالي – رحمه الله –: «لكنا نعني بالمصلحة المحافظة على مقصود الشرع، ومقصود الشرع من الخلق خمسة: وهو أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة ودفعها مصلحة، وهذه الأصول الخمسة حفظها واقع في رتبة الضرورات،

(١) لسان العرب، ج ٣، ص ٣٥٣- ٣٥٥.

(٢) المعجم الوسيط، ج ٢، ص ٧٣٨.

فهي أقوى المراتب في المصالح... الرتبة الثانية: ما يقع في رتبة الحاجات من المصالح والمناسبات... الرتبة الثالثة: ما لا يرجع إلى ضرورة ولا إلى حاجة، ولكن يقع موقع التحسين والتزيين والتيسير للمزايا والمزائد ورعاية أحسن المناهج في العادات والمعاملات...»[١] ، وذكر أمثلة لكل رتبة من رتب المقاصد الشرعية.

وقد وسع الأستاذ عبد الله ولد عثمان دلالات المقاصد اللغوية، ثم أورد مضامينا موسعة لمفهوم المقاصد، ثم قال«من خلال هذا التحليل يتبين لنا أن دلالة نظرية المقاصد يصعب حصرها في بعد واحد لاحتوائها على قابلية عجيبة للفهم المتعدد، لهذا وصل في الأخير إلى القول «و على الجملة فإن الفعل «قصد» قد يكون بمعنى «حصل فائدة» أو «حصل نية» أو بمعنى «حصل الغرض»، فيشمل «علم المقاصد» إذ ذاك على ثلاث نظريات أصولية متمايزة فيما بينها، أولها نظرية المقصودات، وهي تبحث في المضامين الدلالية للخطاب الشرعي، والثانية نظرية القصود، وهي تبحث في مضامين الشعورية أو الإرادية، والثالثة نظرية المقاصد، وهي تبحث في المفاهيم القيمية للخطاب الشرعي»[٢].

وبهذا يمتهد الطريق إلى عرض رؤية إسلامية شاملة لعلاقة المقاصد

---

(١) المستصفى من علم الأصول، للإمام الغزالي - رحمه الله -، وبذيله فواتح الرحموت للعلامة عبد العلي الأنصاري، بشرح مسلم الثبوت في أصول الفقه للمحقق محب الله بن عبد الشكور، ج ١، ص ٢٨٦- ٢٩٠، دار صادر، المطبعة الأميرية ببولاق، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٢٢هـ.

(٢) نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، دراسة في بنية التشكل المعرفي لعلم المقاصد، لعبد الله محمد ولد عثمان الحسني، موقع الشهاب، http://www.chihab.net.

بالقيم الإسلامية، فقد بدا لي في هذه الدراسة قوة الترابط بين القيم الإسلامية والمقاصد الأصولية، إذ إن القيم الإسلامية العامة تمثل أرضية واسعة للمعتبرات الحياتية في الرسالة الخاتمة، سواء كان ذلك في عقيدتها أو شريعتها أو الأخلاق والمثل المعتبرة فيها، لتبرز للناس جميعا استيعابها لمجالات الخير في الحياة، على اختلاف مجالاتها، وتباين رتبها، ومن ثم تأتي الدراسات الأصولية المقاصدية، لتصنف القيم من حيث تأثيرها وتأثرها مع الأحكام الشرعية من جهة، ومع المكلف بها من جهة أخرى، فتجعل من هذه القيم مقاصد ضرورية، أو حاجية، أو تحسينية، وذلك بحسب مقاديرها الاعتبارية في التشريع الإسلامي، وبهذا تنتظم القيم الإنسانية في المعايير التشريعية، وتتضح طبيعة العلاقات والرتب النسبية بينها تأثيرا وتأثرا.

ومما يشير إلى ما توجهت إليه في هذه الدراسة؛ ما ذكره الخادمي عند حديثه عن أنواع المقاصد وحيثيات تقسيماتها، حيث قال: «والمقاصد باعتبار تعلقها بعموم الأمة وخصوصها، تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

أ - **المقاصد العامة**: وهي التي تلاحظ في جميع أو أغلب أبواب الشريعة ومجالاتها، بحيث لا تختص ملاحظتها في نوع خاص من أحكام الشريعة، فيدخل في هذا أوصاف الشريعة وغاياتها الكبرى .

ب - **المقاصد الخاصة**: وهي التي تتعلق بباب معين أو أبواب معينة من أبواب المعاملات، وقد ذكر ابن عاشور أن هذه المقاصد هي: مقاصد خاصة بالعائلة.. بالتصرفات المالية.. بالمعاملات المنعقدة على الأبدان كالعمل والعمال.. بالقضاء والشهادة.. بالتبرعات.. بالعقوبات .

ج - المقاصد الجزئية: وهي علل الأحكام وحكمها وأسرارها .»[1].

وبهذا يمكن فهم عبارة ابن قيم الجوزية -رحمه الله-: «فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة، وإن أُدخِلت فيها بالتأويل، فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وظله في أرضه، وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله صلى الله عليه وسلم أتم الدلالة وأصدقها، وهي نور الله الذي أبصر به المبصرون، وهداه الذي به اهتدى المهتدون، وشفاؤه التام الذي به دواء كل عليل، وطريقه المستقيم الذي من استقام عليه فقد استقام على سواء السبيل...»[2].

وقال الدكتور محمد عمارة – حفظه الله –: «إننا إذا تأملنا المقاصد الكلية للشريعة الإسلامية، كما استنبطها وحددها الأصوليون، وإذا أعطاها عقلنا المعاصر أبعادها الحقيقية، وهي أبعاد مفتوحة الأبواب والميادين أمام الاجتهاد الإسلامي، فسنجد أنفسنا أمام منظومة جامعة لأركان ومقومات وضرورات الاجتماع الإنساني، تلك التي بدونها لا يستقيم العمران البشري على صراط الفطرة الإنسانية السوية»[3]، ثم ذكر دلالات المقاصد الضرورية ومضامينها القيمية...

(١) الاجتهاد المقاصدي، نور الدين الخادمي، ج ١، ص ٥٤، سلسلة كتاب الأمة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، العدد ٦٥، جمادى الأولى ١٤١٩هـ، السنة الثامنة عشرة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ج ٣، ص ٣.

(٣) معركه المصطلحات بين الغرب والإسلام، لمحمد عمارة، ص ٢٠- ٢١، نهضه مصر، الطبعة :٢، ٢٠٠٤.

ووفقا لهذه الرؤية الشاملة يمكن وضع مقادير وأنصبة معاييرية للأعمال، تضبط درجتها ورتبتها في ميزان القيم والمقاصد، وتجعل منها قانونا عمليا يمكن من خلاله التقييم والترتيب، وهذا ما أشار إليه الأستاذ عبد الله ولد عثمان، بقوله: «عمد الشاطبي إلى بيان أن المقاصد في حد ذاتها تنقسم إلى ضرورية وحاجية وتحسينية، وهذا بطبيعة الحال يعكس النظام القيمي الذي على أساسه تتوزع وتترتب عملية تحقق المقاصد في أبعادها الشرعية والاجتماعية. ولذلك وضع خمس قواعد أساسية؛ هي:

القاعدة الأولى: أن الضروري أصل لما سواه من الحاجي والتكميلي.

القاعدة الثانية: أن اختلال الضروري يلزم منه اختلال الباقين بإطلاق.

القاعدة الثالثة: أنه لا يلزم من اختلال الباقين اختلال الضروري.

القاعدة الرابعة: أنه قد يلزم لاختلال التحسيني بإطلاق أو الحاجي اختلال الضروري بوجه ما.

القاعدة الخامسة: أنه ينبغي المحافظة على الحاجي والتحسيني للضروري»[1].

ولتوضيح هذه الرؤية يقول الدكتور فهمي علوان: «ففكرة المقاصد بالإضافة إلى أنها أكملت شطر العلم، فإن الفضل يرجع لها في إبراز

---

(١) نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، دراسة في بنية التشكل المعرفي لعلم المقاصد، لعبد الله محمد ولد عثمان الحسني، موقع الشهاب، http://www.chihab.net.

الجانب الأخلاقي لعلم أصول الفقه، فما هو قانوني من وجهة نظر علماء أصول الفقه جعلته هي أخلاقيا فقد جمعت مجموعة مثالية من القواعد التي يتعين على الأفراد الامتثال لها حتى ولو تعارضت مع رغباتهم ونزواتهم الفردية، وتقترن القاعدة الأخلاقية بالنية الطيبة التي تسبق الفعل أو تصحبه، أو تعقبه، وهي ترفض التحيل الذي يتعارض مع القواعد الأخلاقية، والقيم الأساسية، كما تقترن القواعد الأخلاقية بجزاء يتمثل في الجزاء القانوني والجزاء الديني كما لا يخلو من الجزاء الاجتماعي لأن عدم احترام القواعد الأخلاقية فيه فساد لحالة المجتمع وفيه فوت حياة، وتستمد القاعدة الخلقية قوتها من اعتبارات متعددة، منها الاعتبارات الدينية، والاعتبارات الاجتماعية، والاعتبارات الاقتصادية، والاعتبارات الإنسانية، وهذه هي القيم الأساسية التي تمثل المصلحة المرسلة. واستمرار السلوك في المجتمع بدافع المحافظة على هذه القيم يخلق إقناعا جماعيا بواجب احترام القواعد الأخلاقية»[1]، ثم أشار إلى الأثر النهضوي للتشريع الإسلامي في ربطه القيم الأخلاقية باعتباراتها القانونية كبعد من الأبعاد الدينية العامة المنبثقة عن العقيدة والشريعة الإسلامية.

ويؤكد أهمية رعاية المقاصد والمعرفة الكلية في العلوم الإسلامية، ما ذكره الدكتور فهمي محمد علوان، بقوله: «وهكذا بقي علم أصول الفقه فاقدا قسما عظيما هو شطر العلم الباحث عن أحد ركنيه[2] حتى القرن

(١) القيم الضرورية ومقاصد التشريع الإسلامي، ص ١٠، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩م.

(٢) «قواعد تضبط له طريق استعمال العرب في لسانها، وأخرى تضبط له مقاصد الشارع في تشريعه للأحكام»، الموافقات، للشاطبي، دراسة وتحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

الثامن الهجري عندما تدارك الشاطبي هذا النقص فحلل المقاصد إلى أربعة أنواع[1]، ثم أخذ يفصل كل نوع منها، وأضاف إليها مقاصد المكلف في التكليف، وبسط هذا الركن في الموافقات، وبين كيف أن الشريعة مبنية على مراعاة المصالح وأنها نظام عام لجميع البشر، دائم أبدي، ولو فرضنا بقاء الدنيا غير نهاية، لأنها مراعى فيها مجرى العوائد المستمرة، وأن اختلاف الأحكام عند اختلاف العوائد ترجع كل عادة إلى أصل شرعي يحكم به عليها، وأن هذه الشريعة خاصتها السماح وشأنها الرفق..»[2].

وبهذا نتبين عظم مقاصد الشريعة وأهمية دراستها ورعايتها، فما جاءت التشريعات الربانية إلا لتحقيق تلك المقاصد السنية، بالمحافظة على المصالح، ودرء المفاسد، وقد قال العز بن عبد السلام - رحمه الله - في كتابه قواعد الأحكام: «فكل مأمور به ففيه مصلحة الدارين أو إحداهما، وكل منهي عنه ففيه مفسدة فيهما أو في إحداهما...»[3]، وقال أيضا: «والشريعة كلها مصالح: إما تدرأ مفاسد، أو تجلب مصالح...»[4].

(١) «ذهب إلى التركيز على تحديد مفهوم المصلحة تحديدا يعبر عن تلك الدقة، حيث يقسمها إلي نوعين: فالأول يعتبر من جهة قصد الشارع في وضع الشريعة ابتداءً، ومن جهة قصده في وضعها للأفهام، ومن جهة قصده في وضعها للتكليف بمقتضاها، ومن جهة قصده دخول المكلف تحت حكمها، أما النوع الثاني فيتمثل في مقاصد المكلف التي بينها في «أن الأعمال بالنيات، والمقاصد معتبرة في التصرفات، من العبادات والعادات» و «قصد الشارع من المكلف أن يكون قصده في العمل موافقا لقصده في التشريع». نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، دراسة في بنية التشكل المعرفي لعلم المقاصد، لعبد الله محمد ولد عثمان الحسني، موقع الشهاب، http://www.chihab.net.

(٢) القيم الضرورية ومقاصد التشريع الإسلامي، ص ٩، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩م.

(٣) قواعد الأحكام، ج١، ص ٥-٧.

(٤) قواعد الأحكام، ج ١، ص ٩.

ونظرا لما يعترض الفقه المقاصدي من تجاذبات تتراوح بين الإفراط والتفريط، فقد وجه الشاطبي - رحمه الله - إلى منهج وسط، وجعل ذلك من تميز الإسلام في تحقيق المقاصد الشرعية، وذلك بصورة متوازنة، فقال: «فإنه قد مر أن مقصد الشارع من المكلف الحمل على التوسط من غير إفراط ولا تفريط»[1].

●●●●●

(١) الموافقات، المجلد الثاني، ج ٤، ص ١٤٩.

المطلب الرابع

خصائص الإسلام العامة[1] ومحاسنه

خصائص الإسلام هي محاسنه التي تميز بها عن غيره، فقد جاء في لسان العرب: «خصّه بالشيء يخُصّه خَصّاً وخُصوصاً وخَصُوصِيّةً وخُصُوصِيّةً والفتح أفصح، وخِصِّيصَى وخصّصَه واخْتصّه أَفْرَدَه به دون غيره»[2]، وجاء في المعجم الوسيط: «الخصيصة الصفة التي تميز الشيء و تحدده، (ج) خصائص»[3].

ويراد بمصطلح خصائص الإسلام: «الصفات المميزة للإسلام عن غيره، أو المزايا التي ينفرد بها الإسلام دون غيره»[4].

ومحاسن الإسلام هي مظاهر الجمال في مبادئه وقيمه وأحكامه وتشريعاته، فقد جاء في المعجم الوسيط: «الحسن: الجمال وكل مبهج مرغوب فيه، (ج) محاسن»[5].

وبهذا يمكن أن تظهر العلاقة بين القيم والخصائص الإسلامية من جهة، وبين المقاصد والخصائص الإسلامية من جهة أخرى، إذ الخصائص

---

(١) انظر الخصائص العامة للإسلام، ليوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، وانظر أصول الدعوة، لعبد الكريم زيدان، ص ٤٣- ٧٣، مكتبة المنار الإسلامية، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

(٢) لسان العرب، ج ص ٧، ص ٢٤.

(٣) المعجم الوسيط، ج ١، ص ٢٣٨.

(٤) مجلة القبس، العدد الثاني، ١٩٩٩م، جامعة الأزهر، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين بدسوق، بحث محاسن خصائص الإسلام، لمحمد أبو الفتح البيانوني، ص ٥٥، التركي للطباعة، طنطا.

(٥) المعجم الوسيط، ج ١، ص ١٧٤.

التي تميز بها الإسلام هي جزء من القيم التي رعاها، ونظرا لتميزه وريادته في رعايتها فقد خصت هذه القيم بالذكر في مقام الخصائص والميزات...

كما أن الترتيب المقاصدي للقيم، والفقه التشريعي في ضوئها، وحسن التناسق بينها، أثمر عنه رعاية مجموعة من القيم، جعل منها مزايا خاصة، فكان ذلك أيضا بعدا من أبعاد ظهور الرسالة الخاتمة، وخصيصة من خصائصها.

وبهذا تكون خصائص الإسلام ومحاسنه الناتجة عن رعاية القيم والمقاصد الإسلامية، جزءا من القيم الإسلامية التي رعاها الإسلام، مع إبرازها لجوانب التميز والخصوصية فيه...

ونظرا لأهمية التبصير بالخصائص والمحاسن العامة في الإسلام بالنسبة لأمة الدعوة وأمة الإجابة، فقد أصبح التعريف بها، والتوضيح والإظهار لها، واجبا دعويا، ومتطلبا شرعيا.

ولكثرة تلك الخصائص والمحاسن، فسأقتصر الحديث عند بعضها، بالإشارة والتوضيح، حتى يلتفت إليها انتباه العقلاء، وتتأملها بصائر النبلاء، وتفيد منها مراكب الفضلاء من الدعاة والعلماء، والناس عامة، ومن أبرز تلك الخصائص والمحاسن للدين الإسلامي:

١ - ربانية المصدر والغاية والرسالة:

فهذه الأمة تستمد عقيدتها وشريعتها وقوانينها من هدي السماء، قال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا

ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾، (سورة الشورى، الآيتان: ٥٢- ٥٣).

كما تتوجه الأمة الإسلامية في عبادتها وطاعتها وحياتها لله رب العالمين، قال جل شأنه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾، (سورة الأنعام، الآيتان: ١٦٢- ١٦٣).

وتظهر ربانية الأمة الإسلامية أيضاً في رسالتها وخلافتها، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾، (سورة البقرة، الآيتان: ٣٠- ٣١).

وهذه الربانية في المصدر والغاية والرسالة تضفي على الدين الإسلامي قدسية في نفوس الناس، فتكون سببا من أسباب الرقابة الذاتية، والرغبة في الطاعة والعبادة، ورافدا من روافد الوازع الديني لدى الأفراد، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾، (سورة النساء، الآية: ١)، وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: أن النبي صلى الله

عليه وعلى آله وسلم سئل عن الإحسان فقال: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لم تَكُنْ تَرَاهُ فإنه يَرَاكَ»[1].

٢ - رسالته خاتمة الرسالات:

ختم الله تعالى رسالاته برسالة الأمة المحمدية، فخصها بخاتم رسله، وأنزل معه خاتم كتبه، قال سبحانه: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾، (سورة الأحزاب، الآية: ٤٠)، وقال أيضا: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾، (سورة المائدة، الآية: ٤٨).

وعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ من قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا، فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إلا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ من زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ الناس يَطُوفُونَ به وَيَعْجَبُونَ له وَيَقُولُونَ: هَلا وُضِعَتْ هذه اللَّبِنَةُ، قال: فَأَنَا اللَّبِنَةُ وأنا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ»[2].
فلا رسول بعد محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ولا كتاب بعد القرآن الكريم، ولا رسالة بعد رسالة الإسلام.

---

(١) صحيح البخاري، بَاب سُؤَالِ جِبْرِيلَ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن الإِيمَانِ وَالإِسْلامِ وَالإِحْسَانِ وَعِلْمِ السَّاعَةِ، حديث رقم ٥٠.

(٢) صحيح البخاري، بَاب خَاتِمِ النَّبِيِّينَ صلى الله عليه وعلى آله وسلم، حديث رقم ٣٣٤١.

٣ - الحفظ والخلود:

تكفل الله تعالى بحفظ رسالة الإسلام ودين الإسلام وأمة الإسلام، قال سبحانه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾، (سورة الحجر، الآية: ٩)، وعن المُغِيرَةِ بن شُعْبَةَ رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «**لا تزال طَائِفَةٌ من أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حتى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ**»[(١)].

قال النووي – رحمه الله –: «ويحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين منهم شجعان مقاتلون ومنهم فقهاء ومنهم محدثون ومنهم زهاد وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل قد يكونون متفرقين فى أقطار الأرض وفى هذا الحديث معجزة ظاهرة فان هذا الوصف ما زال بحمد الله تعالى من زمن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى الآن ولا يزال حتى يأتى أمر الله المذكور في الحديث...»[(٢)].

فمهما حاول الأعداء العبث بهذا الدين، أو الانتقاص منه، أو محاولة تشويهه وتغييبه، ومهما ضعف حاملوه والمدافعون عنه، فإن الله تعالى يحفظه بعظمته، ويكلؤه برعايته، ويهيئ له من يحميه، قال جل شأنه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾، (سورة فصلت، الآيتان: ٤١- ٤٢).

---

(١) صحيح البخاري، بَاب قَوْلِ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: لا تَزَالُ طَائِفَةٌ من أُمَّتِي ظَاهِرِينَ على الْحَقِّ وَهُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ، حديث رقم ٦٨٨١.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، باب قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: (لا تزال طَائِفَةٌ من أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حتى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ)، ج ١٣، ص ٦٧.

٤ - العصمة:

من خصائص الدين الإسلامي أنه الحق المبين، الذي جاء به الرسول الكريم، بواسطة جبريل الأمين، عن رب العالمين، المتصف بالكمال والجلال والجمال في علمه وقدرته وسائر أسمائه وصفاته، يعلم السر وأخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾، (سورة الأنعام، الآية: ٥٩).

وعن عُبَادَةَ بن الصَّامت رضي الله عنه قال: سمعت رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «**إِنَّ أَوَّلَ ما خَلَقَ الله الْقَلَمَ فقال له اكْتُبْ، فَجَرَى بِمَا هو كَائِنٌ إلى الأَبَدِ**»[1].

فعلم الله تعالى الشامل والكامل، المنزه عن الشبهة والهوى، وعن الخطأ والقصور، جعل من الدين حقا معصوما، فمصدره الله تعالى رب العالمين، وحامله الروح الأمين الذي نزل به على قلب أفضل الرسل وخاتم النبيين، الذي عصمه الله تعالى عن الخطأ في تحمل الدين وتبليغه حفاظا عليه، فقال في حقه رب العزة والجلال: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾، (سورة النجم، الآيات: ٢-٤). ومن هنا فإن تمسك الإنسان بهذا الدين يعطيه ثقة بصحة ما يحمله وما يؤمن به، وما يدعو إليه، ويبقى تركيزه متوجها نحو اجتهاده في الفهم والعمل والتطبيق، وهذه خصيصة من خصائص الدين الإسلامي.

---

(١) سنن الترمذي، بَاب وَمِنْ سُورَةِ ن، حديث رقم ٣٣١٩، وقال عنه هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

٥ - المعجزة الخالدة:

جعل الله تعالى معجزة هذه الأمة في كتابها الكريم، فكانت معجزة خالدة، شاهدة وحاضرة في كل زمان ومكان، وذلك أنها خاتمة الرسالات، كما جاءت كافة للعالمين، فما تزال الحجة لها بهذه المعجزة قائمة إلى يوم الدين.

فإن كان جانب إعجاز القرآن الكريم الذي عرفه المسلمون الأوائل في اللفظ والمعنى، والسبك والمبنى، فإن جوانب الإعجاز اليوم أخذت أبعادا جديدة، تتسق مع تطور الزمان واكتشافاته، في الكون والطبيعة، والإنسان والحياة، والفن والجمال، وغير ذلك من مجالات...، وما تزال دلائل الإعجاز تتواصل وتتوالى بتوالي الأيام والسنين، لتبرز للعالمين انسجام ما سطره القرآن الكريم بآياته الكريمة المقروءة، وما ذرأه الله تعالى من آيات كونية عظيمة مشهودة، لتدل على أن الله تعالى هو الخالق المدبر، وهو العظيم القادر، قال: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾، (سورة فصلت، الآية: ٥٣).

ومن هنا فإن الإعجاز المتجدد والمستمر، سبيل إلى إظهار دين الحق، ورسالة الهدى والخير، قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾، (سورة الفتح، الآية: ٢٨).

٦ - الوسطية:

فمن أبرز الخصائص والمحاسن في الدين الإسلامي التوازن والاعتدال

في التعامل مع الكون والدين والناس والحياة، وذلك لأن الله تعالى خالق الكون والناس، ومشرع الدين والأخلاق، ومدبر شؤون الحياة، وهو تعالى أعلم بما خلق، فجاء شرعه منسجما مع خلقه، وجاءت رسالته محققة للسعادة في الحياة الدنيا والآخرة، دون إفراط أو تفريط، قال جل وعلا: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾، (سورة الملك، الآية: ١٤).

فجاء دين الله تعالى ملاذا آمنا للناس، تأوي إليه نفوسهم، وتطمئن به قلوبهم، وتسمو به أرواحهم، وتتأمل فيه عقولهم، وتذل له جوارحهم، فإذا جنح الإنسان مفرطا أو مفرطا عاد إلى دين الله وشرعه القويم، ليهديه سبيل الرشاد، ويعيده إلى الصراط المستقيم، ومن هنا وصف الله تعالى أمة الإسلام بقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ...﴾، (سورة البقرة، الآية: ١٤٣)، فكما جعل الله تعالى البيت الحرام مثابة للناس وأمنا، واختار تلك البقعة المرتكزة في محور الكون شرقه وغربه، وخصها بأن تكون قبلة للمسلمين، فكذلك جعل المؤمنين الذين اهتدوا بهديه أمة وسطا، وخصهم بهذه الخصوصية التي تظهر في الدين كله عقيدة وشريعة وسلوكا وأخلاقا.

قال البيضاوي رحمه الله-: «﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾: إشارة إلى مفهوم الآية المتقدمة، أي كما جعلناكم مهديين إلى الصراط المستقيم، أو جعلنا قبلتكم أفضل القبل، ﴿جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾: أي خياراً ، أو عدولاً، مزكين بالعلم والعمل»[1].

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي، ج ١، ص ١٨٠.

٧ - العالمية:

من خصائص الدين الإسلامي أنه دين عالمي، ختم الله تعالى به رسالاته لخلقه، فجعله للناس كافة، قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾، (سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧)، وقال أيضا: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨﴾، (سورة سبأ، الآية: ٢٨)، وقال أيضا: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ١﴾، (سورة الفرقان، الآية: ١).

وعن جَابِرُ بن عبد اللَّه رضي الله عنه أَنَّ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لم يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي، نُصِرْتُ بالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ من أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لي الْمَغَانِمُ ولم تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وكان النبي يُبْعَثُ إلى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إلى الناس عَامَّةً**»[١].

ومن هنا جاءت النداءات الربانية للبشرية جمعاء في مواضع كثيرة من كتاب الله تخاطب بني آدم جميعهم، والناس كافة، بل إن الله تعالى أراد لهذا الدين أن ينتشر في جميع بقاع الأرض، حتى لا يبقى بيت إلا دخله، وقد بشر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بذلك، فعن تميم الداري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «**ليبلغن هذا الأمر مبلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر**[٢]

---

(١) صحيح البخاري، باب إذا لم يجد ماء ولا ترابا، حديث رقم ٣٢٨.

(٢) المدر: قطع الطين اليابس، وقيل الطين العلك الذي لا رمل فيه، واحدته مدرة، لسان العرب، ج ٥، ص ١٦٢.

ولا وبر إلا أدخله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، يعز بعز الله في الإسلام، ويذل به في الكفر»[1].

٨ - الكمال:

شهد الله تعالى لهذه الأمة بكمال دينها، وجعل ذلك من تمام إنعامه عليها، فقال سبحانه: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾، (سورة المائدة، الآية: ٣).

وعن طَارِقِ بن شِهَابٍ قال: قال رَجُلٌ من الْيَهُودِ لِعُمَرَ: يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لو أَنَّ عَلَيْنَا نَزَلَتْ هذه الآيَةُ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ لاتَّخَذْنَا ذلك الْيَوْمَ عِيدًا، فقال عُمَرُ: إني لأَعْلَمُ أَيَّ يَوْمٍ نَزَلَتْ هذه الآيَةُ، نَزَلَتْ يوم عَرَفَةَ في يَوْمِ جُمُعَةٍ...)[2].

ومن كمال الدين وتمامه وقداسته تنزهه عن النقص والعيب، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢﴾، (سورة النساء، الآية: ٨٢).

٩ - الشمول:

تميز دين الإسلام بشموله، قال سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾، (سورة النحل، الآية: ٨٩)، وقال

---

(١) المستدرك على الصحيحين، كتاب الفتن والملاحم، حديث رقم ٨٣٢٦، وقال عنه الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، قال الذهبي في التلخيص: على شرط البخاري ومسلم.

(٢) صحيح البخاري، كِتَاب الاعْتِصَامِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، حديث رقم٦٨٤٠.

أيضا: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾، (سورة يوسف عليه السلام، الآية: ١١١).

فقد شمل الدين الإسلامي جميع مجالات الحياة ونواحيها، سواء منها ما يتعلق بالعقائد والشرائع، أو ما يختص بالكون والإنسان والحياة، أو ما يرتبط بالدار الآخرة، فكان فيه غنى عن كل ما سواه.

يقول فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي -حفظه الله- عند حديثه عن الفهم الشمولي للإسلام: «وإذا كان تيار الوسطية، يرفض الأفهام التي تقوم على تجزئة الإسلام، فإنه يتميز بفهمه الشمولي للإسلام، فهو لا يركز على شعبة من الإسلام دون شعبة، ولا بعد دون بعد، بل يسلط الأضواء عليها جميعا، وبخاصة ما أهمله المسلمون، أو أعطوه دون حقه وحجمه في تعاليم الإسلام، ومن هنا كان الاهتمام بالأبعاد الخمسة أو الشعب الخمس التالية:

شعبة تتجه إلى النفس فتصلحها بالتزكية، وهذا هو البعد الإيماني، وشعبة تتجه إلى المجتمع فتصلحه بالعدالة، وهذا هو البعد الاجتماعي، وشعبة تتجه إلى الحكم فتصلحه بالشورى، وهذا هو البعد السياسي، وشعبة تتجه إلى النظم فتصلحها بالتشريع، وهذا هو البعد التشريعي، وشعبة تتجه إلى الحياة فتصلحها بالعمارة، وهذا هو البعد الحضاري»[1].

---

(١) الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي والإسلامي، للدكتور يوسف القرضاوي، ص ٦٠، دار الشروق، القاهرة، الطبعة السابعة، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٦م.

وجاء التحذير من أن يتوسع الإنسان بتكلف السؤال عما سكت الله عنه ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ١٠١ قَدۡ سَأَلَهَا قَوۡمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡ ثُمَّ أَصۡبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ ١٠٢ ﴾، (سورة المائدة، الآيتان: ١٠١- ١٠٢).

وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: **«دَعُونِي ما تَرَكْتُكُمْ، إنما أهلك من كان قَبْلَكُمْ سؤالهم وَاخْتلافهمْ على أَنْبِيَائِهِمْ، فإذا نَهَيْتُكُمْ عن شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وإذا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا منه ما اسْتَطَعْتُمْ»**[(١)] وعن سَعْد بن أبي وَقَّاصٍ رضي الله عنه أَنَّ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: **«إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا من سَأَلَ عن شَيْءٍ لم يُحَرَّمْ فَحُرِّمَ من أَجْلِ مَسْأَلَتِه»**[(٢)].

١٠ - بيان دائرة الثوابت الإسلامية ووضوحها:

من خصائص الإسلام أنه جعل للمسلمين مبادئ وثوابت واضحة بينة قائمة لا تتغير ولا تتبدل، ولا يسع أحد الاجتهاد فيها، بل لا يسع أحد إلا التسليم والإذعان لها، والاعتقاد والإيمان بها، لتكون إطارا يجمع أتباع الدين مهما اختلفت مناهجهم، ومهما تنوعت اتجاهاتهم، وتعددت مذاهبهم، فأمة الإسلام أمة واحدة، ربها واحد، ورسالتها وقدوتها واحدة، وأهدافها وغاياتها متحدة، وقبلتها ووجهتها واحدة أيضا، قال

---

(١) صحيح البخاري، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، حديث رقم ٦٨٥٨.

(٢) صحيح البخاري، باب ما يكره من كثرة السؤال، حديث رقم ٦٨٥٩.

سبحانه: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾، (سورة الأنبياء، الآية: ٩٢).

كما جاء في الكتاب الذي عاهد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم اليهود عليه قوله: (هذا كتاب من محمد النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب، ومن تبعهم، فلحق بهم، وجاهد معهم، إنهم أمة واحدة من دون الناس)(١).

وقد جاءت جميع تلك الثوابت والمبادئ واضحة جلية في كتاب الله تعالى الميسر للناس جميعا، قال جل شأنه: ﴿ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿١٧﴾ ﴾، (سورة القمر، الآية: ١٧)، كما وصف الله تعالى القرآن الكريم بالإبانة، فقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾ ﴾، (سورة المائدة، الآيتان: ١٥- ١٦).

كما بين الله تعالى أنه أرسل رسله بلسان قومهم، وأن الحكمة من ذلك البيان لهم، قال جل شأنه: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ

(١) السيرة النبوية لابن هشام، تقديم وتعليق طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ج ٢، ص ١٠٦.

ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾، (سورة إبراهيم عليه السلام، الآية: ٤)، وعن الْعِرْبَاض بْن سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَوْعِظَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذِهِ لَمَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ قَالَ: **«قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إلا هَالِكٌ وَمَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الأَنِفِ[1] حَيْثُمَا انْقِيدَ انْقَادَ»[2]**.

١١ - المرونة والفاعلية:

خص الله تعالى رسالة هذه الأمة بأن جعل فيها فسحة من المرونة تجعلها صالحة لكل زمان ومكان، وتضمن لها استمرارها إلى آخر الزمان، فلا يعجزها تقدم علمي، ولا يبعدها عن حيز الوجود تطور مادي، بل تبقى منهلا للعلم ومصدرا للتقدم.فمع وجود الثوابت والمبادئ التي ميزها الله تعالى بالثبات وعدم التغير، جعل الله تعالى بعضا من الأحكام والتشريعات قابلة للتغير والتبدل، وفقا لتغير الزمان والمكان، وتبدل الأحوال والظروف، وانسجاما مع التقدم والتطور في العلوم والمعارف والعقول.

وتظهر مرونة الدين وفاعليته بالتوازن في حفظ المبادئ والثوابت

(١) الأنف: أي المأنوف، وهو الذي عقر الخشاش أنفه، فهو لا يمتنع على قائده للوجع الذي به، وقيل: الأنف: الذلول، النهاية في غريب الحديث، ج ١، ص ٧٥، مادة أنف، باب الهمزة مع النون.

(٢) مسند الإمام أحمد – رحمه الله -، كتاب مسند الشاميين، باب حديث العرباض بن سارية عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، حديث رقم ١٦٥١٩، ورمز المناوي إلى صحته، فيض القدير، ج ٤، ص ٦٦٤، حديث رقم ٦٠٩٦.

الإسلامية، والتعامل مع المعطيات الواقعية المعتبرة التي شرعها الله تعالى، فهي نموذج من الفاعلية بين الثوابت والمثاليات المرجوة، والواقع والمتغيرات المعتبرة فيه، وقد عقد ابن قيم الجوزية -رحمه الله- فصلا كاملا في كتابه إعلام الموقعين عن رب العالمين، أسماه: فصل في تغير الفتوى واختلافها بحسب تغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والنيات والعوائد[1]، أفاض فيه بذكر الأمثلة والشواهد الشرعية على تغير الفتوى لاعتبارات شرعية.

١٢ - التجديد والانبعاث:

من خصائص الدين الإسلامي أن الله تعالى أودع فيه ميزة التجدد والانبعاث فكلما ضعفت أمة الإسلام هيأ الله تعالى لهذا الدين من يجدده في الحياة، ويبعثه بثوب جديد، يعيد إلى الإسلام عزته ورفعته، وللأمة الإسلامية خيريتها ورشدها، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾، (سورة المائدة، الآية: ٥٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، قال: «**إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها**»[2].

---

(١) ج ٣، ص ٣.

(٢) سنن أبي داود، باب ما يذكر في قرن المئة، حديث رقم ٤٢٩١، وقال عنه السخاوي: سنده صحيح ورجاله كلهم ثقات وكذا صححه الحاكم فإنه أخرجه في مستدركه، المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، ج ١، ص ٢٠٣، دار الكتاب العربي.

١٣ - نسخ ما قبلها من الكتب والرسالات:

جاءت رسالة الإسلام مهيمنة على الكتب السابقة وناسخة لها، قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾، (سورة المائدة، الآية: ٤٨).

وجاء خاتم الأنبياء والمرسلين متمما لما جاء به الرسل الكرام عليهم الصلاة السلام، وناسخا للشرائع التي جاؤوا بها، فعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم قال: «**وَالَّذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيده، لا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ من هذه الأُمَّة، يَهُودِيٌّ ولا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ ولم يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إلا كان من أَصْحَابِ النَّارِ**»[١].

وقد أنكر النبي صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم على عمر رضي اللّه عنه، لما جاءه بكتاب أصابه من بعض أهل الكتب، فعن عن جَابِرِ بن عبد اللّهِ رضي اللّه عنه، أَنَّ عُمَرَ بـن الْخَطَّابِ رضي الله عنه أتى النبي صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم بِكِتَابٍ أَصَابَهُ من بَعْضِ أَهْلِ الْكُتُبِ فَقَرَأَهُ النبي صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم فَغَضِبَ فقال: «**أَمُتَهَوِّكُونَ**[٢] **فيها**

(١) صحيح مسلم، بَاب وُجُوبِ الْإِيمَانِ بِرِسَالَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى جَمِيعِ الناس وَنَسْخِ الْمِلَلِ بِمِلَّتِهِ، حديث رقم ١٥٣.

(٢) «التهوك: كالتهور، وهو الوقوع في الأمر بغير روية، المتهوك الذي يقع في كل أمر، وقيل: هو التحير» النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي، ج٥، ٢٨١، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

يا ابن الْخَطَّابِ؟! والذي نفسي بيده لقد جِئْتُكُمْ بها بَيْضَاءَ نَقِيَّةً لاَ تَسْأَلُوهُمْ عن شيء فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ أو بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا به، والذي نفسي بيده لو أَنَّ مُوسَى عليه السلام كان حَيًّا ما وَسِعَهُ إِلاَّ أَنْ يتبعني»[1].

وبهذا فإن المؤمن يكتفي في أمور دينه بما يجده في كتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ولا يتطلع إلى غيرهما، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض**»[2].

١٤ - القدرة على التأسيس والإصلاح والتطوير:

من خصائص الدين الإسلامي قدرته على التأسيس لسبل الخير والسعادة ابتداء، وقدرته على الإصلاح والتطوير والاندماج في مسيرة الخير وتتميمه لها، انطلاقا من قاعدة التتميم والتكميل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «**بعثت لأتمم صالح الأخلاق**»[3]، وتمسكا بقاعدة التعاون في مجال الخير، قال سبحانه:

---

(١) مسند الإمام أحمد، مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، حديث رقم ١٥١٩٥.

(٢) المستدرك، كتاب العلم، الحديث رقم ٣١٩، وقال السيوطي: « وقال مالك في الموطأ إنه بلغه أن رسول الله قال تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي وأسنده ابن عبد البر في التمهيد من طريق كثير عن أبيه عن جده، قال الحافظ ابن حجر في أطرافه فالظاهر أن مالكا أخذه عن كثير والأشبه أن كثيرا في درجة الضعفاء الذين لا ينحط حديثهم إلى درجة الوضع وأن الحديث الذي أورده المؤلف في درجة الضعيف الذي لم ينحط إلى درجة الموضوع»، اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، لجلال الدين السيوطي، ج ١، ص ٨٦، دار الكتب العليمة.

(٣) مسند الإمام أحمد، باب مسند أبي هريرة رضي الله عنه، حديث رقم ٨٩٣٩، قال عنه الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح، مجمع الزوائد، ومنبع الفوائد، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢ هـ.

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّه إِنَّ اللَّه شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (سورة المائدة، الآية: ٢).

فالإسلام مع غير المسلمين لا يتطلب انسلاخا من العادات والثقافات والموروثات المادية والحياتية، التي سطرتها الحضارات الإنسانية، شريطة أن لا تتعارض مع الدين، بل إنه يهذبها ويقومها وفق مبادئ عظيمة وثوابت مرشدة، فما تلبث أن تنضم تلك المخرجات الحضارية المتنوعة إلى مهد الإسلام لتكون لها خصوصياتها وتميزها في إطار الإسلام العظيم.

كما أنه مع المسلمين جعل النصيحة أساسا من أسس الدين تحافظ عليه وتصلح ما طرأ على الناس من تقصير أو خلل فيه، فعَنْ تَمِيم الدَّارِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وعلى آله وَسَلَّمَ قَالَ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ قُلْنَا لِمَنْ قَالَ لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**»[1].

وبهذا استوعب الإسلام ما عند الآخرين من خير، وأصلحه ونماه، إضافة إلى ما جاء به من هدى وخير، حتى أخذ آفاقا جديدة في التقدم والازدهار، وتجاوز في أبعاده هذه الدار ليوجه اهتمام الناس بها كونها سبيلا إلى دار الخلود، ويدفعهم إلى الإبداع والتطوير والإتقان، ليكونوا بذلك متعبدين لله تعالى في تحقيق مهمتهم بالخلافة على هذه الأرض.

●●●●●

(١) صحيح مسلم، باب أن الدين النصيحة، حديث رقم ٨٢.

المطلب الخامس

الوعود والدوافع الربانية

جاءت في كتاب الله تعالى وفي سنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وعود وبشارات كثيرة لأتباع دين الإسلام، تسهم في طمأنينة المسلم، وتعزز من همته، وتقوي من عزمه، كيف لا وقد صدرت هذه الوعود عن رب العالمين، وهو القائل عن نفسه جل شأنه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ١٢٢﴾، (سورة النساء، الآية: ١٢٢)، بل إن الله تعالى عهد لخلقه على نفسه عهودا بالتفضل والإنعام تكرما منه وفضلا، ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١١﴾، (سورة التوبة، الآية: ١١١).

وقد جعل الله تعالى البشارة من صفات النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وأمره أن يبشر عباد الله المؤمنين، فقال جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ٤٧﴾، (سورة الأحزاب، الآيات: ٤٥- ٤٧)، وكان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يأمر أصحابه

رضي الله عنهم بالتبشير، فعن أبي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذا بَعَثَ أَحَدًا من أَصْحَابِهِ فِي بَعْضِ أَمْرِهِ قال: «**بَشِّرُوا ولا تُنَفِّرُوا وَيَسِّرُوا ولا تُعَسِّرُوا**»[1].

ومن تلك الوعود والعهود والبشارات:

١ - الوعد بالقوة والتمكين والأمن للمؤمنين:

قال سبحانه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾، (سورة النور، الآية: ٥٥).

وعن ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**إِنَّ اللَّهَ زَوَى لي الأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا ما زوى لي منها...**»[2]، فعن تميم الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «**ليبلغن هذا الأمر مبلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر**[3] **ولا وبر إلا أدخله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، يعز بعز الله في الإسلام، ويذل به في الكفر**»[4].

---

(١) صحيح مسلم، بَاب فِي الأَمْرِ بِالتَّيْسِيرِ وَتَرْكِ التَّنْفِيرِ، حديث رقم ١٧٣٢.

(٢) صحيح مسلم، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، ، حديث رقم ٢٨٨٩.

(٣) المدر: قطع الطين اليابس، وقيل الطين العلك الذي لا رمل فيه، واحدته مدرة، لسان العرب، ج ٥، ص ١٦٢.

(٤) المستدرك على الصحيحين، كتاب الفتن والملاحم، حديث رقم ٨٣٢٦، وقال عنه الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، قال الذهبي قي التلخيص: على شرط البخاري ومسلم.

٢ - الوعد بالرزق والعطاء للمؤمنين:

قال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، (سورة الأعراف، الآية: ٩٦)، وقال أيضا: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾، (سورة الطلاق، الآيتان: ٢- ٣).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «**لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا**»[١].

٣ - الوعد بالعزة والرفعة والسناء والمجد للمؤمنين:

قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾، (سورة المنافقون، الآية: ٨)، وقوله أيضا: ﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، (سورة آل عمران، الآية: ١٣٩).

وقوله: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾، (سورة النساء، الآية: ١٤١).

وعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**بشر أمتي بالسناء والرفعة والتمكين في البلاد ما لم يطلبوا**

---

(١) المستدرك على الصحيحين، كتاب الرقاق، حديث رقم ٧٨٩٤، وقال عنه الحاكم: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، و سكت عنه الذهبي في التلخيص.

الدنيا بعمل الآخرة، فمن طلب الدنيا بعمل الآخرة لم يكن له في الآخرة من نصيب هذا»[1].

٤ - الوعد بالنصر والغلبة والعون من الله:

قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧﴾، (سورة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، الآية: ٧)، وقال أيضا: ﴿وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٢٣ إِذۡ تَقُولُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ١٢٤ بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ١٢٥ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۗ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١٢٦﴾، (سورة آل عمران، الآيات: ١٢٣- ١٢٦)، وقال جل شأنه: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمۡنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٤٧﴾، (سورة الروم، الآية: ٤٧)، وقال جل وعلا: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ٣٨﴾، (سورة الحج، الآية: ٣٨).

وقال أيضا: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٩﴾، (سورة الصف، الآيتان: ٨- ٩).

---

(١) المستدرك على الصحيحين، كتاب الرقاق، حديث رقم ٧٨٩٥، وقال عنه الحاكم: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، قال العجلوني: وروى أحمد وابن حبان والحاكم وصححاه والبيهقي وابن مردويه عن أبي بن كعب ثم ذكر الحديث، كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الاحاديث على ألسنة الناس، للعجلوني، ج ١، ص ٤٠٨، دار إحياء التراث العربي.

وعَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وسلم وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ - قُلْنَا لَهُ: أَلا تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ قَالَ: **«كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لا يَخَافُ إِلا اللَّهَ أَوْ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»**[1].

٥ - الوعد بتجديد الدين الإسلامي بين الناس وإحيائه:

تكفل الله تعالى بحفظ رسالة الإسلام كتابا وسنة وأمة، فقال جل وعلا: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾، (سورة الحجر، الآية: ٩).

وحث النبي صلى الله عليه وسلم على إحياء سنته وهديه بين الناس، ووعد على ذلك بالفضل الكبير، فعَنْ كَثِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ هُوَ ابْنُ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ الْمُزَنِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِبِلالِ بْنِ الْحَارِثِ: **«اعْلَمْ، قَالَ: مَا أَعْلَمُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: اعْلَمْ يَا بِلالُ، قَالَ: مَا أَعْلَمُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: إِنَّهُ مَنْ أَحْيَا سُنَّةً مِنْ سُنَّتِي قَدْ أُمِيتَتْ بَعْدِي فَإِنَّ لَهُ مِنْ الأَجْرِ مِثْلَ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ ابْتَدَعَ بِدْعَةَ ضَلالَةٍ لا تُرْضِي اللَّهَ وَرَسُولَهُ، كَانَ عَلَيْهِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ عَمِلَ بِهَا لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَوْزَارِ النَّاسِ شَيْئًا»**[2].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم ٣٣٤٣.

(٢) سنن الترمذي، باب ما جاء في الأخذ بالسنة، حديث رقم ٢٦٠١، وقال عنه الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

وكما حفظ الله تعالى الكتاب والسنة هيأ من هذه الأمة طائفة تقوم بحمل الدين وتجديده بين الناس، فعن مُعَاوِيَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «**لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِن أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللهِ لا يَضُرُّهُمْ من خَذَلَهُمْ أو خَالَفَهُمْ حتى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ على الناس**»[1]، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، قال: «**إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها**»[2].

٦ - الوعد للمؤمنين بأن يكونوا أول أهل الجنة دخولا وأكثرهم عددا:

من الوعود والبشارات التي بشر بها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أمته، ما خصهم به رب العزة والجلال يوم القيامة من خصائص إكراما للنبي عليه الصلاة والسلام، ومن ذلك ما رواه ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلُ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلانِ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، وَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فَرَجَوْتُ أَنْ تَكُونَ أُمَّتِي، فَقِيلَ: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فَقِيلَ لي انْظُرْ هَكَذَا وَهَكَذَا، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فَقِيلَ، هَؤُلاءِ أُمَّتُكَ، وَمَعَ هَؤُلاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ**

---

(١) صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، باب قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم، حديث رقم ١٠٣٧.

(٢) سنن أبي داود، باب ما يذكر في قرن المئة، حديث رقم ٤٢٩١، وقال عنه السخاوي: سنده صحيح ورجاله كلهم ثقات وكذا صححه الحاكم فإنه أخرجه في مستدركه، المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، ج ١، ص ٢٠٣، دار الكتاب العربي.

الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، فَتَفَرَّقَ النَّاسُ، وَلَمْ يُبَيَّنْ لَهُمْ، فَتَذَاكَرَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: أَمَّا نَحْنُ فَوُلِدْنَا فِي الشِّرْكِ وَلَكِنَّا آمَنَّا بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَلَكِنْ هَؤُلاءِ هُمْ أَبْنَاؤُنَا، فَبَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: هُمْ الَّذِينَ لا يَتَطَيَّرُونَ، وَلا يَسْتَرْقُونَ، وَلا يَكْتَوُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ، فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ، فَقَالَ: أَمِنْهُمْ أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَقَامَ آخَرُ، فَقَالَ: أَمِنْهُمْ أَنَا، فَقَالَ: سَبَقَكَ بِهَا عُكَاشَةُ»(١).

ومن ذلك أيضا أن أمة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أول الناس دخولا الجنة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نَحْنُ الآخِرُونَ الأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا، وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ، فَاخْتَلَفُوا، فَهَدَانَا اللهُ لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ الْحَقِّ، فَهَذَا يَوْمُهُمْ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ، هَدَانَا اللهُ لَهُ، قَالَ: يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فَالْيَوْمَ لَنَا، وَغَدًا لِلْيَهُودِ، وَبَعْدَ غَدٍ لِلنَّصَارَى**»(٢).

إلى غير ذلك من وعود وعهود وبشارات...

●●●●●

(١) صحيح البخاري، باب بَاب مَنْ لَمْ يَرْقِ، حديث رقم ٥٣١١.

(٢) صحيح مسلم، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة، حديث رقم ١٤١٣.

المبحث الثالث

المصادر البشرية لقوة الأمة الإسلامية

وفيه تسعة مطالب:

كثرة عدد المسلمين.

تنوع الأجناس البشرية والانتماءات الحضارية في إطار الإسلام.

وضوح المهام والمسؤوليات المتنوعة وتحديدها.

تنوع وتباين القدرات والمؤهلات البشرية واستيعابها.

تميز المسلم بالسعي إلى التزكية الذاتية، وتبصيره بالمحفزات والروادع الشرعية.

اجتماع المسلمين تحت إطار الأمة والجماعة الواحدة.

انسجام طبيعة الإنسان المسلم مع شريعة ربه تعالى.

انسجام أفراد الأمة الإسلامية مع الكائنات الأخرى.

التميز النوعي للإنسان الذي أسلم وجهه لله.

المبحث الثالث

المصادر البشرية لقوة الأمة الإسلامية

نظر الإسلام إلى الإنسان نظرة خاصة، جعلت منه خليفة في الأرض، مؤهلا لحمل الأمانة، وصالحا لأداء الرسالة، ومحلا للتكليف والمسؤولية، قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾، (سورة الأحزاب، الآية: ٧٢).

فكان بذلك مستحقا للتكريم الإلهي على سائر الخلق، حيث خلقه الله تعالى خلقا سويا قويما، قال جل وعلا: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾، (سورة التين، الآية: ٤)، وكرمه وفضله على كثير من العالمين تفضيلا، قال سبحانه: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾، (سورة الإسراء، الآية: ٧٠).

وكان من تكريم الله تعالى وتفضيله للإنسان أن سخر له الكائنات، فبسط له الأرض، وجعلها له ذلولا، وهيأ له فيها مأكله ومشربه ومسكنه، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾، (سورة الملك، الآية: ١٥).

كما شرع الله تعالى له الشرائع فأرسل إليه رسلا مبشرين ومنذرين، وأنزل معهم الكتب فيها هدى ونور، فمن تبعها عاش راشدا مطمئنا، ومن

أعرض عنها عاش ضالا شقيا، قال جل شأنه: ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ (سورة طه، الآيتان: ١٢٣- ١٢٤).

فكان الإنسان بما خصه الله تعالى به مؤهلا للتكليف والحساب، قال سبحانه: ﴿ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾، (سورة الصافات، الآية: ٢٤)، وعن أبي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يوم الْقِيَامَةِ حتى يُسْأَلَ عن عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ وَعَنْ مَالِهِ من أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلاهُ**»[1].

ومن هنا كان الإنسان المؤمن الذي هدي إلى صراط الله تعالى ودينه القويم، مصدرا من مصادر قوة الأمة الإسلامية، التي تتألف من مجموع المسلمين إلى يوم الدين، وجاء هذا المبحث في تسعة مطالب:

١. كثرة عدد المسلمين.

٢. تنوع الأجناس البشرية والانتماءات الحضارية في إطار الإسلام.

٣. وضوح المهام والمسؤوليات المتنوعة وتحديدها.

٤. تنوع وتباين القدرات والمؤهلات البشرية واستيعابها.

---

(١) سنن الترمذي، باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص، حديث رقم ٢٤١٧، وقال عنه: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

٥. تميز المسلم بالسعي إلى التزكية الذاتية، وتبصيره بالمحفزات والروادع الشرعية.

٦. اجتماع المسلمين تحت إطار الأمة والجماعة الواحدة.

٧. انسجام طبيعة الإنسان المسلم مع شريعة ربه تعالى.

٨. انسجام أفراد الأمة الإسلامية مع الكائنات الأخرى.

٩. التميز النوعي للإنسان الذي أسلم وجهه لله.

●●●●●

المطلب الأول

كثرة عدد المسلمين

يعتبر المسلمون في العالم من أكبر النسب العددية، حيث تذكر بعض الدراسات تجاوز عدد المسلمين نسبة الخمس من التعداد العالمي، علما بأن هذه الدراسات الإحصائية مضى على أكثرها ما يزيد عن عقدين من الزمان.

ويذكر الدكتور فتحي يكن -حفظه الله- بعض الإحصاءات المتوفرة حتى عام ١٤٠٠هـ، فيقول: "تقول الإحصاءات المتوفرة حتى عام ١٤٠٠ هـ إن العدد الإجمالي لسكان العالم الإسلامي يتراوح ما بين (٨٠٠) إلى (٨٥٠) مليون نسمة، بخلاف الأقليات المتفرقة غير ذات الحجم، والتي تعيش في دول غير إسلامية أو خارج العالم الإسلامي.

وتقول الإحصاءات أن نحو (٥٥٠) مليون نسمة، أو ما يزيد عن ثلثي سكان العالم الإسلامي يعيشون في قارة آسيا، وأن عدد الدول الإسلامية المستقلة في قارة آسيا حتى الآن هي ٢١ دولة، بخلاف الجمهوريات الإسلامية الداخلية في اتحاد الجمهوريات السوفياتية.

ويعيش ما بين (٢٥٠ إلى ٣٠٠) مليون نسمة من سكان العالم الإسلامي في أفريقيا، في ٢٧ دولة مستقلة، ويمثل المسلمون نحو ٦٠٪ من سكان أفريقيا كلها.

فإذا أضفنا إلى سكان العالم الإسلامي، المسلمين المقيمين متفرقين كأقليات في قارات أوروبا والأمريكتين والمناطق الأخرى، وهي أعداد لا

يتوفر الإحصاء الدقيق لها حتى الآن، فإنه يمكن أن تصل القوى البشرية الإسلامية في العالم لنحو ألف مليون مسلم، وهذه القوى تمثل نحو خمس سكان الكرة الأرضية بأكملها...»[1].

وإذا ما نظرنا إلى توسع نطاق انتشار الإسلام في العصر الحاضر، فإنه يغلب على الظن تجاوز هذه النسبة، وذلك لتوسع وسائل التواصل الحديثة التي أصبحت ثورة من ثورات العصر الحالي، فانتشرت القنوات الفضائية المرئية والمسموعة، والمواقع الإلكترونية في الشبكة العنكبوتية، كما انتشر المسلمون في كل مكان بأعداد كبيرة تسمى بالأقليات أو الجاليات الإسلامية، مما يشير إلى بشارة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، بقوله: (ليبلغن هذا الأمر مبلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر[2] ولا وبر إلا أدخله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، يعز بعز الله في الإسلام، ويذل به في الكفر)[3].

وقد وجه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم المؤمنين إلى الحرص على تكثير أعدادهم، الكثرة المعتبرة كماً وكيفاً، وأنذر من زمان يأتي على الناس تكون فيه الأمة في وهن كغثاء السيل، فعن معقل بن يسار رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**تزوجوا الودود الولود،**

---

(١) كتاب العالم الإسلامي والمكائد الدولية خلال القرن الرابع عشر الهجري، لفتحي يكن، مرجع سابق.

(٢) المدر: قطع الطين اليابس، وقيل الطين العلك الذي لا رمل فيه، واحدته مدرة، لسان العرب، ج ٥، ص ١٦٢.

(٣) المستدرك على الصحيحين، كتاب الفتن والملاحم، حديث رقم ٨٣٢٦، وقال عنه الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، قال الذهبي في التلخيص: على شرط البخاري ومسلم.

فإني مكاثر بكم الأمم»[1]، وعَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: «يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّة نَحْنُ يَوْمَئِذ؟ قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ الْوَهْنَ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْت»[2].

●●●●●

(١) المستدرك على الصحيحين، للحاكم، باب تزوجوا الودود الولود، حديث رقم ٢٦٣٥، وقال عنه: هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه بهذه السياقة، قال الذهبي في التلخيص: صحيح.

(٢) سنن أبي داود، باب في تداعي الأمم على الإسلام، حديث رقم ٣٧٤٥، وسكت عنه.

المطلب الثاني

تنوع الأجناس البشرية والانتماءات الحضارية في إطار الإسلام

من خصائص الدين الإسلامي أنه جاء كافة للعالمين، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨ ﴾، (سورة سبأ، الآية: ٢٨)، كما ذكر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من خصائصه التي ميزه الله تعالى بها عن غيره من الأنبياء والمرسلين عالمية رسالته، فقال: «... **وكان النبي يُبْعَثُ إلى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إلى الناس عَامَّةً**»[1].

ومن هنا تنوعت وتعددت أجناس المسلمين الذين انضموا إلى الأمة الإسلامية فالتزموا بالعقيدة الدافعة، والشريعة الهادية، والأخلاق الحاكمة، التي تعينهم على تحقيق الخلافة والعمارة التي كلفهم الله تعالى بها في أرضه، فكانوا خير أمة أخرجت للناس، لما تقدمه لهم من خير وصلاح، قال سبحانه: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١١٠﴾، (سورة آل عمران، الآية: ١١٠)، قال أبو السعود: «وقيل : بخير أمةٍ أي: كنتم خيرَ الناسِ للناس، فهو صريحٌ في أن الخيريةَ بمعنى: النفعِ للناس، وإن فُهم ذلك من الإخراج لهم أيضاً، أي: أخرجَتْ لأجلهم ومصلحتِهم، قال أبو هريرة

---

(١) صحيح البخاري، باب إذا لم يجد ماء ولا ترابا، حديث رقم ٣٢٨.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: معناه كنتم خيرَ الناسِ للناس، تأتون بهم في السلاسل، فتُدخِلونهم في الإسلام»[1].

ومع حرص أمة الإسلام على تقديم الخير والصلاح للناس جميعا، وتعزيز ذلك في نفوس أتباعها، فقد احتضنت في إطارها كل من يسهم بالخير والصلاح في هذه الحياة من غير المسلمين، على اختلاف ألوانهم وتعدد أجناسهم وتنوع لغاتهم، وتباين حضاراتهم وتاريخهم وتراثهم.

وفي هذا يقول فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي – حفظه الله –: «ومن الخير أن نقر بأن لكل حضارة خصوصيتها، وأن نبقي على خير ما فيها، وأن نقتبس من إيجابياتها، ونتجنب سلبياتها، وأن لا نقهر أمة على التخلي عن حضارتها، والانقطاع عن جذورها، ما لم تتحول هي من حضارة إلى أخرى باختيارها الحر، وإرادتها المستقلة...»[2].

ونظرا لهذه المساحة المنفتحة على التنوع والتعدد في إطاره الإسلامي والإنساني بمجالاته المختلفة فقد أفاد الإسلام من ذلك في إثراء حضارة المسلمين، التي جمعت في رحابها كل من يتوجه لخير وصلاح الحياة وتحقيق النفع للإنسانية، فكان التنوع الحضاري الإنساني عنصر إثراء للحضارة الإسلامية، سواء كان ذلك بدخول الناس في دين الله تعالى أفواجا من أقطار وأمصار متنوعة، انسجمت بحضاراتها مع الدين الإسلامي، وكانت رافدا من روافد الحضارة الإسلامية، أو كانوا من المبدعين على اختلاف أديانهم وحضاراتهم ممن يريدون الخير والصلاح

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، ج ١، ص ٤٣٥.

(٢) المسلمون والعولمة، ص ١١٤، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

للإنسانية، فهيأ الإسلام لهؤلاء وأولئك فرص النجاح بالتجربة والتطوير، مما زاد في إبداعاتهم، وتنمية مهاراتهم، وتعزيز وإتقان مخرجاتهم، فكم من إسهامات لغير المسلمين فُعِّلت وأظهرت تحت مظلة الإسلام، مما يؤكد اهتمام الدين الإسلامي بكل ما من شأنه الصلاح والخير للناس جميعا.

وقد جعل الله تعالى حضارة أمة الإسلام التي تمسكت بهديه، وعملت بشريعته، واستوعبت كل المحسنين دينا ودنيا في إطارها، حضارة تضيء العالم بما حباها به من محاسن وخصائص، تجعلها سباقة في الميدان الحضاري، متوجهة نحو التطور والتقدم والاهتمام بالعلم والمعرفة، في صورة مثالية، تؤكد على عالميتها وشموليتها.

ومن هنا كان الإسلام مثالا للتعايش والتعارف والتعاون والتكامل مع الآخرين، حيث اجتمع معهم في إطار إنساني عام، يعزز المشتركات العامة بصورة عملية مثلى، تؤمن بالخصوصيات وتحفظها، وتستفيد من المشتركات وتوسعها.

وبهذا يؤكد الإسلام قيمة التعارف التي جعل الله التنوع والتعدد علة لها، فقال جل شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾، (سورة الحجرات، الآية: ١٣).

●●●●●

المطلب الثالث
وضوح المهام والمسؤوليات المتنوعة وتحديدها

يعتبر الإنسان في نظر الإسلام عنصرا مؤثرا في الحياة، تسمو وترقى إن عمل فيها خيرا، وتدنو وتشقى إن عمل فيها شرا، فمع عدالة الإسلام وتخصيص من عمل خيرا باليسرى، ومن عمل شرا بالعسرى، إلا أن الخير والصلاح إذا عم وانتشر عم خيره الناس والكائنات جميعا، والشر والفساد إذا انتشر وعم وصل أذاه إلى الناس جميعا، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾، (سورة الروم، الآية: ٤١)، وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: **«يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ: خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ، لَمْ تَظْهَرْ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلا فَشَا فِيهِمْ الطَّاعُونُ وَالأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلافِهِمْ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمَؤُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنْ السَّمَاءِ وَلَوْلا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلا جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ»**[1].

---

(١) سنن ابن ماجه، باب العقوبات، حديث رقم ٤٠٠٩، قال الهيثمي: روى ابن ماجه بعضه، رواه البزار، ورجاله ثقات، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيثمي، ج ٢، ص ٤٢٦، باب ما نهى عن قتله من النساء وغير ذلك.

فصلاح الإنسان في الحياة أو فساده لا يختص به فحسب بل يتعداه إلى غيره ممن حوله، ثم إلى الكائنات كلها، إذا كثر الخبث، ومن هنا فقد وزع الإسلام المسؤوليات منذ اللحظة الأولى لوجود الإنسان، بعد اصطفائه واستخلافه في هذه الأرض، وتحميله الأمانة، حيث كلف كل إنسان بواجباته حسب المسؤوليات التي تناسب حاله، قال تعالى: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾، (سورة الصافات، الآية: ٢٤)، وقال أيضا: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾، (سورة الإسراء، الآية: ٣٦).

وعَنْ عَبْد اللّه بْن عُمَرَ رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللّهِ صَلَّى اللّه عَلَيْه وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّته، فَالإمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّته، وَالرَّجُلُ فِي أَهْله رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّته، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْؤولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِه رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّته، قَالَ: فَسَمِعْتُ هَؤُلاءِ مِنْ رَسُولِ اللّه صَلَّى اللّه عَلَيْه وَسَلَّمَ، وَأَحْسبُ النَّبِيَّ صَلَّى اللّه عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: وَالرَّجُلُ فِي مَالِ أَبِيهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّته**»(١).

وتختلف تلك المسؤوليات والتكليفات باختلاف الحال، فإذا نظرنا إلى الإنسان من وجهة إسلامية سواء كان فردا أم جماعة، فإننا نرى له حدودا لا يحق له تجاوزها وعليه مسؤوليات لا يجور له التقصير فيها، فالفرد له حقوقه وواجباته، والأسرة لها حقوقها وواجباتها، والمجتمع حاكمه ومحكومه له حقوقه وواجباته، فلا تداخل في الحقوق والواجبات،

---

(١) صحيح البخاري، باب العبد راع في مال سيده، حديث رقم ٢٢٣٢.

ولا تعارض بينها، وإن حدث تعارض بسبب الخلل في التطبيق والعمل فقد قدم الإسلام مصلحة الجماعة على مصلحة الأفراد في الدنيا وحفظ للأفراد حقوقهم في الأخرى، حتى يضمن للأمة الإسلامية خيريتها، فعَنْ ابْنِ مَسْعُود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم قَالَ: «**سَتَكُونُ أَثَرَةٌ**[1] **وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: تُؤَدُّونَ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ وَتَسْأَلُونَ اللهَ الَّذِي لَكُمْ**»[2].

قال النووي - رحمه الله -: «قال العلماء: معناه تجب طاعة ولاة الأمور فيما يشق وتكرهه النفوس، وغيره مما ليس بمعصية، فإن كانت لمعصية فلا سمع ولا طاعة...، والأَثَـرَة وهي: الاستئثار والاختصاص بأمور الدنيا عليكم، أي اسمعوا وأطيعوا وإن اختص الأمـراء بالدنيا ولم يوصلوكم حقكم مما عندهم، وهذه الأحاديث في الحث على السمع والطاعة في جميع الأحوال، وسببها اجتماع كلمة المسلمين، فإن الخلاف سبب لفساد أحوالهم في دينهم ودنياهم»[3].

كما ربط الإسلام الأمة الإسلامية بغيرها من الأمم الأخرى برابطة الإنسانية، التي يشترك أطيافها في هذه الحياة بشراكة حقيقية، فالإسلام يجعل من الأمة الإسلامية أمة تعرف مكانها من الأمم الأخرى وتتحمل مسؤولياتها تجاهها، فتسعى لأداء واجباتها، والحصول على حقوقها،

---

(١) الأَثَرَة: من آثَرَ يُؤْثِر إيثارا إذا أعطى، أراد أنه يُسْتَأْثَر عليكم، فيُفضَّل غيركم في نصيبه من الفيء، والاستئثار: الانفراد بالشيء، النهاية في غريب الحديث، ج ١، ص ٢٢، باب الهمزة مع الثاء.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم ٣٣٣٥.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، المجلد السادس، ج ١٢، ص ٢٢٤- ٢٢٥، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية.

معتبرة لواجبات الآخرين، ومعترفة بحقوقهم، متميزة عن غيرها من الأمم في ثوابتها ومبادئها، فلا تخل بمصلحة الإنسان والحياة إن أخل الناس، بل تتنبه إلى مسؤولياتها وترعاها، فعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تَكُونُوا إِمَّعَةً تَقُولُونَ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا وَإِنْ أَسَاؤوا فَلا تَظْلِمُوا**»[1].

●●●●●

(١) سنن الترمذي، باب ما جاء في الإحسان والعفو، حديث رقم ١٩٣٠، وقال عنه: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لا نَعْرِفُهُ إلا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

المطلب الرابع
تنوع وتباين القدرات
والمؤهلات البشرية واستيعابها

من الأمور المسلمة التي اعتبرها الإسلام في تشريعاته تباين وتفاوت القدرات والمؤهلات المادية والمعنوية بين بني البشر، فجاء التوجيه العام بالعمل في ما يحسنه الإنسان ويقدر عليه، حتى يؤدي رسالته وفقا لما يناسب حاله وقدراته، فعَنْ عِمْرَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فِيمَا يَعْمَلُ الْعَامِلُونَ؟ قَالَ: «**كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**»[1].

فتعدد مجالات الحياة، وتعدد جوانب الخيرات فيها تجعل من المسلم مبادرا وسابقا إلى استغلالها والإفادة منها، استجابة لأمر الله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾﴾، (سورة البقرة، الآية: ١٤٨).

وقد اعتبر الإسلام تنوع اهتمامات الناس في هذه الحياة فخفف عنهم بعضا من التكاليف التي توقع بهم الحرج، وتشغلهم عن القيام بمهامهم، قال تعالى: ﴿۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ

---

(١) صحيح البخاري، باب قوله تعالى: (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ)، (سورة القمر، الآية: ١٧) ، حديث رقم ٦٩٩٦.

﴿وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًاۚ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾، (سورة المزمل، الآية: ٢٠).

كما وجه الشارع الحكيم الأمة الإسلامية إلى ضرورة التوازن والتكامل في تحقيق المصالح والمتطلبات الدينية والدنيوية، مشيرا إلى فضل كل مجال سواء منه ما يتعلق بالدين وفقهه وحفظه ونشره والجهاد في سبيل الله، أو ما يتعلق منه بالتجارة والزراعة والعمارة، مما يحفز النفوس لتحقيق ما تحسنه في تلك الميادين، على أن يتم التوازن والتكامل فيها، قال جل شأنه في سياق الحديث عن الجهاد: ﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةًۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾، (سورة التوبة، الآية: ١٢٢)، وذلك تنبيها على ضرورة التنسيق والتوازن في توزيع المهام حسب المؤهلات والاحتياجات، وعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **«نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ»**[1].

وقد أثبت النبي صلى الله عليه وسلم في سيرته العطرة القدرة الفائقة على تحقيق هذا التوازن، بتوجيهه لأصحابه الكرام رضي الله عنهم للعمل الذي يتناسب مع مؤهلاتهم، ويحقق متطلبات أمتهم، فمن ذلك اختيار مصعب بن عمير للخروج إلى المدينة المنورة سفيرا، والثناء

---

(١) سنن أبي داود، باب فضل نشر العلم، حديث رقم ٣١٧٥، وسكت عنه، وقال عنه الترمذي حديث حسن، سنن الترمذي، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، حديث رقم ٢٥٨٠.

على القدرات الفقهية لمعاذ بن جبل وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس وآخرين، وعلى غيرهم بحسن تحمل القرآن وأدائه كابن مسعود وأبي بن كعب وغيرهم، وآخرين في ميدان الجهاد كخالد بن الوليد، وحمزة بن عبد المطلب وغيرهم، وعلى آخرين بالزهد والعبادة كعبد الله بن عمر وأبي ذر وغيرهما، وبعضهم إلى جهاد الكلمة كحسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وغيرهم، رضي الله عنهم وأرضاهم جميعا.

كما أكد النبي صلى الله عليه وسلم أن على الإنسان أن يبادر بما يستطيعه وأن يسابق إلى فعل الخيرات، مقررا تفضيل الله تعالى بعض الناس على بعض فيما آتاهم، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالدَّرَجَاتِ الْعُلَى وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ، فَقَالَ: **«وَمَا ذَاكَ؟ قَالُوا يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ وَلا نَتَصَدَّقُ، وَيُعْتِقُونَ وَلا نُعْتِقُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَفَلا أُعَلِّمُكُمْ شَيْئًا تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ، وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَلا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ إِلا مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: تُسَبِّحُونَ وَتُكَبِّرُونَ وَتَحْمَدُونَ دُبُرَ كُلِّ صَلاةٍ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ مَرَّةً، قَالَ أَبُو صَالِحٍ: فَرَجَعَ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: سَمِعَ إِخْوَانُنَا أَهْلُ الأَمْوَالِ بِمَا فَعَلْنَا فَفَعَلُوا مِثْلَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ»**[1]

●●●●●

---

(١) صحيح مسلم، باب استحباب الذكر بعد الصلاة، حديث رقم ٩٣٦.

المطلب الخامس

تميز المسلم بالسعي إلى التزكية الذاتية وتبصيره بالمحفزات والروادع الشرعية

وضع الله تعالى لعباده قانونا تشريعيا متميزا، يناسب اختلاف النوع الإنساني من حيث التزكية والصفاء والطهارة والنقاء، فجاءت الشريعة الإسلامية هادية للإنسان ومقومة له، تزرع الطمأنينة في نفسه والسكينة في فؤاده والتزكية في روحه، فتوجه بذلك تفكيره وعقله، وتقوم سلوكه وأعماله، وتحجزه عن الوقوع في مهاوي الردى، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾، (سورة الجمعة، الآية: ٢).

وجاء التوجيه الرباني لبني البشر بأهمية تزكية النفس وتهذيبها، قال سبحانه: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾، (سورة الشمس، الآيات:٠١)، كما جاءت العقيدة الإلهية، والتشريعات الربانية معززة لتهذيب النفوس وتزكيتها، قال جل شأنه: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾﴾، (سورة طه، الآية: ٧)، وقال أيضا: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾، (سورة التوبة، الآية: ١٠٣)، وقال أيضا: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾، (سورة العنكبوت، الآية: ٤٥).

ولهذا كان من طبيعة المسلم مراقبة نفسه وسلوكه وقوله وعمله، فعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«اتَّقِ اللَّهِ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعْ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»**(١)، وعن النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **«الْحَلالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ فَمَنْ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ أَلا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى أَلا إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ»**(٢).

ومع حرص الإسلام على تنمية الدوافع والزواجر النفسية الشخصية، وتفعيلها في نفوس أتباعه، إلا أنه كان حكيما في تشريع الزواجر والعقوبات المادية الرادعة، لمن قصر في تزكية نفسه حتى وقع في بعض المنكرات والفواحش، وذلك تأديبا لمن ظلم نفسه، وتأمينا لسلامة المجتمع المسلم، ومن هنا ذكرت بعض النصوص الشرعية زواجر شديدة، وبينت حدودا ناجعة، تعود بالمسلم إلى طريق الهدى والرشاد، وتفتح له باب التوبة والإنابة، فعَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«مَنْ أَصَابَ حَدًّا فَعُجِّلَ عُقُوبَتَهُ فِي الدُّنْيَا فَاللَّهُ أَعْدَلُ مِنْ أَنْ يُثَنِّيَ عَلَى عَبْدِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الآخِرَةِ وَمَنْ أَصَابَ حَدًّا فَسَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَفَا عَنْهُ فَاللَّهُ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يَعُودَ إِلَى شَيْءٍ قَدْ عَفَا عَنْهُ»**(٣).

---

(١) سنن الترمذي، باب ما جاء في معاشرة الناس، حديث رقم ١٩١٠، وقال عنه: حسن صحيح.

(٢) صحيح البخاري، باب فضل من استبرأ لدينه، حديث رقم ٥٠.

(٣) سنن الترمذي، باب ما جاء لا يزني الزاني..، حديث رقم ٢٥٥٠، وقال عنه: حسن غريب.

كما تحقق هذه العقوبات الردع والزجر في قلوب من تسول له نفسه اقتراف الفواحش والمنكرات، ولهذا جاء الأمر الإلهي بإقامة الحد على مرأى من الناس، قال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾، (سورة النور، الآية: ٢).

●●●●●

المطلب السادس
اجتماع المسلمين تحت إطار الأمة والجماعة الواحدة

نحى الشارع الإسلامي الحكيم في خطابه للمؤمنين منحى متميزا، ربطهم بالناس جميعا برابطة النسب الأرضي، ليكونوا أمة واحدة مع غيرهم من بني آدم، وكرمهم على غيرهم ممن خلق تكريما، ثم ميزهم بأن جعل منهم أمة مسلمة واحدة من دون الناس، قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾، (سورة الإسراء، الآية: ٧٠)، وقال عليه الصلاة والسلام: «**يا أَيُّهَا الناس أَلاَ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ إلا لاَ فَضْلَ لعربي على أعجمي وَلاَ لعجمي على عربي وَلاَ لأَحْمَرَ على أَسْوَدَ وَلاَ أَسْوَدَ على أَحْمَرَ إلاَّ بِالتَّقْوَى**»[1].

وكان الناس أمة واحدة تابعة للحق والهدى، ثم اختلفوا فبعث الله تعالى أنبياءه مبشرين ومنذرين، فهدى من شاء إلى الرشاد، وأضل من شاء، قال تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ ﴾، (سورة البقرة، الآية: ٢١٣).

---

(١) الحديث رواه أبو نضرة، مسند الإمام أحمد، حديث شيخ من أصحاب النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، حديث رقم ٢٣٥٣٦، قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح، مجمع الزوائد، ج ٤، ص ٢٦٦، باب الخطب في الحج.

قال الخازن - رحمه الله -: «قوله عز وجل: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ أي: على دين واحد. وقيل: هو آدم وذريته كانوا مسلمين على دين واحد إلى أن قتل قابيل هابيل فاختلفوا. وقيل: كان الناس على شريعة واحدة من الحق والهدى من وقت آدم إلى مبعث نوح ثم اختلفوا، فبعث الله نوحاً، وهو أول رسول بعث، ثم بعث بعده الرسل... وقيل: كانت الناس أمة واحدة حين أخرجوا من ظهر آدم لأخذ الميثاق فقال: ألست بربكم؟ قالوا: بلى، فاعترفوا بالعبودية ولم يكونوا أمة واحدة غير ذلك اليوم، ثم لما ظهروا إلى الوجود اختلفوا بسبب البغي والحسد...»[1].

ولهذا ميز الله تعالى المؤمنين الذين آمنوا بالله تعالى ربا، والإسلام دينا، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا، وبالقرآن هاديا ودستورا...، فجعلهم أمة واحدة من دون الناس، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾، (سورة الأنبياء عليهم السلام، الآية: ٩٢)، وقال أيضا: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾، (سورة الحجرات، الآية: ١٠)، كما أكد النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم هذه الحقيقة في كتابه الذي وادع فيه يهود يثرب، قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ -رحمه الله -: «وَكَتَبَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّه عَلَيْه وَسَلّمَ كتَابًا بَيْنَ الْمُهَاجرينَ وَالأَنْصَار، وَادَعَ فيه يَهُودَ وَعَاهَدَهُمْ وَأَقَرّهُمْ عَلَى دينهمْ وَأَمْوَالهمْ وَشَرَطَ لَهُمْ وَاشْتَرَطَ عَلَيْهمْ، «**بسْم الله الرّحْمَن الرّحيم، هَذَا كتَابٌ منْ مُحَمّد النّبيّ صلى الله عليه وسلم، بَيْنَ الْمُؤْمنينَ وَالْمُسْلمينَ منْ قُرَيْش وَيَثْرِبَ، وَمَنْ تَبعَهُمْ فَلَحقَ بهمْ وَجَاهَدَ مَعَهُمْ، إنّهُمْ أُمّةٌ وَاحدَةٌ منْ دُون النّاس...**»[2].

---

(١) لباب التأويل، ج ١، ص ٢٠٢.

(٢) سيرة ابن هشام، ج ١، ص ٥٠١.

وذكر فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي - حفظه الله - عددا من الصفات التي تميز الأمة الإسلامية، ومن أبرزها الربانية والوسطية والدعوة والوحدة[1]...

وبهذا يتحقق في المؤمن سلامة انتمائه الإنساني العام، وميزة انتمائه الإسلامي الخاص، كما جاء في رسالة عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، إلى مالك بن الحارث الأشتر حين ولاّه مصر، حيث قال: «وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم؛ واللطف بهم، ولا تكوننّ عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم؛ فإنهم صنفان: إما أخٌ في الدين، وإما نظيرٌ لك في الخلق، يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ؛ فأعطهم من صفحك وعفوك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنك فوقهم، ووالي الأمر عليك فوقك؛ والله فوق من ولاّك؛ وقد استكفاك أمرهم وابتلاك بهم، فلا تنصبن نفسك لحرب الله، فإنه لا قوة لك بنقمته، ولا غنى بك من عفوه ورحمته...»[2].

وهذا الانتماء إلى الأمة الإسلامية الواحدة على مر الزمان يعتبر رافدا من روافد قوة الأمة الإسلامية ومصدرا من مصادر قوتها وعزتها، لما حفل به من مفاخر ومآثر حضارية على مر الزمان، تدعو المسلم إلى التطلع إليها والعودة لمثلها، والسعي لتجديدها وتطويرها، قال فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي - حفظه الله -: «إن تاريخ كل أمة مادة أصيلة في تربيتها لأبنائها، ولا سيما إذا كانت أمة ذات تاريخ عريق ومجيد،

---

(١) نحو وحدة فكرية للعاملين للإسلام، ليوسف القرضاوي، ص ٨٦- ٩٢، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م.

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري، باب في وصايا الملوك، ج ٢، ص ١٦٤.

وكان لها دورها ورسالتها وأثرها في العالم، على أن الواجب على الأمة أن تتعلم من مآثرها وأمجادها التاريخية، كما تتعلم من أخطائها ونقاط ضعفها»[1].

ومن هنا توجه الإسلام في نظرته إلى المسلمين في كثير من أحكامه وتعاليمه وتوجيهاته إلى مجموعهم كأمة مستقلة من دون الناس، تتكافأ فيما بينها، وتتوحد في مرجعيتها وأصولها ومصادرها، وتتفق في غاياتها وأهدافها، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾، (سورة النساء، الآية: ٥٩)، وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وعلى آله وَسَلَّمَ: «**الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ وَيُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ يَرُدُّ مُشِدُّهُمْ عَلَى مُضْعِفِهِمْ وَمُتَسَرِّيهِمْ عَلَى قَاعِدِهِمْ لا يُقْتَلُ مُؤْمِنٌ بِكَافِرٍ وَلا ذُو عَهْدٍ فِي عَهْدِهِ**»[2].

وكم من آيات قرآنية توجهت في خطابها إلى المؤمنين بصفة الإيمان، ولا سيما ما يتلوه توجيه رباني لأمة الإسلام، فقد جاء في تفسير ابن أبي حاتم: «أن رجلا أتى عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال: اعهد إلي، فقال: إذا سمعت الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ فأرعها سمعك؛ فإنه خير يأمره، أو شر ينهى عنه»[3].

---

(١) تاريخنا المفترى عليه، ليوسف القرضاوي، ص ١٠،دار الشروق، الطبعة الثانية، ٢٠٠٦م.

(٢) سنن أبي داود، باب في السرية ترد على أهل العسكر، حديث رقم ٢٣٧١، وسكت عنه.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم، ج ٤، ص ٢٠٠.

حتى أصبح وصف المؤمنين بالأمة الواحدة والجسد الواحد وصفا مثاليا، فعن النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آله وَسَلَّمَ: «**تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**»[1].

●●●●●

(١) صحيح البخاري، باب رحمة الناس والبهائم، حديث رقم ٥٥٥٢.

المطلب السابع

انسجام طبيعة الإنسان المسلم مع شريعة ربه تعالى

من أبرز مصادر قوة الأمة الإسلامية انسجام فطرة وطبيعة أفرادها وجماعاتها مع شريعة الله تعالى، فقد خلق الله تعالى الإنسان في أحسن تقويم، وفطره على فطرة الإيمان والإسلام لله رب العالمين، فعن أَبَي هُرَيْرَةَ رَضِي الله عَنْه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إلا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأبَوَاهُ يُهَوِّدَانه أوَيُنَصِّرَانه أَوْ يُمَجِّسَانه كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ[1] هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ**»[2] ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾، (سورة الروم، الآية:٣٠)[3].

وقد جاء دين الإسلام بعقيدته وشريعته وأخلاقياته منسجما مع متطلبات الإنسان المختلفة لبناء الشخصية الإسلامية المتوازنة بين فطرة الإنسان ونفسه، وعقله وفكره، وحركته وسلوكه، فوجهت المشاعر والعواطف والميول، وأنارت الأفكار والعقول والفهوم، وقومت الأقوال والأعمال والسلوك، فجعلت من الإنسان المؤمن

---

(١) جمعاء: أي سليمة من العيوب، مجتمعة الأعضاء كاملتها فلا جدع بها ولا كي، أنظر مادة: جمع، النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، ، المكتبة العلمية بيروت، ج١، ص ٢٩٦.

(٢) جدعاء: أي مقطوعة الأطراف، أو واحدها، أنظر مادة: جدع، المرجع السابق، ج ١، ص ٢٤٦.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، حديث رقم ١٢٧١، ١٢٧٠، ١٢٩٦، كتاب تفسير القرآن، حديث رقم ٤٤٠٢، كتاب القدر، حديث رقم ٦١١٠.

كائنا مكرما، مشرفا ومكلفا، ومؤهلا لحمل الأمانة وأداء الرسالة، فلا ازدواجية في حياة المسلم، ولا تناقض ولا انفصام، بل انسجام وتوافق واتزان.

قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾، (الأحزاب:٧٢)، وذكر القرطبي – رحمه الله –، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «الأمانة: الفرائض، عرضها الله عز وجل على السماوات والأرض والجبال، إن أدوها أثابهم، وإن ضيعوها عذبهم، فكرهوا ذلك وأشفقوا من غير معصية، ولكن تعظيما لدين الله عز وجل ألا يقوموا به، ثم عرضها على آدم فقبلها بما فيها».

كما تميز التشريع الإسلامي بتوافقه مع قدرة الإنسان في تكاليفه، واعتباره لما يعتريها من أحوال، كالقوة والضعف، والصحة والمرض، والخطأ والنسيان، والنوم واليقظة....، قال سبحانه: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾، (سورة البقرة، الآية: ٢٨٦).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ**»[١]،

(١) صحيح البخاري، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه سلم، حديث رقم ٦٧٤٤.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**تجاوز الله عن أمتي الخطأ، والنسيان، وما استكرهوا عليه**»(١). وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهِ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلاثَةٍ عَنْ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ وَعَنْ الْمُبْتَلَى حَتَّى يَبْرَأَ وَعَنْ الصَّبِيِّ حَتَّى يَكْبُرَ**»(٢).

وقد خفف الشارع الحكيم عن أهل الأعذار التكاليف التي توقع بهم حرجا أو مشقة، رحمة بهم ومراعاة لحالهم، فقال جل شأنه: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾﴾، (سورة الفتح، الآية: ١٧).

وتسامح التشريع الإسلامي مع أفراده الذين تجاوزا حدوده، فلم يقطع الطريق على من أسرف على نفسه عامدا متعمدا، ولم يسد أمامه أبواب التوبة والإنابة، بل دعاه إلى المغفرة والرحمة، ليبقى محاطا بإطار الدين، يحيا في أحضانه، مستشعرا أخطائه، ومؤنبا نفسه، أملا في رجوعه وإنابته، قال جل شأنه: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾، (سورة الزمر، الآية: ٥٣)، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «**قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:**

(١) المستدرك على الصحيحين، باب تجاوز الله عن أمتي الخطأ، حديث رقم ٢٧٥٢، وقال عنه الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، قال الذهبي قي التلخيص: على شرط البخاري ومسلم.

(٢) سنن أبي داود، باب في المجنون يسرق أو يصيب حدا، حديث رقم ٣٨٢٢، وسكت عنه.

أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ يَذْكُرُنِي، وَاللَّه للَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتَهُ بِالْفَلاةِ، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْه ذِرَاعًا وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا وَإِذَا أَقْبَلَ إِلَيَّ يَمْشِي أَقْبَلْتُ إِلَيْهِ أُهَرْوِلُ»[١].

●●●●●

(١) صحيح مسلم، باب في الحض على التوبة والفرح بها، حديث رقم ٤٩٢٧، .

المطلب الثامن

انسجام أفراد الأمة الإسلامية مع الكائنات الأخرى

من مصادر قوة الأمة الإسلامية انسجامها مع الكائنات الأخرى في العبودية والخضوع والطاعة لله رب العالمين، فالأمة الإسلامية بطاعتها لله تعالى واستجابتها لأوامره تظهر انسجامها التام مع الكائنات والمخلوقات الأخرى، التي أبدع الله تعالى خلقها، وسخرها وجبلها على طاعته، قال جل شأنه: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾، (سورة فصلت، الآية: ١١)، وقال أيضا: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾، (سورة الإسراء، الآية: ٤٤).

وهذا الانسجام والتوافق بين أمة الإسلام والمخلوقات الأخرى في هذا الكون الفسيح على طاعة الله تعالى والخضوع لأمره يعطي المسلم همة وعزيمة، ويضفي عليه سكينة وطمأنينة، وقد عبر الله تعالى عن هذه العلاقة بين المسلم وبين الكون الذي يعيش فيه، بذكر الفارق بينه وبين غيره من الناس، حيث قال جل شأنه في حق الهالكين من الكافرين: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾، (سورة الدخان، الآية: ٢٩).

نقل ابن كثير - رحمه الله -: «عن شريح بن عبيد الحضرمي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**إن الإسلام بدأ**

غريبا وسيعود غريبا كما بدأ، ألا لا غربة على مؤمن ما مات مؤمن في غربة غابت عنه فيها بواكيه إلا بكت عليه السماء والأرض ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: **﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ﴾، ثم قال: إنهما لا يبكيان على الكافر»**[1].

●●●●●

(١) تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ج ٤، ص ١٤٣، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

المطلب التاسع

التميز النوعي للإنسان الذي أسلم وجهه لله

أراد الإسلام لأمته أن تكون أمة متميزة في خصائصها وصفاتها، قدوة لغيرها في نهجها ومسيرتها، خير أمة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله...

فالإسلام فتح مجال الاختيار لكل الناس في الانضمام إليه بعد البيان والتوضيح، فجاءت عقيدته واضحة، وشريعته بينة، ومبادئه مشرقة، لا ترتاب فيها القلوب الصافية، ولا تشك فيها العقول السوية، من اختاره كان اختياره عن قناعة وإيمان، وعلم ويقين، قال جل وعلا: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾، (سورة البقرة، الآية: ٢٥٦).

كما حرص الإسلام على تميز الأمة الإسلامية في مجموعها، فحفظ لها دينها وشريعتها، وحث أفرادها على المحافظة عليها، وجعل النصيحة بينهم واجبا على اختلاف درجاتها وأشكالها، فعَنْ تَميم الدَّاريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وعلى آله وَسَلَّمَ قَالَ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ قُلْنَا لِمَنْ قَالَ لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**»[1].

وقد عصم الله تعالى الأمة الإسلامية في مجموعها عن الضلال، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ

(١) صحيح مسلم، باب أن الدين النصيحة، حديث رقم ٨٢.

وَسَلَّمَ: «لَنْ تَجْتَمِعَ أُمَّتِي عَلَى الضَّلالَةِ أَبَدًا، فَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ»[1].

وحذر الشارع من تهاون أفراد الأمة في الحفاظ على هذا التميز الذي أراده لها، فربط إبقائها واستمرارها باستمرار مسيرة الإصلاح فيها، قال جل وعلا: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾، (سورة هود عليه السلام، الآية: ١١٧)، وعَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ رضي الله عنها، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَيْهَا يَوْمًا فَزِعًا يَقُولُ: «لا إِلَهَ إِلا اللَّه وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدْ اقْتَرَبَ فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ، وَحَلَّقَ بِإِصْبَعَيْهِ الإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا، قَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَفَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الْخُبْثُ»[2].

كما شرع الإسلام حد الردة على من ترك دين الإسلام بعد الدخول فيه محافظة على مكانة الأمة الإسلامية وهيبتها، فعن ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قال رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»[3].

●●●●●

(١) المعجم الكبير للطبراني، حديث رقم ١٣٤٤٨، قال عنه الهيثمي: رواه الطبراني بإسنادين رجال أحدهما ثقات رجال الصحيح خلا مرزوق مولى آل طلحة وهو ثقة، مجمع الزوائد، ج ٢، ص ٣٦٣.

(٢) صحيح البخاري، باب يأجوج ومأجوج، حديث رقم ٦٦٠٢.

(٣) صحيح البخاري، باب حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم، حديث رقم ٦٤١١.

الخاتمة

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تنجز الأعمال، وبرحمته تتقبل الطاعات، والصلاة والسلام على الهادي البشير، والسراج المنير، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فمن خلال هذه الدراسة لموضوع مصادر قوة الأمة الإسلامية، تم التوصل إلى ما يلي:

تقوم مصادر قوة الأمة الإسلامية على مرتكزات ثلاثة: (الكون والطبيعة، والدين والرسالة، والإنسان والفطرة).

من مصادر القوة الكونية للأمة الإسلامية: ثبات السنن الكونية وانسجامها مع الشرع الإلهي، وانسجام الحياة ومجالاتها في هذا الكون مع الدين الإسلامي، والموقع الإستراتيجي، والثروات الكامنة، والمساحات الكبيرة والمتنوعة، إلى غير ذلك من مصادر القوة الكونية التي سخرها الله تعالى للناس عامة وللمسلمين والبلاد الإسلامية خاصة...

من مصادر القوة في الدين الإسلامي، وضوح المبادئ الإسلامية، ورعايته للقيم العظيمة، والمقاصد العامة، وتميزه بخصائص ومحاسن جليلة، إضافة إلى مجموعة من الوعود الربانية الصادقة.

من مصادر قوة الأمة الإسلامية من الناحية البشرية: كثرة عدد المسلمين، وتنوع الأجناس البشرية والانتماءات الحضارية في إطار

الإسلام، ووضوح المهام والمسؤوليات المتنوعة وتحديدها، وتنوع وتباين القدرات والمؤهلات البشرية واستيعابها، وتميز المسلم بالسعي إلى التزكية الذاتية، وتبصيره بالمحفزات والروادع الشرعية، واجتماع المسلمين تحت إطار الأمة والجماعة الواحدة، وانسجام طبيعة الإنسان المسلم مع شريعة ربه تعالى، وانسجام أفراد الأمة الإسلامية مع الكائنات الأخرى التي تسبح بحمد الله، والتميز النوعي للإنسان الذي أسلم وجهه لله.

وفي الختام أحمده سبحانه وتعالى أن وفقني لإتمام هذه الدراسة، وأعانني على كتابتها، بمنه وكرمه، وأسأله جل شأنه أن تكون هذه الدراسة قد أسهمت في أداء بعض حقوق الدعوة الإسلامية علينا، وعالجت الموضوع الذي كتبت فيه، وبصرت به، كما أسأله تعالى أن ينفعني بما كتبت، وأن ينفع به إخواني المسلمين، وأن يجعله ذخرا لي يوم الدين، وأن يغفر لي تقصيري وزلاتي إنه سميع مجيب، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

●●●●●

المراجع

المراجع

١. القرآن الكريم.

٢. الاجتهاد المقاصدي، نور الدين الخادمي، سلسلة كتاب الأمة، وزارة الأوقـاف والشؤون الإسـلامية، قطر، العدد ٦٥، جمادى الأولى ١٤١٩هـ، السنة الثامنة عشرة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

٣. الأخلاق الإسلامية وأسسها، لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، ١٩٩٩م.

٤. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي.

٥. أصول الدعوة، لعبد الكريم زيدان، مكتبة المنار الإسلامية، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

٦. إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن قيم الجوزية راجعه وقدم له وعلق عليه طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، لبنان.

٧. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي.

٨. بصائر دعوية، لمحمد أبو الفتح البيانوني، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.

٩. بهجة المجالس وأنس المجالس، لابن عبد البر.

١٠. تاريخنا المفترى عليه، ليوسف القرضاوي، دار الشروق، الطبعة الثانية، ٢٠٠٦م.

١١. التخطيط للدعوة الإسلامية، لعلي محمد جريشة، طباعة رابطة العالم الإسلامي.

١٢. تعريف عام بدين الإسلامي، لعلي الطنطاوي، دار البشير للثقافة والعلوم، مصر، الطبعة الثالثة، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.

١٣. تفسير ابن أبي حاتم.

١٤. تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٥. التلخيص، للذهبي.

١٦. التوحيد مضامينه على الفكر والحياة، تأليف: إسماعيل راجي الفاروقي، ترجمة: السيد عمر، ١٤٣١ هـ، ٢٠١٠ م.

١٧. الجامع الصحيح، سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.

١٨. جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، لابن عبد البر، وقف على طبعه وتصحيحه وتقييد حواشيه: إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.

١٩. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الشعب، القاهرة.

٢٠. الخصائص العامة للإسلام، ليوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

٢١. خلق المسلم، لمحمد الغزالي، طبعة نهضة مصر، الطبعة العاشرة، ٢٠٠٥م.

٢٢. دراسة في فقه مقاصد الشريعة بين المقاصد الكلية والنصوص الجزئية، ليوسف القرضاوي، دار الشروق، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

٢٣. الدعوة الإسلامية في القرن الحالي، لمحمد الغزالي، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

٢٤. ركائز الإيمان بين العقل والقلب، لمحمد الغزالي، دار الشروق، القاهرة.

٢٥. سنن ابن ماجه.

٢٦. سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.

٢٧. السيرة النبوية لابن هشام، تقديم وتعليق طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت.

٢٨. الشبكة الدعوية، (http://www.daawa-info.net/books).

٢٩. شرح النووي على مسلم، للنووي.

٣٠. الصحوة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد، ليوسف القرضاوي، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٦م.

٣١. صحيح البخاري.

٣٢. صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

٣٣. العالم الإسلامي والمكائد الدولية خلال القرن الرابع عشر الهجري، لفتحي يكن.

٣٤. العطاء الحضاري للإسلام، لمحمد عمارة، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

٣٥. فيض القدير، للمناوي، ضبط وتصحيح أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.

٣٦. قواعد الأحكام في مصالح الأنام، لسلطان العلماء عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام.

٣٧. القيم الضرورية ومقاصد التشريع الإسلامي، لفهمي علوان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩م.

٣٨. كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، للعجلوني، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، توزيع مكتبة الغزالي، دمشق.

٣٩. اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، لجلال الدين السيوطي، دار الكتب العليمة.

٤٠. لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن، دار الفكر.

٤١. لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، الطبعة: الأولى.

٤٢. مجمع الزوائد، ومنبع الفوائد، للهيثمي دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ.

٤٣. محاسن خصائص الإسلام، بحث لمحمد أبو الفتح البيانوني، مجلة القبس، العدد الثاني، ١٩٩٩م، جامعة الأزهر، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين بدسوق، التركي للطباعة، طنطا.

٤٤. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لعبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين أبو البركات النسفي.

٤٥. المدخل إلى علم الدعوة، لمحمد أبو الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م.

٤٦. المستدرك على الصحيحين، لمحمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م، الطبعة: الأولى.

٤٧. المستصفى من علم الأصول، للإمام الغزالي، وبذيله فواتح الرحموت للعلامة عبد العلي الأنصاري، بشرح مسلم الثبوت في أصول الفقه للمحقق محب الله بن عبد الشكور، دار صادر، المطبعة الأميرية ببولاق، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٢٢هـ.

٤٨. المسلمون والعولمة، ليوسف القرضاوي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

٤٩. مسند الإمام أحمد.

٥٠. معالم النهوض بالخطاب الإسلامي، بحث لمعاذ البيانوني، الندوة العلمية: الخطاب الديني الواقع وآفاق المستقبل، طرابلس، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م، طباعة الهيئة العامة للأوقاف وشؤون الزكاة، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.

٥١. المعجم الكبير للطبراني.

٥٢. المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية، تحقيق: إبراهيم مصطفى، و أحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، دار الدعوة، الجامع الكبير.

٥٣. معركه المصطلحات بين الغرب و الإسلام، لمحمد عمارة، نهضه مصر، الطبعة :٢، ٢٠٠٤.

٥٤. المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، للسخاوي، دار الكتاب العربي.

٥٥. مقومات الشخصية المسلمة أو الإنسان الصالح، لماجد عرسان الكيلاني، مؤسسة الريان، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢١ه، ٢٠٠٠م.

٥٦. ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، ليوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٤ه، ١٩٩٣م.

٥٧. الموافقات، للشاطبي، دراسة وتحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

٥٨. موقع الدكتور زغلول النجار، http://www.ssqs.net/ .

٥٩. موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة، http://ar.wikipedia.org/wiki .

٦٠. نحو وحدة فكرية للعاملين للإسلام، ليوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م.

٦١. نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، دراسة في بنية التشكل المعرفي لعلم المقاصد، بحث لعبد الله محمد ولد عثمان الحسني، موقع الشهاب، http://www.chihab.net .

٦٢. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لأحمد بن المقري التلمساني، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة١، ١٩٩٧م.

٦٣. نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري.

٦٤. النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

٦٥. النهضة الإسلامية بين مسؤولية القيادة وواجبات الأمة، للدكتور عبد الحليم عويس، سلسلة نحو عقلية إسلامية واعية، رقم ٢٧، دار الوفاء، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.

●●●●●

فهرس الموضوعات

مُعَوِّقَاتُ
نَهْضَةِ الأُمَّةِ الإِسْلامِيَّةِ
وَسُبُلِ عِلاجِهَا

أصل الموضوع: بحث للمؤلف، موسوم بـ: معوقات نهوض الأمة الإسلامية، محكم في جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، خطاب الموافقة على التحكيم صادر عن عمادة البحث العلمي والتأليف والنشر، بتاريخ: ٣ رجب ١٤٣١هـ، ١٥/٦/٢٠١٠م، ورقم: ١٦٤/١٤٣١هـ.

المقدمة

المقدمة

الحمد لله الذي خلق فسوى، والذي قدر فهدى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، والحبيب المجتبى، ورضي الله تعالى عن الآل والأصحاب أولي الفضل والنهى، وعن التابعين لهم ومن تبعهم إلى يوم الدين بالحسنى، وبعد:

فإن من سنة الله تعالى في كونه وجود معوقات ومثبطات تحول دون وصول الإنسان إلى أهدافه وتحقيق غاياته، سواء كانت تلك المعوقات والمثبطات مادية أو معنوية، داخلية أو خارجية، نفسية أو فكرية أو حركية، فردية أو جماعية، وكلما سمت غاية الإنسان وعظم هدفه كثرت العوائق والمكاره في طريقه.

قال جل وعلا: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾، (البقرة، ٢١٤)، وقال أيضا: ﴿الٓمٓ. أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾، (العنكبوت، الآيات: ١- ٣).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **«لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ أَرْسَلَ جِبْرِيلَ إِلَى الْجَنَّةِ فَقَالَ: انْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لأَهْلِهَا فِيهَا قَالَ: فَجَاءَهَا وَنَظَرَ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَّ اللهُ لأَهْلِهَا فِيهَا قَالَ: فَرَجَعَ إِلَيْهِ قَالَ: فَوَعِزَّتِكَ لا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلا دَخَلَهَا فَأَمَرَ**

بِهَا فَحُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهَا فَانْظُرْ إِلَى مَا أَعْدَدْتُ لأَهْلِهَا فِيهَا قَالَ: فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ قَدْ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خِفْتُ أَنْ لا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ قَالَ: اذْهَبْ إِلَى النَّارِ فَانْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لأَهْلِهَا فِيهَا فَإِذَا هِيَ يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلَهَا فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهَا فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لا يَنْجُوَ مِنْهَا أَحَدٌ إِلا دَخَلَهَا»[1].

وقد قيل:

«دببت للمجد والساعون قد بلغوا

جهد النفوس وألقوا دونه الأزرا

فكابروا المجد حتى مل أكثرهم

وعانق المجد من أوفى ومن صبرا

لا تحسب المجد تمراً أنت آكله

لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا»[2]

ومع الإيمان بهذه السنة الكونية التي ذرأها الله في كونه، وأثبتها في خلقه، تزداد المتطلبات والواجبات على الراغب في الوصول إلى مراده،

(١) سنن الترمذي، باب مَا جَاءَ حُفَّتْ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُفَّتْ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، حديث رقم ٢٤٨٣، وقال عنه: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(٢) أبيات لرجل من بني أسد، شرح ديوان الحماسة، للمرزوقي، ج ١، ص ٤٦٢.

وتكثر المقومات التي تحقق له غاياته وأهدافه، من حرص وهمة، وجهد وطاقة، وصبر ومجاهدة، حتى يعين نفسه على معالجة أو تجاوز تلك العقبات المادي منها والمعنوي، منطلقا من قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾، (آل عمران، ٢٠٠)، وقد قيل في الصابر المصابر:

«إنَّ الأمـورَ إذا اسْـتـدَّت مسالكُها

فالصَّبر يفتح منها كُلَّ ما ارتُتِجَا

لا تَـيْـأَسَــنَّ وإن طـالـتْ مطالبةٌ

إذا استعنْتَ بصبرٍ أن تَـرى فَرجا

أخلِقْ بذي الصبر أن يحظَى بحاجتِه

ومُـدْمـنِ الـقَـرع لـلأبـوابِ أن يَلجَا

لا يمنعنّك يـأسٌ مـن مُـطـالَـبَـةٍ

فَضَيِّق السُّبْل يوماً رُبَّما انْتُهِجَا»[1]

ووجود العوائق في الطريق ابتلاء من الله تعالى لخلقه إذ لو شاء لتجاوزها دونما جهد بشري، ولكن ليبتلي الله بعض الناس ببعض، فيميز الخبيث من الطيب، قال جل وعلا: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ

(١) أبيات لمحمد بن يسير، البيان والتبيين، للجاحظ، باب من البَلَهِ الذي يعتري من قِبَلِ العبادة وترك التعرضُ للتجارب، ج ١، ص ٢٢٢.

أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ ذَٰلِكَ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٤﴾، (محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ٤)، وقال أيضا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجۡعَلَ ٱلۡخَبِيثَ بَعۡضَهُۥ عَلَىٰ بَعۡضٖ فَيَرۡكُمَهُۥ جَمِيعٗا فَيَجۡعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾، (الأنفال، ٣٦- ٣٧)، وبهذا تتوازن المعادلة بين قوى الخير والشر، فيبتلي الله تعالى أحدهما بالآخر، حتى يتم الله ما يشاء ويختار، ويتحقق لكل ما سعى إليه، فكل ميسر لما خلق له، وما على الإنسان إلا أداء واجبه، وتفويض الأمر إلى الله جل شأنه، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۗ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾، (آل عمران، ١٢٦).

ومن هنا فإن الله تعالى هيأ الإنسان بأدوات وإمكانات يستطيع بها معالجة ما يواجهه من عقبات ومعوقات، ويستعين بها على تجاوز ما يعترضه، تحقيقا لمصالحه وأهدافه، فلا تكون سببا في عجزه أو تأخره.

وقد عتب الله جل شأنه على أولئك الذين أهملوا حواسهم وقدراتهم، ولم يستفيدوا منها في تحقيق الخير لأنفسهم، حتى هلكوا، فقال سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰهُمۡ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمۡ فِيهِ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ سَمۡعٗا وَأَبۡصَٰرٗا وَأَفۡـِٔدَةٗ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ إِذۡ كَانُواْ يَجۡحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٢٦﴾، (الأحقاف، ٢٦).

فما أحوج الأمة الإسلامية عامة، والعلماء والدعاة إلى الله تعالى خاصة، إلى فقه التعامل مع المعوقات، وحسن إدارة الأزمات، وفن معالجة وتجاوز العقبات، محققين لدينهم وأمتهم ما أراد الله تعالى لها من الظهور والسبق، والخلود والقوة، مبتدئين بأنفسهم ومحاسبين لها ولأمتهم، وبصيرين بأعدائهم ومتصدين لمكرهم، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾، (التوبة، ٣٢- ٣٣).

ومن خلال ما سبق؛ يمكن إجمال أهمية الموضوع فيما يلي:

- أهمية ربط حركة الدعوة إلى الله عز وجل بسنن الكون وقوانينه، ومن هذه السنن وجود المعوقات وإمكان تجاوزها.

- حاجة المسلمين عامة، والدعاة إلى الله تعالى خاصة، إلى تنويع تحليل هذه الموضوعات، وتجديد عرضها بما يتناسب مع متطلبات العصر الحضارية.

- تنوع الدراسات التي عرضت للمعوقات في المجال الإسلامي في تقسيماتها وعرضها، والحاجة لعرضها في سياق التفاعل الحضاري للأمة الإسلامية.

- كثرة المعوقات في طريق النهضة الإسلامية وتنوع مصادرها وأشكالها، ومستويات تأثيرها في الأمة الإسلامية.

● النصح للأمة الإسلامية أفرادا ومجموعات ببيان بعض المعالم لمعالجة وتجاوز معوقات نهضتها.

وقد جاءت العديد من الكتابات الإسلامية تتحدث عن المعوقات والعوائق، أو التحديات والمصاعب في طريق النهضة الإسلامية، وتقسمها إلى أقسام متنوعة، لبيانها وتوضيح أسبابها وسبل معالجتها[1].

وتأتي هذه الدراسة متممة لما سبق، فتعرض المعوقات في إطار محاور التفاعل الحضاري للأمة الإسلامية، بأبعادها الكونية والدينية أو المنهجية والبشرية ، من خلال منهجية علمية تعتمد على الوصف والتحليل، واستنباط الحقائق والمعالم، منطلقة من رصد الواقع المعاصر، وتتبع كثير مما جاء في الكتابات والدراسات البحثية، ملتزمة بمتطلبات البحث العلمي المتعارف عليها في مثل هذه البحوث في الأوساط الأكاديمية، من تحديد للمجال، وبيان للمنهج، وبناء للهيكل وتنصيص وتوثيق للنصوص، وذكر للمراجع والمصادر، إلى غير ذلك من قواعد البحث العلمي.

وجاءت الدراسة وفقا للمخطط التالي:

- **المقدمة:** وفيها بيان بأهمية الموضوع وسبب اختياره، وعرض لمنهجية البحث وهيكله.

---

(١) انظر على سبيل المثال، كتاب العوائق، للدكتور محمد أحمد الراشد، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، وكتاب الإسلام في مواجهة التحديات، للدكتور محمد رأفت سعيد، سلسلة نحو عقلية إسلامية واعية، رقم ١٣، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ، ١٩٩١م، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، وكتاب معوقات تطبيق الشريعة الإسلامية، لمحمد أبو الفتح البيانوني، إدارة البحوث والدراسات في (اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية)، في الكويت، ١٤١٧ه، ١٩٩٦م. وغيرهما من الكتب.

- **التمهيد:** وفيه بيان بأبرز مصطلحات البحث، وتحديد لمصدر معوقات النهضة الإسلامية.

- **المبحث الأول:** المعوقات الداخلية لنهضة الأمة الإسلامية، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المعوقات النفسية.

المطلب الثاني: المعوقات الفكرية.

المطلب الثالث: المعوقات الحركية.

- **المبحث الثاني:** المعوقات الخارجية لنهضة الأمة الإسلامية، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المعوقات الخارجية في إطار الكون والحياة.

المطلب الثاني: المعوقات الخارجية في إطار الدين أو المنهج الإسلامي.

المطلب الثالث: المعوقات الخارجية في إطار الإنسان.

- **المبحث الثالث:** سبل معالجة معوقات نهضة الأمة الإسلامية، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: سبل معالجة المعوقات المتصلة بالكون والحياة.

المطلب الثاني: سبل معالجة المعوقات المتصلة بالدين والمنهج.

المطلب الثالث: سبل معالجة المعوقات المتصلة بالإنسان.

الخاتمة: وفيها عرض لملخص البحث وأبرز توصياته، ثم المراجع والمصادر، والفهرس.

سائلا المولى عز وجل بفضله وكرمه أن يكون هذا البحث موفقا، وأن يمدني بعونه، ويوفقني بتسديده، ويمن علي بقبوله، وأن يجعله لوجهه خالصا، وللناس ناصحا، ولي يوم الحساب مخلصا، إنه خير من سئل، وأعظم من أعطى، وهو ولي التوفيق...

●●●●●

التمهيد

التمهيد

مصطلح المعوقات يراد به: كل ما من شأنه إعاقة المتحرك عن تحقيق غايته وصرفه عنها أو حبسه دونها، أو تثبيطه عن السير في طريقها، سواء كان ذاك المعوق ماديا أو معنويا، فقد جاء في لسان العرب: «وعاقَهُ عن الشيء يَعُوقه عَوْقاً: صرفه وحبسه، ومنه التَّعْويقُ والاعْتياق، وذلك إذا أَراد أَمراً فصرفه عنه صارفٌ... وتقول عاقَني عن الوجه الذي أَردتُ عائِقٌ، وعاقَتْني العَوائِقُ، الواحدة عائقةٌ... والتَّعْويقُ: تَرْبيثٌ[1] الناس عن الخير... والعَوْق: الأَمر الشاغل، وعَوائِقُ الدهر: الشواغل من أَحداثه، والتَّعَوُّق: التَّثَبُّط، والتَّعْوِيقُ: التَّثْبيط»[2].

ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ ﴾، (الأحزاب، ١٨)، قال الطبري -رحمه الله-: « قد يعلم الله الذين يعوّقون الناس منكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصدّونهم عنه، وعن شهود الحرب معه، نفاقا منهم، وتخذيلا عن الإسلام وأهله»[3].

وذكر المستشار علي جريشة - حفظه الله - المراد من العوائق فقال: «وهنا نتحدث تحت عنوان العوائق، ونحسب أن في هذا اللفظ جديدا، إذ يجمع معنيين في وقت واحد:

---

(١) الرَّبْثُ: حَبسُكَ إِنساناً عن أمرٍ، العين، للخليل بن أحمد، ج ٢، ص ١٦١.

(٢) لسان العرب، ج ١٠، ص ٢٧٩.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ج ٢٠، ص ٢٣٠، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

معنى الحبس أو المنع...، ومعنى الصرف أو الشغل، وفي المعنى الأول، القوة والقهر، وفي المعنى الثاني: معنى الإغراء أو الاحتواء، ويبقى الهدف واحدا في الحالين وإن اختلف الأسلوب!»[1].

كما أنه من المناسب هنا تحديد مفهوم النهضة، نظرا لما يعتري المصطلح في واقعنا المعاصر من تشعبات وتباينات متنوعة، وذلك لتباين ظروف نشأته، ومغايرة بيئة ظهوره، وتنوع مضامينه وماهياته، ونظرا لطبيعة البحث فإنني سأقتصر على تعريف النهضة من منطلق دلالات المصطلح في اللغة العربية، والرؤية الفكرية لمفهومه الإسلامي الخاص، فالنهوض بالأمة الإسلامية هو رديف لمصطلح التجديد، والتحديث، والتقوية، والفاعلية الحضارية، والبعث الحضاري، والصحوة، والتقدم، وتحقيق رسالة الاستخلاف، بأبعادها المتعددة، ومضامينها المتنوعة.

جاء في لسان العرب: «النُّهوضُ البَراحُ من الموضع، والقيامُ عنه، نهَضَ يَنْهَضُ نَهْضاً ونُهوضاً وانْتَهَضَ أَي قامَ، ...وأَنْهَضَه حَرَّكه للنُّهوض، واسْتَنْهَضْته لأَمر كذا إذا أَمرته بالنُّهوض له...، ونَهض النَّبْتُ إذا استوى...، والنَّهْضةُ الطَّاقةُ والقوَّةُ، وأَنهضه بالشيء قوَّاه على النُّهوض به، ...وما لفلان ناهِضةٌ وهم الذين يَقُومون بأَمرِه...، وطريق ناهِضٌ أي صاعِدٌ في جبل وهو النَّهْضُ وجمعه نِهاضٌ...، ومكانٌ ناهِضٌ مرتفِعٌ، والنَّهْضةُ بسكون الهاء العَتَبةُ من الأَرض...»[2].

وذكر الدكتور جاسم سلطان - حفظه الله - تعريفه للنهضة بعد ذكر

(١) دعوة الله بين التكوين والتمكين، للدكتور علي جريشة، ص ١٦، سلسلة أقيموا شريعة الله، رقم ٦، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

(٢) لسان العرب، لابن منظور، ج ٧، ص ٢٤٥.

عدد من التعريفات والمفاهيم الخاصة بالمصطلح، فقال: «الخروج من مرحلة زمنية معينة وضعت قيدا على العقل الانساني بحيث قيدت ابداعه إلى مرحلة تنطلق فيها القدرات العقلية لتؤسس لواقع جديد»(١).

ومن هنا يمكن فهم النهضة بأنها ثمرة الجهود والفعاليات التَدَيُّنِيَة التي تعود بالإنسان إلى أداء وظيفته الاستخلافية، وتفعيل مصادر قوته الدينية، وعكسُ ذلك في الكون والحياة، ليجدد إبراز ثوابت الدين وكلياته، ويحسن التعامل مع متغيرات الدين وفرعياته، موائما بين الأصالة والمعاصرة في آن معا، ومحققا لجمال تفاعل الدين مع الكون والخلق، ليجعل منه منهجا للحياة، فينهض بأمته من جديد، ويرقى بها إلى رتبتها التي رضيها الله تعالى لها، فلا تضل ولا تشقى، وتكون بقوتها سابقة في ميدان التدافع السنني، ورائدة في مشروعها الحضاري النهضوي، قال جل شأنه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾، (آل عمران، ١١٠).

فالأمة المنسوبة إلى دين الإسلام تعتري تدينها حالات من الضعف والجمود، والتخلف والركود، مع بقاء دينها بمبادئه وأسسه المتينة، وبمنظوماته القيمية العظيمة، وبخصائصه ومحاسنه الجليلة، وبمقاصده وكلياته الثابتة، مما يتطلب تجديدا للتفاعلات البشرية في إطاره، وتطويرا للمظاهر والأشكال الحضارية الحديثة.

---

(١) مقال بعنوان، مقاربة في تعريف النهضة، موقع الميزون، http://www.almomayzon.com.

ومن خصائص الدين الإسلامي أن الله تعالى أودع فيه ميزة التجدد والانبعاث فكلما ضعفت أمة الإسلام هيأ الله تعالى لهذا الدين من يجدده في الحياة، ويبعثه بثوب جديد، يعيد إلى الإسلام عزته ورفعته، وللأمة الإسلامية خيريتها ورشدها، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤) ﴾، (المائدة، ٥٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، قال: «**إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها**»(١).

وأما مفهوم الأمة الإسلامية، فهو تعبير عن رابطة تجمع المؤمنين الذين آمنوا بالله تعالى ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا، وبالقرآن هاديا ودستورا...، حيث جعلهم الله تعالى أمة واحدة من دون الناس، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (٩٢) ﴾، (الأنبياء عليهم السلام، ٩٢)، وقال أيضا: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠) ﴾، (الحجرات، ١٠).

وذكر ابن منظور – رحمه الله – خلاصة ما يتصل بمصطلح الأمة، فقال: «وأصل هذا الباب كله من القَصْد، يقال أَمَمْتُ إليه إذا قَصَدْتُه،

---

(١) سنن أبي داود، باب ما يذكر في قرن المئة، حديث رقم ٤٢٩١، وقال عنه السخاوي: سنده صحيح ورجاله كلهم ثقات وكذا صححه الحاكم فإنه أخرجه في مستدركه، المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، ج ١، ص ٢٠٣، دار الكتاب العربي.

فمعنى الأُمَّة في الدِّين أَنَّ مَقْصِدَهم مقْصد واحد، ومعنى الإمَّة في النِّعْمة إنما هو الشيء الذي يَقْصِده الخلْق ويَطْلُبونه، ومعنى الأُمَّة في الرجُل المُنْفَرد الذي لا نَظِير له أن قَصْده منفرد من قَصْد سائر الناس...»[1].

كما أكد النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم هذه الحقيقة في كتابه الذي وادع فيه يهود يثرب، قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ - رحمه الله -: «**وَكَتَبَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كِتَابًا بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَادَعَ فِيهِ يَهُودَ وَعَاهَدَهُمْ وَأَقَرّهُمْ عَلَى دِينِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَشَرَطَ لَهُمْ وَاشْتَرَطَ عَلَيْهِمْ، (بِسْمِ اللّهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ، هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمّدٍ النّبِيّ صلى الله عليه وسلم، بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْ قُرَيْشٍ وَيَثْرِبَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ فَلَحِقَ بِهِمْ وَجَاهَدَ مَعَهُمْ، إنّهُمْ أُمّةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ دُونِ النّاسِ...)**»[2].

وذكر فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي - حفظه الله - عددا من الصفات التي تميز الأمة الإسلامية، ومن أبرزها الربانية والوسطية والدعوة والوحدة[3]...

وهذا الانتماء إلى الأمة الإسلامية الواحدة على مر الزمان يعتبر رافدا من روافد قوة الأمة الإسلامية ومصدرا من مصادر قوتها وعزتها ونهضتها، لما سطرت من مفاخر ومآثر حضارية على مر الزمان، تدعو المسلم إلى التطلع إليها والعودة لمثلها، والسعي لتجديدها وتطويرها، قال فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي - حفظه الله -: «إن تاريخ كل أمة

---

(١) لسان العرب، لابن منظور، ج ١٢، ص ٢٢.

(٢) سيرة ابن هشام، ج ١، ص ٥٠١.

(٣) نحو وحدة فكرية للعاملين للإسلام، ليوسف القرضاوي، ص ٨٦- ٩٢، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م.

مادة أصيلة في تربيتها لأبنائها، ولا سيما إذا كانت أمة ذات تاريخ عريق ومجيد، وكان لها دورها ورسالتها وأثرها في العالم، على أن الواجب على الأمة أن تتعلم من مآثرها وأمجادها التاريخية، كما تتعلم من أخطائها ونقاط ضعفها»[1].

ومن هنا توجه الإسلام في نظرته إلى المسلمين في كثير من أحكامه وتعاليمه وتوجيهاته إلى مجموعهم كأمة مستقلة من دون الناس، تتكافأ فيما بينها، وتتوحد في مرجعيتها وأصولها ومصادرها، وتتفق في غاياتها وأهدافها، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾، (النساء، ٥٩)، وقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وعلى آله وَسَلَّمَ: «**الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ وَيُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ يَرُدُّ مُشِدُّهُمْ عَلَى مُضْعِفِهِمْ وَمُتَسَرِّيهِمْ عَلَى قَاعِدِهِمْ لا يُقْتَلُ مُؤْمِنٌ بِكَافِرٍ وَلا ذُو عَهْدٍ فِي عَهْدِهِ**»[2].

وكم من آيات قرآنية توجهت في خطابها إلى المؤمنين بصفة الإيمان، ولا سيما ما يتلوه توجيه رباني لأمة الإسلام، فقد جاء في تفسير ابن أبي حاتم: «أن رجلا أتى عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال: اعهد إلي، فقال: إذا سمعت الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ فأرعها سمعك؛ فإنه خير يأمره، أو شر ينهى عنه»[3].

---

(١) تاريخنا المفترى عليه، ليوسف القرضاوي، ص ١٠، دار الشروق، الطبعة الثانية، ٢٠٠٦م.

(٢) سنن أبي داود، باب في السرية ترد على أهل العسكر، حديث رقم ٢٣٧١، وسكت عنه.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم، ج ٤، ص ٢٠٠.

حتى أصبح وصف المؤمنين بالأمة الواحدة والجسد الواحد وصفا مثاليا، فعن النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وعلى آله وَسَلَّمَ: «تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»[1].[2]

ولوضع الأمور في نصابها، ونسبة الظواهر إلى مصادرها فإنه يمكن تحديد مصدر المعوقات والمشكلات التي تقف أمام نهضة الأمة من خلال المركب الحضاري الذي يتألف من ثلاثة عناصر؛ أما العنصر الأول فهو الكون باعتباره البيئة التي تحكم الفاعلية الحضارية وتتجلى فيه صورها في هذه الحياة، وأما العنصر الثاني فهو المنهج باعتباره موجها ومؤثرا في حراك الإنسان، (ويراد به هنا الدين الإسلامي)، وأما العنصر الثالث فهو الإنسان باعتباره خليفة الله في هذه الأرض، (ويراد به هنا الإنسان المسلم).

فالإنسان المكلف بحمل الأمانة، هو الفاعل المتحرك، وهو محور النجاح والفشل، والخير والشر، والإصلاح والإفساد، كما وصفه الله تعالى بذلك في كتابه العزيز حيث قال: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾، (الأحزاب، ٧٢).

وأما الكون فمسخر بأمر الله ومذلل للبشر جميعا، والدين كامل

---

(١) صحيح البخاري، باب رحمة الناس والبهائم، حديث رقم ٥٥٥٢.

(٢) انظر موضوع اجتماع المسلمين تحت إطار الأمة والجماعة الواحدة، مسودة كتاب مصادر قوة الأمة الإسلامية، للمؤلف.

ومحفوظ بأمر الله تعالى، ومن هنا فإن المعوقات والمشكلات في طريق النهضة الإسلامية تكمن في الإنسان، من حيث تكوينه النفسي والعقلي والجسدي، ومن حيث انتماؤه الديني والثقافي والحضاري، ومن حيث نوعه الجنسي والعمري والفئوي، ومن حيث توجهه العلمي والتخصصي، ومن حيث ممارساته العملية والسلوكية، ليتكون من مجموع ذلك ثلة من العقبات والمشكلات التي تستدعي رصدا وتحليلا، ودراسة وتبيينا، ومعالجة وترشيدا.

وقد ذكر الله تعالى في كتابه العزيز بعضا من أوصاف الإنسان التي تكشف طبائعه وسجاياه، وتؤكد أثره في وجود العوائق والمشكلات، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ (١٧) مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ (١٨) مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ (١٩) ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ (٢٠) ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ (٢٢) كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ (٢٣)﴾، (عبس، الآيات: ١٧- ٢٣)، وقال أيضا: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (٣٤)﴾، (إبراهيم عليه السلام، ٣٤)، وقوله سبحانه: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا (١١)﴾، (الإسراء، ١١)، وقوله: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا (٨٣)﴾، (الإسراء، ٨٣)، وقوله أيضا: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (٧٧)﴾، (يس، ٧٧)، وقوله: ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١)﴾، (المعارج، الآيات:١٩- ٢١)، وقوله جل شأنه: ﴿كلا إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى (٦) أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾،

(العلق، الآيتان: ٦- ٧)، إلى غير ذلك من آيات كريمات تكشف عن أوصاف الإنسان وطبائعه وسجاياه...

وقد أشار الأستاذ مالك بن نبي - رحمه الله - إلى صعوبة وتعقيد المشاكل التي تحيط بالإنسان، فقال: «إن المشاكل التي تحيط بالإنسان تختلف باختلاف بيئته، فالإنسانية لا تعاني مشكلة واحدة، بل مشاكل متنوعة تبعا لتنوع مراحل التاريخ، فلا يمكن لنا أن نوازن في الوقت الحاضر بين رجل أوربا المستعمر، ورجل العالم الإسلامي القابل للاستعمار، لأن كليهما في طور تاريخي خاص به...»[1].

ومن هنا تنوعت المعوقات والعقبات في مصادرها، فمنها الداخلي الصادر عن المسلمين أنفسهم، ومنها الخارجي الصادر عن أعداء الأمة الإسلامية.

●●●●●

---

(١) شروط النهضة، لمالك بن نبي، ص ٨١، سلسلة مشكلات الحضارة، ترجمة عمر كامل مسقاوي، وعبد الصبور شاهين، بإشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر المعاصر، لنبان، ودار الفكر سورية، طبعة ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

المبحث الأول

المعوقات الداخلية لنهضة الأمة الإسلامية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول

المعوقات النفسية

المطلب الثاني

المعوقات الفكرية

المطلب الثالث

المعوقات الحركية

المبحث الأول

المعوقات الداخلية لنهضة الأمة الإسلامية

المراد بالمعوقات الداخلية[1]، ما كان منها صادرا عن المسلمين أنفسهم، على اختلاف أجناسهم وألوانهم وألسنتهم وأقطارهم، وتنوع مستوياتهم وفئاتهم وطبقاتهم، وتباين قدراتهم وإمكاناتهم واهتماماتهم، لأنهم يمثلون في مجموعهم أمة الإسلام، التي آمنت بالله تعالى ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم نبيا ورسولا، وبالقرآن هاديا ودستورا، وهم الذين قال الله تعالى في وصفهم: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾، (آل عمران، ١١٠)، وهم الذين توجه إليهم النداء الرباني المتكرر والخاص بهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ...﴾.

وقد أشار رب العزة والجلال إلى وجود خلل وقصور في الناس وأحال ذلك إلى ما كسبت أيديهم، فقال سبحانه: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾، (الشورى، ٣٠)، وذكر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بعضا من تلك الأمراض النفسية الخطيرة التي تصيب الناس، فقال: «**بَلْ ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنَاهَوْا عَنْ الْمُنْكَرِ حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا وَهَوًى مُتَّبَعًا وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ**

(١) انظر المدخل إلى علم الدعوة، لمحمد أبو الفتح البيانوني، ص ٣٥٢.

فَعَلَيْكَ يَعْنِي بِنَفْسِكَ وَدَعْ عَنْكَ الْعَوَامَّ فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ الصَّبْرُ فِيهِ مِثْلُ قَبْضٍ عَلَى الْجَمْرِ لِلْعَامِلِ فِيهِمْ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِه»[1].

ومن هنا كان من الحكمة العودة إلى الذات ومحاسبتها والتعرف على مصادر القصور والخلل فيها، من أجل تقويم الخلل والزلل وإصلاح الخطأ والانحراف، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾، (الحشر، ١٨)، وعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رضي الله عنه، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آله وَسَلَّمَ، قَالَ: **«الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّه»**، ... وَيُرْوَى عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، قَالَ: **«حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا وَتَزَيَّنُوا لِلْعَرْضِ الأَكْبَرِ وَإِنَّمَا يَخِفُّ الْحِسَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا»**[2].

وإن الرصد والمتابعة لواقع الأمة الإسلامية في حراكها النهضوي يؤكد وجود عقبات ومعوقات داخلية كثيرة، تتنوع في مصادرها، وتتباين في مستويات ظهورها أو خفائها، كما تختلف في محل وجودها وكثرتها، لتمثل في مجموعها ثلة من العقبات والمشكلات المعوقة لحركة النهضة الإسلامية السليمة.

ونظرا لهذا التباين والتنوع في المعوقات الداخلية من جهة، وكثرتها

---

(١) الحديث عن أبي ثعلبة الخشني، سنن أبي داود، باب الأمر والنهي، حديث رقم ٣٧٧٨، وسكت عنه.

(٢) سنن الترمذي، كِتَاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب ومنه...، حديث رقم ٢٣٨٣، وقال عنه: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

وتعددها من جهة أخرى، سواء منها ما يتعلق بالأمراض النفسية، أو ما يرتبط بالإشكالات الفكرية، أو ما يتصل بالأخطاء الحركية.

فقد رأيت عرضها في أطر إجمالية كلية موجزة، تستوعب في مضمونها تفصيلات فرعية موسعة، حيث لا تزال حركة النهضة الإسلامية قائمة، والمستجدات من العقبات والمعوقات في طريقها قائمة ومتجددة ومتطورة بتطور الزمان ومقوماته المختلفة.

وهذه الأطر المقترحة هي:

١. المعوقات النفسية.

٢. المعوقات الفكرية.

٣. المعوقات الحركية.

●●●●●

المطلب الأول

المعوقات النفسية[1]

وهـي العقبات والمشكلات التـي تصدر عـن قصور أو خلل في الاستعدادات القلبية، والمؤهـلات الإيمـانـيـة، والتوجهات العاطفية، والمكونات الشخصية.

وقد عني الإسلام بتوجيه النفس وتلبية متطلباتها وتأمين احتياجاتها، وتوفير الغذاء اللازم لها، لتكون مرتكزا من المرتكزات التي يعتمد عليها الإنسان في تفكيره وحركته ومسيرته وتحقيق خلافته، فالمؤمن الذي تمكن الإيمان من قلبه يعيش سعيدا مطمئنا، يسير على هدى من ربه، وغيره يعيش نكدا ضالا هائما على وجهه، قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾، (طه، الآيتان: ١٢٣- ١٢٤)، وقال أيضا: ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾، (الملك، ٢٢).

ومن أبرز المعوقات النفسية التي تصيب بعضا من المسلمين فتحجزهم عن أداء واجباتهم، وتمنعهم من تحقيق خلافتهم، ما يلي:

---

(١) انظر كتاب الصحوة الإسلامية الدوافع والعوائق، للدكتور محمد المهدي، دار الوفاء، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م، وانظر كتاب نحو فهم أعمق للواقع الإسلامي، للدكتور عبد الكريم بكار، ص ٤٥- ٦٥، سلسلة المسلمون بين التحدي والمواجهة، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

١ - الغفلة والنسيان:

إن من طبيعة البشر الغفلة والنسيان، ولا ينزه عنهما سوى رب العزة والجلال، قال تعالى: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنْسَى﴾، (طه، ٥٢)، وقال أيضا: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾، (البقرة، ٢٥٥).

وليس الخلل والقصور في الغفلة ذاتها أو في الخطأ ذاته، لأن ذلك من سنة الله تعالى في خلقه، فهذا نبي الله تعالى آدم عليه السلام، أبو البشر جميعا، وصفه الله تعالى بالنسيان، فقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾، (طه، ١١٥)، ولكن ما لبث عليه السلام في أن تاب وأناب واستغفر ربه ورجع إلى يقظته، قال سبحانه: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾، (البقرة، ٣٧).

ولكن الخلل والقصور في الاستمرار في الغفلة، والاعتياد على النسيان، وعدم المبادرة إلى التذكر واليقظة، والعودة والإنابة، لأن ذلك يحجز الإنسان عن أداء واجباته، ويعرضه لضعف الحصانة، وضعف الرقابة الذاتية والمحاسبة المستمرة، فكم من أناس نسوا أمر الله تعالى، ونسوا مسؤولياتهم وأماناتهم، وغفلوا عنها، حتى جاءهم أمر الله تعالى وهم كذلك، لم يحفظوا أنفسهم، ولم ينفعوا أمتهم، بل كانوا عالة عليها، ومعوقا في طريق تقدمها، حتى جاءهم الحق وهم غافلون، وقد عتب الله

تعالى على هؤلاء، ووصف حالهم يوم الدين، فقال جل شأنه: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾، (ق، ٢٢).

٢ - قسوة القلب، وانغلاقه:

إن قلب الإنسان مصدر العواطف والتوجهات، ومنبع الميول والأهواء، وموجه السلوك والأفعال، فعن النُّعْمَانَ بْنَ بَشِير رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آله وَسَلَّمَ يَقُولُ: «...**أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ**»[١].

وقد بين الله تعالى في كتابه العزيز حال قلب المؤمن في رقته ودقة استشعاره، فقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾، (الأنفال، ٢).

ولكن القلب تعتريه الآثام والشبهات، وتطغى عليه شيئا فشيئا حتى ينقلب إلى قلب قاس مظلم، قال تعالى: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾، (المطففين، ١٤)، وعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آله وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتْ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا**[٢] **كَالْكُوزِ**

---

(١) صحيح البخاري، باب فضل من استبرأ لدينه، حديث رقم ٥٠.

(٢) المِرْبَد : الموضع الذي تُحْبَس فيه الإبل والغنم وبه سُمِّيَ مِرْبَد المدينة والبَصْرة . وهو بكسر الميم وفتح الباء من رَبَد بالمكان إذا أقام فيه . ورَبَدَه إذا حَبَسه، النهاية في غريب الحديث، ج ٢، ص ٤٥٥.

مُجَخِّيًا[1] لا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إلا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ»[2].

ولهذا ربط رب العزة والجلال بين التأثر والتذكر وبين سلامة القلب، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾، (ق، ٣٧)، كما حذر من قسوة القلب وشدته، فقال جل من قائل: ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾، (الحديد، ١٦).

وإن كثرة الفتن، وتنوعها، وكثرة المعاصي والآثام والمنكرات الفردية والجماعية، التي تعصف بكثير من المسلمين اليوم، تطبق الران على قلوبهم، وتزيد القسوة فيها، فلا يتعظون بالذكرى، ولا ينتفعون بالبشرى، ولا يتألمون من المآسي والمصائب والفتن التي تقع عليهم وعلى أمتهم، ولا تغير فيهم ساكنا، فأي طاقة ترجى من هؤلاء، وأي عاطفة تنتظر لتحرك عقولهم وجوارحهم، وأي جهد إيجابي يتوقع أن يقوموا به، فهم بهذا يشكلون عائقا في طريق مسيرة الأمة، وحاجزا أمام وعيها وتقدمها، ومؤثرا في توجهاتها.

٣ - الخوف والقلق:

من الأمراض التي يقع فيها أصحاب القلوب الخاوية، والنفوس الضالة، الشعور بالخوف، فيطغى عليهم القلق والأرق، وتسيطر عليهم

---

(١) المجَخِّي: المائل عن الاستقامة والاعتدال فشبَّه القَلْب الذي لا يَعِي خَيْراً بالكُوز المائل الذي لا يَثْبُت فيه شيء، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ١، ص ٦٩٦.

(٢) صحيح مسلم، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا، حديث رقم ٢٠٧.

الرهبة والهموم، ومع أن الخوف نوع من الابتلاء الذي يصيب المؤمن، فإن المؤمن لديه ما يواجه به الخوف من الإيمان والصبر، كما قال جل وعلا: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥)﴾، (البقرة ١٥٥).

أما من يسيطر عليه الخوف، وتغشاه الرهبة، ويفقد الصبر، ويتخبط في مشاعره وتوجهاته، فقد سماه الله تعالى في كتابه العزيز معوقا، قال تعالى: ﴿ ۞ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا (١٨) أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ ۚ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (١٩)﴾، (الأحزاب، الآيتان: ١٨- ١٩).

كما أثبت الله تعالى أثر الخوف في حجز الناس عن الأخذ بما يرغبون، فقال جل شأنه: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ (٨٣)﴾، (يونس عليه السلام، ٨٣).

٤ - القنوط واليأس:

إن من طبيعة النفس التي وقعت في الخطأ والزلل، واعتادت على الضعف والخور، أن تيأس وتقنط من النجاة والسلامة، وتستسلم للحال التي هي فيها، حتى تهلك وتفنى، قال جل وعلا: ﴿لَّا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ (٤٩)﴾، (فصلت، ٤٩).

وهذا اليأس والقنوط إشارة إلى ضعف الإيمان بالله تعالى، كما بين ذلك يعقوب عليه السلام في حديثه لأبنائه، قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾، (يوسف عليه السلام، ٨٧).

فباليأس والقنوط تضعف همة الإنسان، ويطغى عليه الهوان، ويغلق على عقله وتفكيره ومشاعره الران، ويغلب عليه الكسل والخمول، فلا يعي مسؤولياته، ولا يستوعب واجباته، ولا يحرك عقله، ولا يسخر جوارحه لنهضة أمته، فلا يرجى منه خير، حتى يعود إلى رشده، ويؤوب إلى ربه، فيقشع عن نفسه غشاوة اليأس والقنوط، ويتوجه إلى العمل والجد والهمة والنشاط.

٥ - الكبر والعجب:

من الأمراض التي تصيب النفس الإنسانية الكبر والعجب وتضخم الذات، لأن الإنسان الضعيف الناقص، عندما تفتح عليه أبواب من النعمة، ويرقى في منازل من العزة، يظن بنفسه خيرا، ويستشعر فضلها على غيرها، فيحجزه كبره عن تقبل غيره، ويحجبه عجبه عن إصلاح نفسه، حتى يقع في مهلكة تقضي عليه وعلى ملكه.

ومن هنا جاء التحذير الشديد من الكبر والعجب، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قَالَ هَنَّادٌ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **«قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ»**[1].

(١) سنن أبي داود، باب ما جاء في الكبر، حديث رقم ٣٥٦٧، وسكت عنه.

وقد شدد الله تعالى على المتكبرين، وجعلهم من المحجوبين عن دخول الجنة، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ، قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ الْكِبْرُ بَطَرُ[1] الْحَقِّ وَغَمْطُ[2] النَّاسِ»**[3].

٦ - ضعف الإخلاص وكثرة الشواغل عنه:

أمر الله تعالى عباده بالإخلاص له سبحانه، لأن الإخلاص سبب لصحة العمل، وسبيل لقبوله، قال جل شأنه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾، (البينة، ٥).

وعن عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **«إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ وَإِنَّمَا لامْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»**[4].

فالإنسان الذي تتجاذبه الدنيا بملذاتها وشهواتها، وتميل به النفس إلى مطامعها ورغباتها، يحيد عن الصواب والرشد، ويتشتت في تحقيق آماله وأهدافه، وقد ضرب الله تعالى في كتابه العزيز مثلا على من فقد

---

(١) البَطر : الطُّغيان عند النِّعْمة وطُول الغِنَى، النهاية في غريب الحديث، ج ١، ص ٣٤٩.

(٢) الغَمْط : الاسْتِهانة والاسْتحْقار وهو مثْل الغَمْض، النهاية في غريب الحديث، ج ٣، ص ٧٢٧.

(٣) صحيح مسلم، باب تحريم الكبر وبيانه، حديث رقم ١٣١.

(٤) صحيح البخاري، باب النية في الإيمان، حديث رقم ٦١٩٥.

الإخلاص، فقال سبحانه: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾، (الزمر، ٢٩).

قال الطبري - رحمه الله -: «مَثَّل الله مثلا للكافر بالله الذي يعبد آلهة شَتَّى، ويطيع جماعة من الشياطين، والمؤمن الذي لا يعبُد إلا الله الواحد، يقول تعالى ذكره: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ لهذا الكافر ﴿رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ﴾ يقول: هو بين جماعة مالكين متشاكسين، يعني مختلفين متنازعين، سيئة أخلاقهم، من قولهم: رجل شكس: إذا كان سيئ الخلق، وكل واحد منهم يستخدمه بقدر نصيبه ومِلْكه فيه، ورجلا مسلما لرجل، يقول: ورجلا خُلُوصا لرجل يعني المؤمن الموحد الذي أخلص عبادته لله، لا يعبد غيره ولا يدين لشيء سواه بالربوبية»[1].

ومن هنا كان فقد الإخلاص من أبرز العوائق النفسية التي تصيب كثيرا من أفراد الأمة الإسلامية من حيث يشعرون أو لا يشعرون.

٧ - التعجل وقلة الصبر وضعف التحمل:

مع إيمان المسلم بأن الله تعالى المالك المتصرف بكونه، ويقينه بما وعد الله تعالى به عباده من النصر والتمكين، فإن من طبيعة الإنسان الاستعجال، وضعف الصبر والتحمل، وقد أشار إلى ذلك رب العزة والجلال حيث قال: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾، (البقرة، ٢١٤).

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، تحقيق: أحمد محمد شاكر ج ٢١، ص ٢٨٣، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

وعَنْ خَبَّاب بْنِ الأَرَتِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ فَقُلْنَا: أَلا تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلا تَدْعُو لَنَا؟ فَقَالَ: «**قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهَا فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَاللَّهِ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرُ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لا يَخَافُ إِلا اللَّهَ وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ**»[1].

٨ - الأنا وحب الذات والإعجاب بها:

من الأمراض التي تصيب الإنسان وخاصة في حال انتقاله من حال إلى حال أفضل، الأنا وحب الذات والحرص عليها، وتقديمها على كل ما سواها، بل الإعجاب بها وتضخمها في نظره حتى لا يرى في الناس له نظيرا، ولمقامه مقاربا، فيجعل توجهاته كلها تنصب في صالحه، وأعماله كلها تتجه نحو ذاته، ومن هنا كان جواب إبليس عن عدم طاعته لربه ما حكاه رب العزة والجلال في كتابه، حيث قال: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾، (الأعراف، ١٢).

وبذلك يفقد الإنسان إخلاصه لرسالته، وصلاته بإخوانه، فلا يرى مجالا للتعاون مع الآخرين، ولا بابا للتواصل مع غيره من العاملين، فيتجرأ على ربه تعالى ويضر بنفسه وبإخوانه، ويؤثر ذلك في نشاطه وحركته، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾، (الانفطار، الآيات: ٦- ٨).

---

(١) صحيح البخاري، باب من اختار الضرب والقتل والهوان، حديث رقم ٦٤٣٠.

٩ - الشك والوسواس والتوتر:

من الأمراض التي تصيب النفس الإنسانية الشك والريب، والتوسوس في الأفكار والأعمال والحركات، وقد وجه رب العزة والجلال رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى الاستعاذة من الشك والوسوسة وأسبابهما، حيث قال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾﴾، (الناس).

وما يزال الشك والوسواس بالإنسان حتى يفقده التوازن في اعتقاده وفكره، ويتخبط في تصرفاته وأعماله، فيصبح وبالا على نفسه وأمته، بدلا من أن يكون لبنة من لبنات الأمة المتينة، وسببا من أسباب قوتها وعزتها.

١٠ - الانفعال والغضب:

من طبيعة الإنسان سرعة التأثر بما يرى ويسمع، ومن خصائص المسلم السيطرة على انفعالاته، وتوجيهها إلى ما فيه الخير والصلاح، لأن الغضب يحجز العقل والفكر عن الصواب، ويحيد بالعمل عن الجادة السليمة القويمة، وقد نسب النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم سبب الغضب إلى الشيطان، فعن عُرْوَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ السَّعْدِيِّ عن أَبيه عَنْ جَدِّه عَطِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الْغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنْ النَّارِ وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ**»[١].

---

(١) سنن أبي داود، باب ما يقال عند الغضب، حديث رقم ٤١٥٢، وسكت عنه.

ومن هنا منع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم الحَكَم من الحُكْم والقضاء وهو غضبان، فقال: «**لا يَقْضِيَنَّ حَكَمٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَهُوَ غَضْبَانُ**»[1]، لما في الغضب من تأثير على الفكر والرأي والقرار.

ومع التحذير من الغضب، وما يترتب عليه من انفعالات وأعمال غير واعية، فإن الإسلام استثنى الغضب الواعي الطبيعي الفطري في الإنسان، شريطة أن يسيطر عليه وأن يكون سببا للخير والإصلاح، فقد كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يغضب في بعض من الأحيان، فعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: أَتَى رَجُلٌ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنِّي لأَتَأَخَّرُ عَنْ صَلاةِ الْغَدَاةِ مِنْ أَجْلِ فُلانٍ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا، قَالَ: فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَطُّ أَشَدَّ غَضَبًا فِي مَوْعِظَةٍ مِنْهُ يَوْمَئِذٍ، قَالَ: فَقَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ فَأَيُّكُمْ مَا صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيَتَجَوَّزْ فَإِنَّ فِيهِمْ الْمَرِيضَ وَالْكَبِيرَ وَذَا الْحَاجَةِ**»[2].

١١ - الشعور بالقهر والظلم والهوان والضعف:

من الأخطار التي تصيب النفوس الإنسانية، فتحجبها عن العمل والجد والبذل والعطاء، الشعور بالقهر والظلم والهوان والضعف، لأن القهر والهوان إذا سيطر على النفس أماتها، ولا سيما عند العجز عن معالجة ذلك، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، يكثر في دعائه الاستعاذة من غلبة الدين وقهر الرجال، فعن أَنَس بْن مَالِكٍ رضي الله عنه،

---

(١) صحيح البخاري، باب هل يقضي القاضي أو يفتي وهو غضبان، حديث رقم ٦٦٢٥، والحديث عن أبي بكرة رضي الله عنه.

(٢) صحيح البخاري، باب ما يجوز من الغضب والشدة في الأمر، حديث رقم ٥٦٤٥.

قال: قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ وَضَلَعِ الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ»(١).

وقد حذر الله تعالى عباده المؤمنين من الوهن والاستسلام، فقال جل شأنه: ﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوٓا إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ ﴾، (محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ٣٥).

كما ذم سبحانه من يركن إلى الضعف ويستسلم له، وجعله من الظالمين لأنفسهم، فقال جل وعلا: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾، (النساء، ٩٧).

١٢ - الملل والسآمة والفتور:

إن تكليف النفس بأعمال رتيبة تخرج عن مضامينها ويُكتفَى بأشكالها، يُفقِد الأعمالَ قيمتَها، كما أن تجاوز الحد في الأخذ ببعض الأمور المفيدة فوق طاقة البشر وإمكاناتهم يولد في النفس النفور والفتور والسآمة والملل.

ومن هنا كانت سنة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم مراعية لهذا فعَنْ عَبْدُ اللَّهِ بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَوَّلُنَا بِهَا مَخَافَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا»(٢).

---

(١) صحيح البخاري، باب التعوذ من غلبة الرجال، حديث رقم ٥٨٨٦.

(٢) صحيح البخاري، باب من جعل لأهل العلم أياما معلومة، حديث رقم ٦٨، وعبد الله هو ابن مسعود كما جاء الحديث في مسند الإمام أحمد، باب مسند عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، حديث رقم ٣٨٣٦.

كما جاء النهي الصريح عن كل ما من شأنه أن يضعف قيمة الأعمال، ويولد في النفس الملل والسآمة، فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَتْ عِنْدِي امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «**مَنْ هَذِهِ قُلْتُ: فُلانَةُ لا تَنَامُ بِاللَّيْلِ فَذُكِرَ مِنْ صَلاتِهَا فَقَالَ: مَهْ عَلَيْكُمْ مَا تُطِيقُونَ مِنْ الأَعْمَالِ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا**»[1].

١٣ - الميل إلى الشهوات والأهواء والنفور عن بعض الطاعات والقربات والصالحات:

من الأمراض التي تصيب النفس الشعورُ بثقل الطاعات والقربات والأعمال الصالحة، والميلُ إلى الرغبات والشهوات والملذات، وذلك لأن الجنة حفت بالمكاره، وحفت النار بالشهوات، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ أَرْسَلَ جِبْرِيلَ إِلَى الْجَنَّةِ فَقَالَ: انْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لأَهْلِهَا فِيهَا قَالَ: فَجَاءَهَا وَنَظَرَ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَّ اللهُ لأَهْلِهَا فِيهَا قَالَ: فَرَجَعَ إِلَيْهِ قَالَ: فَوَعِزَّتِكَ لا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلا دَخَلَهَا فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهَا فَانْظُرْ إِلَى مَا أَعْدَدْتُ لأَهْلِهَا فِيهَا قَالَ: فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ قَدْ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خِفْتُ أَنْ لا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ قَالَ: اذْهَبْ إِلَى النَّارِ فَانْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لأَهْلِهَا فِيهَا فَإِذَا هِيَ يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلَهَا فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ فَقَالَ:**

(١) صحيح البخاري، باب ما يكره من التشديد في العبادة، حديث رقم ١٠٨٣.

ارْجِعْ إِلَيْهَا فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لا يَنْجُوَ مِنْهَا أَحَدٌ إِلا دَخَلَهَا»[1].

ومن منة الله تعالى على عباده الصالحين أن حبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان، وجعلهم من أهل الرشاد، حيث قال: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾﴾، (الحجرات، الآيتان: ٧- ٨)

وقد أوضح النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن الإنسان تتنازعه قوى الخير والشر، كي تؤثر في نفسه وقراره، وتوجه عمله وحركته ومساره، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةً بِابْنِ آدَمَ وَلِلْمَلَكِ لَمَّةً فَأَمَّا لَمَّةُ الشَّيْطَانِ فَإِيعَادٌ بِالشَّرِّ وَتَكْذِيبٌ بِالْحَقِّ وَأَمَّا لَمَّةُ الْمَلَكِ فَإِيعَادٌ بِالْخَيْرِ وَتَصْدِيقٌ بِالْحَقِّ فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مِنْ اللَّهِ فَلْيَحْمَدْ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ الأُخْرَى فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ... الآية﴾، (البقرة، ٢٦٨)[2].

١٤ - الشعور بالهم والانقباض وضيق الصدر:

إن الإنسان تعتريه بعض الأحوال من انشراح الصدر وضيقه، وشعور

(١) سنن الترمذي، باب مَا جَاءَ حُفَّتْ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُفَّتْ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، حديث رقم ٢٤٨٣، وقال عنه: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(٢) سنن الترمذي، باب ومن البقرة، حديث رقم ٢٩١٤، وقال عنه: حَسَنٌ غَرِيبٌ.

بالهم وانفراجه، لأنه يعيش في عالم متغير متقلب، وتغيب عنه كثير من الحقائق والمعالم، مما يدعوه إلى العودة إلى الله تعالى خالقه ورازقه، فكلما كان من ربه قريبا، وعليه متوكلا كلما كان مطمئنا هانئا في عيشه، سعيدا في حياته، وكلما ابتعد عن تعاليم ربه وخالقه، كلما زاد همه، وضاق صدره، وتشتت فؤاده، قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾، (طه، الآيتان: ١٢٣- ١٢٤).

كما أن المؤمن يبتلى أحيانا بالهم والحزن، والغم والنصب، ابتلاء من الله تعالى وامتحانا، ونظرا لما يترتب على ذلك من معاناة، فقد وعد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من يصاب بذلك ويجاهده بالأجر العظيم، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهما، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلا وَصَبٍ وَلا هَمٍّ وَلا حُزْنٍ وَلا أَذًى وَلا غَمٍّ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إلا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»**[1].

فإذا ما سيطر الهم والحزن وضيق الصدر على الإنسان جعل منه كائنا ضعيفا، لا يقوى على التفكير الحكيم، ولا يستطيع العمل السليم، فيصبح عالة على أمته ومجتمعه، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يستعيذ بالله تعالى من الهم والحزن، فعن أَنَس ابْن مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ**

(١) صحيح البخاري، باب ما جاء في كفارة المرض، حديث رقم ٥٢١٠.

بِكَ مِنْ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ وَضَلَعِ الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ»[1].

١٥ - ضعف الإحساس العاطفي وقلة الاكتراث وتبلد المشاعر:

إن الإنسان الذي غلبت عليه ماديات الحياة، وأرقته ملذات الدنيا، وأشبعته النعم بكل أنواعها وأصنافها، يفتقد الحس والعاطفة، وتحجب عنه المشاعر والانفعالات الروحية، لتبقى عواطفه وأحاسيسه ومشاعره تدور في فلك شهواته وملذاته، فلا يكترث بما يعانيه غيره من الناس، ولا يتأثر بما يصيب أمته وما يعتريها من أحداث، كأنه بهيمة عجماء، قال جل شأنه: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾، (الفرقان، الآيتان: ٤٣- ٤٤).

كما أن الإنسان الذي تعود على المصائب والمحن، وشاهد أمته وهي تعاني كثرة المشكلات والويلات، ولم يحرك لذلك ساكنا، فإن إحساسه يتبلد يوما بعد يوم، وساعة بعد ساعة، حتى يصبح ساكنا، وقد قال المقدسي -رحمه الله - في وصف الغراب:

«وها أنا كالخطيب وليس بدعا
على الخطباء أثواب السواد
ألم ترني إذا عاينت ركبا
أنادي بالنوى في كل ناد

(١) صحيح البخاري، باب التعوذ من غلبة الرجال، حديث رقم ٥٨٨٦.

أنوح على الطلول فلم يجبني
بساحتها سوى خرس الجماد
فأكثر في نواحيها نواحي
من البين المفتت للفؤاد
تيقظ يا ثقيل السمع وافهم
إشارة من تسير به العوادي
فما من شاهد في الكون إلا
عليه من شهود الغيب بادي
وكم من رائح فيها وغاد
ينادي من دنو أو بعاد
لقد أسمعت لو ناديت حياً
ولكن لا حياة لمن تنادي»[1]

●●●●●

(١) حياة الحيوان الكبرى، للدميري، ج ٢، ص ٣٥.

المطلب الثاني

المعوقات الفكرية[1]

وهـي الـتـي تنتج عـن قصور أو خلل في الـتـصـورات والمفاهيم، وأنماط التأمل والتفكير، ومناهج التناول والتحليل، ومرتكزات التنظير والتخطيط.

ويمكن أن تجمع تلك المعوقات الفكرية في أطر أربعة، وهـي:

أولاً: إشكالات في المصطلحات والمفاهيم[2]:

إن إشكال المصطلح والمفهوم، أصبح من أبرز المعوقات والمشكلات التي تقف عقبة في طريق الدفع الإسلامي، والنهوض الحضاري للأمة الإسلامية، حيث تقوم المصطلحات والمفاهيم بدور فاعل في التواصل بين أفراد الأمة الإسلامية بعضهم ببعض وبين جميع الأمم الإنسانية بعضها ببعض.

ولهذا أصبحت المصطلحات والمفاهيم هدفا للتغيير والتحريف والتبديل، ووسيلة للتشويش والتشويه والتشكيك، مما يعكس فجوة في التواصل الواضح بين أفراد الأمة الإنسانية من جهة، ويبرز خلافا وتفرقا واضطرابا فيما بينها من جهة أخرى.

---

(١) انظر كتاب من أجل انطلاقة حضارية شاملة، للدكتور عبد الكريم بكار، ص ٦١- ٨٧، سلسلة المسلمون بين التحدي والمواجهة، رقم ٢، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

(٢) انظر: معركه المصطلحات بين الغرب والإسلام، لمحمد عمارة، نهضه مصر، الطبعة :٢، ٢٠٠٤.

كما أن المصطلحات والمفاهيم تقوم بدور أساس في رسم وترسيخ التصورات الذهنية لدى الإنسان، والتي تنعكس بدورها على توجهه وتفكيره وسلوكه وحركته.

قال الأستاذ محمد قطب - حفظه الله -: «حين وقعت الأمة في هذه المجموعة من الانحرافات: تفريغ لا إله إلا الله من مقتضاها الحقيقي، وتحولها إلى كلمة تقال باللسان، بغير دلالة ولا رصيد واقعي، وحصر مفهوم العبادة في شعائر التعبد، وتحول عقيدة القضاء والقدر إلى سلبية وقعود عن الأخذ بالأسباب، وتخل عن دور الإنسان الإيجابي في الأرض، ووضع الدنيا والآخرة موضع التقابل والتخيير، ثم اختيار الآخرة وإهمال الدنيا..

حين وقعت كل هذه الانحرافات في حياة الأمة لم يكن غريبا إذن أن يختل مفهومها عن الحضارة وأن تهمل عمارة الأرض.

لقد كان فهم الأجيال الأولى من المسلمين للحضارة مستمدا من روح الإسلام، ومتفردا ككل شيء في هذا الدين»[1].

ومن أبرز مظاهر الخلل والقصور في جانب المصطلحات والمفاهيم ما يلي:

١ - **الفوضى المصطلحية أو المفاهيمية:** فكم من نقاشات وحوارات تدور حول بعض الموضوعات، تطلق فيها مفاهيم ومصطلحات مشهورة، ولكنها في حقيقتها ومضامينها لدى المتحاورين حولها والمتناقشين فيها

---

(١) مفاهيم ينبغي أن تصحح، ص ٣٣٥.

والمستمعين إليها تكون متفاوتة ومتباينة ومتغايرة، حتى ينتهي الحوار والنقاش بالمشاركين والمستمعين إلى تعزيز الفوضى المصطلحية والفرقة المفاهيمية، والنزاع القائم على غير أساس.

ومن أمثلة هذا الخلل في تحديد المصطلح والمفهوم: مصطلح الإرهاب، ومصطلح الجهاد، ومصطلح الولاء والبراء، وغيرها من المصطلحات...

٢ - تعدد وتنوع التفسير للمصطلح والمفهوم الواحد: فكم من مصطلحات ومفاهيم متنوعة ومتعددة، تتنوع بحسب المجال والنطاق، وتتعدد بحسب الحال والمقال، مما يؤدي ببعض الكتاب والقراء والمستمعين إلى اختلاط في المعارف، وازدواجية في المعلومات، يترتب عليه أخطاء في النتائج، واختلاف في المعطيات، وتباين في الاستنتاجات.

ومن أمثلة المصطلحات والمفاهيم المتعددة المضامين، مصطلح ومفهوم الهجرة، والكفر والفسق والظلم، وغير ذلك...

٣ - التكلف والتشدق في استخدام بعض المفاهيم والمصطلحات الغريبة: حيث تنشر بعض العبارات المقروءة والمسموعة، تحوي عددا من المفاهيم والمصطلحات الغامضة، ظنا من أصحابها أنهم يحققون البلاغة في حديثهم، والتحسين في ألفاظهم، متناسين الغاية من حديثهم وكتاباتهم، والتي تتمثل في وصول رسالتهم ووضوح مراداتهم، فيقف العقل والتفكير لحظات للتأمل والتعرف على مضمون المصطلح، وأحيانا يتعرف على بعض مضامينه، وأحيانا يضمنه بعضا من توقعاته، فيقع الناس في حرج ومشقة، وتضعف الرسالة عن تحقيق أهدافها.

ومن أمثلة ذلك: بعض المفاهيم والمصطلحات الغربية، كالثيوقراطية(1)، والبيولوجية(2)، وغيرها...

٤ - تفريغ المصطلحات والمفاهيم عن بعض مضامينها: فكم من مفاهيم واسعة شاملة اختزلت في بعض مضامينها، أو خصّت ببعض أشكالها، فإذا ما أطلقت تبادر إلى عقول الناس عامتهم وبعض مثقفيهم أجزاء من حقيقتها، مما يعكس آثارا في فكرهم وحركتهم ونشاطهم.

ومن ذلك مصطلح ومفهوم العبادة الشامل حيث اختزل في عقول بعض الناس بتلك المظاهر التعبدية من الفرائض الشرعية، مع سعة المفهوم لكل حياة الإنسان، ومفهوم التدين، وكذلك مصطلح الجهاد الذي اختزل في القتال دونما بقية أنواعه وأقسامه وميادينه النفسية والفكرية والحركية، وغير ذلك من مصطلحات ومفاهيم...

٥ - وضع المصطلحات والمفاهيم الخاصة في مواضع عامة: فقد جاءت بعض المصطلحات والمفاهيم لتعالج أوضاعا معينة، أو تخاطب شرائح خاصة، أو تراعي أحوالا محددة، فإذا ببعض المسلمين اليوم يستخدمونها

---

(١) ثيوقراطية: (بالإنجليزية: Theocracy) من أصل يوناني (ρατία) وتعني حكومة الكهنة أو حكومة دينية. تتكون كلمة ثيوقراطية من كلمتين مدمجتين هما ثيو وتعني الدين وقراط وتعني الحكم، وعليه فان الثيوقراطية هي نظام حكم يستمد الحاكم فيه سلطته مباشرة من الإله، الموسوعة الحرة ويكيبيديا، http://ar.wikipedia.org/wiki.

(٢) البيولوجية: علم الأحياء أو الحياة (بالإنجليزية: Biology) (من اليونانية: Bios حياة و Logos علم) هو علم دراسة الكائنات، الموسوعة الحرة ويكيبيديا، http://ar.wikipedia.org/wiki

في غير موضعها، ويعرضونها في غير مجالاتها وأطرها، فتعكس اضطرابا وخللا في المفاهيم والمصطلحات لدى عامة المسلمين.

ومن ذلك مصطلح البلاغ المستند إلى قول الحق سبحانه: ﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾﴾، (المائدة: ٩٩)، ومفهوم قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾، (المائدة، ١٠٥)، ومصطلح الجاهلية، وغير ذلك من مفاهيم ومصطلحات...

٦ - **تبدل بعض المصطلحات وتغيرها:** فكم من مصطلحات تغيرت وتبدلت في مضامينها وحقيقتها، مما يؤكد ارتباط ذلك بالزمان والمكان، ومن الأخطاء التي يتسبب فيها ذلك التغير والتبدل تداخل الأمور، وتشتت الأذهان، ما لم تبين وتوضع في مكانها وزمانها المناسبان.

ومن ذلك بعض المصطلحات الإسلامية، كمصطلح الصلاة، والحج، وغيرها..

٧ - **خرافية بعض المفاهيم والمصطلحات وضبابيتها:** فكم من مصطلحات خرافية لا صلة لها بالواقع، ولا حقيقة لها في المضامين، تنتشر بين الناس، وتتداول على ألسنة الكثيرين، دونما تحقيق في صحتها، أو تدقيق في سلامتها.

ومن ذلك مصطلح ومفهوم التقدمية والحداثة وغيرها من المصطلحات.

٨ - **المغالطة بإلصاق بعض المفاهيم ضمن بعض المصطلحات مع معرفة**

مجافاتها لها: حيث يحاول بعض العابثين والماكرين ذكر بعض المصطلحات بأساليب ملتوية تصل إلى متلقيها وهي محفوفة بغير المعنى الحقيقي لها، وترسم في ذهنه صورة غير الصورة التي تدل عليها، وذلك مغالطة للحقائق وتشويها لبعض المصطلحات.

ومن هذه المصطلحات والمفاهيم: التدين والعروبة والتقدم والتخلف والأصولية، وغيرها...

ثانياً: إشكالات في التصورات الذهنية:

من الأمور الفطرية التي أودعها الله في الإنسان أن ترتسم في ذهنه صور متعددة، متطورة ومتنامية، ومصطبغة بما يمر به من أحداث وتجارب، وما يحيط به من بيئة ومعارف، وما يصل إليه من ثقافة ومعلومات، وما يدور في عقله من تفاعلات وتأثيرات، وما يجيش في صدره من عواطف وأهواء، تساهم في رسم تلك الصورة الذهنية عن كثير من الأمور التي يواجهها في حياته، أو يسمع بها أو يشاهدها أو يتعامل معها، حيث تؤثر هذه الصورة الذهنية لدى الإنسان في توجهاته وميوله، وفي أفكاره وتأملاته، وسلوكه وحركته...

ومن هنا كان الخلل والقصور في تأسيس وترسيخ هذه التصورات الذهنية إشكالا من المشكلات التي تعيق حركة الإنسان وتقدمه، وتضعف من نشاطه وتدافعه، أو تضلله في تفكيره وتوجهه وعمله.

مما جعل طائفة من الناس تسعى للعمل على رسم وترسيخ الصور الذهنية التي تتناسب مع أهدافها، وتتوافق مع مخططاتها، أو العمل على

تشويه وتضليل وزعزعة بعض الصور الذهنية التي تقف عائقا أمامها، لتكون تمهيدا وتأسيسا لانتشارها، وتحقيق سيطرتها ونفوذها.

ومن أبرز مظاهر الخلل والقصور في التصورات الذهنية:

١ - **التصورات غير الصحيحة:** وهي التي ترتسم في ذهن الإنسان من خلال المصادر المغلوطة، والمعارف غير الصحيحة، والتجارب الفاشلة، والبيئة القاصرة، حتى تتراكم في ذهن الإنسان مجموعة من الصور، ليس لها مكان من الصواب والصحة، بل تكون مجافية عن الحقيقة.

ومن ذلك بعض التصورات التي ترسخت في أذهان الناس عن ضعف الإسلام، أو عن تعقيدات الدين، أو عن مجافاته للحريات المختلفة، أو غير ذلك من تصورات ذهنية.

٢ - **التصورات المتناقضة:** وهي التي تنتج عن تباين في التعاطي مع المصادر المعلوماتية المختلفة، فتتباين فيها التصورات وتتفاوت فيها النظرات، فكل يبني تصوراته من منطلقاته التي اعتمد عليها في تناوله وتحليله للمسائل، حتى يصبح الناس، من أصحاب الملة الواحدة والدين والواحد، يعانون من أزمة في التصورات المتناقضة.

ومن ذلك التصورات الذهنية المتعلقة بالإرهاب، والسلم، والحرية..

٣ - **التصورات الخرافية:** وهي التي ترسخت في الأذهان مع عدم وجود حقيقة لها، وإنما اعتمدت على إشاعات وأكاذيب، ودعايات مشبوهة، نتج عنها رسم تصورات متعددة في أذهان الناس.

ومن ذلك بعض الصور الذهنية التي حاول بعض الأعداء ترسيخها في أذهان الناس، على أنها وعود ربانية، وأقدار إلهية، رغم اختلاقها وكذبها، كما فعل حكماء بني صهيون، في وضع توصيفات ووعود مزعومة، أصبحت في أذهان كثير من الناس، وكأنها حقائق، تدور عليها أفكارهم، وتتأثر بها حركاتهم وتوجهاتهم.

٤ - **التصورات المضخمة**: وهي التصورات التي بنيت على تكبير الحقائق، وتضخيم الآثار والنتائج، وذلك بسبب الوهن والضعف الداخلي، أو الزخم والتفاعل الإعلامي المثير، أو الربط السياسي والاقتصادي والاجتماعي المؤثر، مما ينتج عنه انعكاسات خطيرة وكبيرة في أذهان الناس، فترتسم في أذهانهم تصورات مضخمة، أكبر من حقيقتها، وأعظم من ماهيتها.

ومن ذلك ما ترسخ في أذهان كثير من الناس، من قدسية لبعض الأماكن، وتعظيم لبعض الأشخاص، وإجلال لبعض الأفكار والمبادئ...

٥ - **التصورات المحجمة**: وهي التصورات التي ترسخت في الأذهان بشكل قاصر عن الحقيقة، أو مجتزأ عن الماهية، بسبب جهل بالحقائق، ونقص في الثقافة والوعي، وضعف في البحث والمعرفة، وخطأ في الممارسة والمشاهدة، فلم تعط الأمور حقها، ولم تعكس في التوجهات حجمها، وفي التفكير والتأمل والتدقيق وزنها، وفي السلوك والحركة قدرها، حتى تنتشر وتستقر وتكثر وتزداد، فتضلل الناس وتهلكهم.

ومن ذلك تعامل كثير من الناس مع بعض المنكرات والمحرمات التي يحتقرون قدرها وتأثيرها، فتتراكم عليهم وتستشري بينهم حتى تكون سببا في ضلالهم وهلاكهم..

ثالثاً: إشكالات في مناهج التفكير والبحث والتحليل:

بعد فترة جمود الحركة الفكرية والاجتهادية في الأمة الإسلامية، والتي بدأت نواة تجاوزها من قبل بعض العلماء والمفكرين في الفترة المتأخرة، تنوعت مناهج التفكير، وتعددت آليات البحث والدراسة، واختلفت أساليب التحليل والمقارنة والاستنتاج، وذلك لمؤثرات متعددة، منها ما هو داخلي ومنها ما هو خارجي.

ولما كان التقدم العلمي في العصور المتأخرة صفة للغرب دون المسلمين، تأثرت كثير من الدراسات الفكرية بمناهج الغرب ودراساتهم وتحليلاتهم، كما تأثرت تلك الدراسات بالأحوال النفسية والعاطفية، والتصورات الذهنية لدى بعض المسلمين، برزت في ما قدموه من مخرجات علمية وفكرية.

ومن هنا كان الخلل في مناهج التفكير والبحث والتحليل عائقا أمام استقلال الأمة الإسلامية وتقدمها، وحاجزا أمام الإفادة من الروافد الإسلامية والمناهج الفكرية المعتدلة والمتوازنة، ومن أبرز مظاهر الخلل في جانب مناهج التفكير والتحليل والبحث، ما يلي:

١ - الجمود والتخلف ورفض التجديد والاجتهاد:

مرت بالأمة الإسلامية فترة من الزمن غلب عليها الجمود الفكري، والقصور الاجتهادي، فأغلق بعض العلماء في تلك الفترة باب الاجتهاد الشرعي، واكتفوا بالتقليد والتمسك بمخرجات السابقين العلمية والاجتهادية، إضافة إلى التقصير في التعرف والتعامل مع العلوم الأخرى الكونية والحياتية.

كما انغلق كثير من العلماء والرموز الإسلامية على ما لديهم من تراث علمي إسلامي، دونما إفادة من العلوم والتجارب والدراسات الأخرى، التي برع في تطويرها وتعميقها أمم أخرى من غير المسلمين، مما كان سببا في تأخر المسلمين، وتوقف عجلة التطور والنهوض العلمي والحضاري لهم ولأمتهم.

حتى جاء زمان الصحوة من الجمود، والاستيقاظ من الثبات، تحركت فيه بعض القوى العلمية والفكرية، لتكشف عن نفسها غطاء الجمود، وتزيل حاجز الانغلاق، وتنطلق نحو الاجتهاد والتجديد والتطوير، والتعرف على الحكمة حيث كانت.

إلا أنه ما زال من المسلمين من يعيش تحت ظلال تلك الفترة الكئيبة المظلمة من حياة الأمة الإسلامية، لا يستطيع أن يتجاوزها، ولا يقدر أن يعالجها، مما جعل أمثال هؤلاء عقبة أمام النهوض الفكري والعلمي لدى الأمة الإسلامية.

٢ - الذهول والتبلد العقلي والفكري:

إن فترة الجمود والثبات الطويلة التي مرت بأفراد الأمة الإسلامية، ما زالت تلقي ببعض ظلالها حتى اليوم، فمع وجود حركة التجديد والتطوير، وقوى الاجتهاد والنهوض العلمي والحضاري، إلا أنه ما يزال بعض المسلمين يعيشون تبعات تلك الفترة، حيث شغلتهم حياتهم الخاصة عن مهمتهم ووظيفتهم العلمية والحضارية.

فمع التطور الفكري الكبير للآخر، والتقدم البعيد والمستمر لعالم

الأفكار، شعر كثير من المسلمين الذين اطلعوا على هذا الواقع، بعد فترة من الرقاد والجمود، فأصيب بعضهم بالذهول المقنط، بدلا من اليقظة والتوقد، أو التبلد المستسلم، بدلا من الحيوية والهمة، ليكملوا بذلك حلقة الجمود والتخلف نحو التقدم والتطور، فآثروا العجز والكسل، وشغلوا أنفسهم بما جادت عليهم الدنيا به من ملذاتها وشهواتها، وهمومها ومتطلباتها، إضافة إلى استهداف الأعداء لهم بأن مكنوا لديهم تلك الصفة، وعززوا لديهم هذا التوجه، فكان ذلك سببا في تبلد العقول، وذهول الأذهان، فلا يكاد هؤلاء يسمعون قيلا، ولا يكادون يفقهون حديثا.

٣ - التقليد الكامل للآخرين:

في بدايات التجديد والنهوض العلمي للأمة الإسلامية، تغرب كثير من العلماء والمفكرين عن أوطانهم وبلادهم إلى بلاد الغرب، لينهلوا من علومهم، ويستفيدوا من تجاربهم، فيعززوا قدراتهم العلمية والبحثية، ويكونوا عونا لأمتهم على النهوض والصحوة والرشاد.

ولكن الفجوة كانت كبيرة بين ما كان عليه حال المسلمين في بلادهم، وما كان عليه الغرب في مادياتهم وحياتهم، فغلب على كثير من هؤلاء المتغربين الإعجاب بما رأوا، والاستحسان لما شاهدوا، والتأسف على ما كانوا عليه في ديارهم وأوطانهم، والنفور مما نشؤوا عليه في بيئاتهم ومجتمعاتهم.

فإذا بهم ينقلبون على ذواتهم، ويغلقون النافذة التي تذكرهم بتراثهم وحضارتهم، ويستبدلون بها ثقافات أخرى، ويفتحون أعينهم على حضارات أخرى، فيذوبون فيها، وينصهرون في معطياتها، حتى أصبح

كثير منهم نسخا غربية، فقدت أساسها، ونسيت مرتكزاتها، وتعدت على ثوابتها، مقلدة غيرها، وداعية إلى ما أعجبت به، دونما تحليل وتدقيق.

حيث أخذ هؤلاء ما تعلموه وشاهدوه لدى الغرب من الغث والثمين، والحسن والقبيح، ونسفوا ما نشؤوا عليه وتعارفوا عليه في مجتمعاتهم من خير وشر، فكانوا منسلخين عن أمتهم، حيث ضلوا وأضلوا، وما زال بعضهم يسير في غيبوبته وسكره، ورجع بعضهم عن ضلاله إلى رشده.

وقد كان ما جاء به هؤلاء من علوم ومعارف، ودراسات ومناهج، من خلال الترجمة والنقل، أو البحث والتحليل، مقلدين لغيرهم، مضرين بأمتهم وحضارتهم، ومعوقين لنهضة الأمة الإسلامية في مجال العلم والمعرفة.

٤ - التأثر بالأحوال النفسية والفكرية:

إن مما يميز مناهج البحث العلمي المنهجي السليم، تجرده عن المؤثرات الداخلية لدى الإنسان، سواء كانت تلك المؤثرات أحوالا نفسية، أم صورا ذهنية سابقة، أم توجهات عاطفية، شخصية، أم غير ذلك من أمور تجاذب القدرة الإنسانية إلى جانبها، وتفقد القوى العقلية والفكرية توازنها.

فلا يمكن أن يكون البحث والدراسة والتفكير موضوعيا ما لم يتجاوز تلك المؤثرات الداخلية، لما في ذلك من أثر في سير الدراسة والبحث، وفي مخرجات التفكير والتحليل.

ونظرا لكثرة المشكلات النفسية، واختلال العديد من الصور

الذهنية، وتباين التوجهات العاطفية، لدى بعض المسلمين، فقد برزت كثير من الدراسات والبحوث والتحليلات الفكرية المتحيزة، والمخطئة، والمجافية للحقائق والموضوعية، كبعض المؤسسات المناهضة للآخر، أو الذائبة في أحضانه.

وقد انتشرت عدد من هذه الدراسات لدى عوام الأمة الإسلامية وبعض مثقفيها، فبنوا عليها أفكارهم، وانطلقوا من خلالها إلى أعمال وتصرفات، وأنشؤوا بسببها مشاريع ومؤسسات، صبغت بصبغة المنطلق الذي انطلقوا منه، والمرتكز الذي ارتكزوا عليه، فكانوا صورة ظاهرة لتلك البحوث والدراسات، ونموذجا عمليا لها، حتى أصبحوا بذلك معوقا خطيرا من معوقات النهضة الإسلامية، وسببا فاعلا في القصور والخلل الذي أصاب الأمة وأفرادها.

٥ - التأثر بالفوضى المصطلحية:

قامت دراسات وبحوث كثيرة تعالج وتناقش قضايا وموضوعات فكرية وثقافية ومجتمعية، ولكنها اعتمدت على المصطلحات المتداولة، دونما تمحيص لها، وتدقيق في مدلولاتها، فبنت عليها النتائج، وأسست عليها المخرجات، مما زاد في تعميق الفجوة المصطلحية، والفوضى المفاهيمية، وبقي الناس يدورن في حلقة مفرغة، تجمعهم الألفاظ، وتفرقهم الحقائق والدلالات والماهيات.

٦ - التأثر ببعض المسلمات العقلية غير الصحيحة:

من طبيعة الإنسان أن تستقر في عقله بعض المسلمات الفكرية

والعقلية والثقافية، بحسب البيئة التي عاش فيها، والمحيط الذي نشأ فيه، وتراكم الزمان والمعلومات التي حصل عليها، وكثيرا ما تكون هذه المسلمات غير صحيحة، وإنما تناقلتها الأجيال والعقول دونما تمحيص وتحقيق وتدقيق.

ومن هنا جاءت بعض الدراسات والبحوث محايدة للصواب في تحليلاتها، ومجانبة للحقيقة في نتائجها، لأنها اعتمدت على مثل تلك المسلمات، ولا سيما في المجال الديني والفكري والاجتماعي، بل السياسي والاقتصادي والفني وغيرها، ومن ذلك فقه طبيعة العلاقة بين الحضارات الإنسانية، والتأرجح بين الصراع الحضاري ونهاية التاريخ، والحوار والتواصل الحضاري...

٧ - التأثر بالعادات والأعراف الخاصة:

تنطلق بعض الدراسات العلمية والبحثية من منطلقات محلية، تعتمد على العرف السائد في المنطقة، والعادات المنتشرة فيها، وتعكس الكتابات هذا الجانب بشكل كبير وواسع، يظهر في نتائجها وثمراتها، ومن هنا كان التدقيق والتأكد من سلامة هذه الأعراف والعادات مهما في سير البحث العلمي والدراسات الموضوعية، لأن بعضا من تلك الأعراف السائدة والتقاليد المنتشرة يكون سلبيا، مجافيا للحقيقة، بل متعارضا معها أحيانا، كتفاصيل طبيعة علاقة الرجل بالمرأة، وضوابط هذه العلاقة وأحكامها، وغير ذلك من مسائل...

كما أن ثورة الاتصال العالمية، ووسائل التواصل الفنية، جعلت من المهم توسيع النظرة المحلية، لتكون نظرة واسعة، تستوعب العالم الذي

أصبح كقرية صغيرة، ولا سيما في الكتابات العامة التي تستهدف شرائح واسعة.

ولا يمنع ذلك من التعرض للجوانب المعتادة محليا والأعراف السائدة إقليميا شريطة سلامتها، مع توضيحها، وبيان حقيقتها ومدلولاتها، توسيعا لمساحات الفائدة منها، واستيعابا للاحتياجات العامة منها.

٨ - الانجرار وراء الأكاذيب:

إن من سمات العصر الحالي كثرة الشائعات والأخبار المكذوبة، وانتشار بعض تلك الأكاذيب والشائعات حتى تصبح لدى كثير من الناس حقائق مسلمة لا تقبل الجدل ولا النقاش، ومن ثم تبني العواطف والأفكار على أساسها، وتتوجه الأعمال والحركات في إطارها، وتتباين مواقف الناس في تناولها والتعامل معها.

ومع ترشيد الدين الحنيف إلى ضرورة التثبت والتأكد والمراجعة والتوثيق، فإن الواقع يشهد خللا في كثير من هذه المتطلبات، ولا سيما مع وجود تيار دافع نحو تعميق تلك الشائعات والأكاذيب، وترويجها للناس، سواء كان من داخل الأمة الإسلامية أم من خارجها، وسواء كان ذلك عن سذاجة وسفاهة، أم عن تقصد وإرادة ونية سوء.

فكم من أكاذيب تاريخية تتعلق بشخصيات وأحداث إسلامية، وكم من شائعات وأكاذيب تتعلق ببعض الأعداء وقدراتهم وإمكاناتهم، وكم من ادعاءات لحقوق وخصوصيات مزعومة يروج لها بين المسلمين، فتتناولها عقول عامتهم، وتتحرك في إطارها أنشطتهم وأعمالهم،

فيكونون بذلك داعما لتعميق وتأصيل هذه الأكاذيب والشائعات في نفوسهم وفي نفوس غيرهم.

٩ - التأثر بالضغوط والظروف الشديدة:

من سنن الكون التبدل والتغير، فظروف الناس تتقلب مع تقلبات الحياة، وأحوالهم تتحول من حال إلى حال، من قوة إلى ضعف، ومن سعادة إلى حزن، ومن صحة إلى مرض، وهكذا تسير الحياة.

ومن هنا فإن كثيرا من الكتابات التي أخرجت في فترات متباينة، تعكس التأثر بهذه الضغوط العامة، والظروف المختلفة، وأحيانا تشتد هذه الضغوط حتى تخرج بالبحث والدراسة عن الموضوعية والحيادية، متأثرة بالحال التي تعتريها، والظروف التي تحيط بها.

كما تقوم كتابات ودراسات معاصرة تعتريها هذه الآفة المؤثرة، فتبتعد عن الصواب، وتختل في الموازنات، وتخطئ في النتائج والمخرجات، وتتسبب حين انتشارها بتفشي الأخطاء والتناقضات، وتكون ميدانا خصبا للتجاذب والتناحر والاتهامات، وخير في مثل هذه الأحوال أن لا تخرج هذه الدراسات وأن لا تنشر هذه البحوث والكتابات، حفظا لمقام البحث والدراسة، وتبرئة للذمة من التضليل والتشويه.

١٠ - ضعف القدرة على الإفادة من المنطلقات والمرتكزات الدينية واللغوية السليمة:

بعد أن هيأ الله تعالى للمسلمين مصادر معرفية خاصة بهم، تتميز بالعصمة والشمول والكمال، وتتسم بالثبات والخلود، فإن بعضا من

الدارسين والباحثين يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، فيرتكز في بحوثه ودراساته على منطلقات غربية، أو مرتكزات عقلية، أو تجارب بشرية، فيصيب أحيانا ويخطئ أحيانا أخر، متجاهلا مصادره الخاصة، أو جاهلا بها.

ومع أهمية معرفة التجارب البشرية والتأملات العقلية فإن الاعتماد في ذلك على المصادر الإسلامية يعطي البحوث والدراسات خصائص كثيرة، تميزها عن غيرها، في سلامتها وقوتها ومتانتها، فتكون أساسا يحاكم عليه التجارب والمعارف، وميزانا توزن به الحقائق والمسلمات، ومنهجا تعالج من خلاله الفرضيات والنظريات.

١١ - ضعف الإفادة من التراث الإسلامي الحضاري القديم:

مما تميز به المسلمون عظم الثروة المعرفية والتراثية التي حفظت لديهم، والتي كانت نتاجا متراكما على مر الزمان، وتنوع المكان، واختلاف الظروف والأحوال، وتعدد البيئات والثقافات والحضارات، فهي كنز من كنوز الحضارة الإسلامية، وثروة من ثرواتها، ونجمة مضيئة في فضاء المعرفة والعلم والبحث والتجربة والدراسة.

ومع ذلك فإن الناس من تلك الموروثات الثقافية على مواقف متعددة، فمنهم من يتجاهلها حتى يبخس حقها ومكانتها، ويجهل ضرورة البناء عليها، والإفادة من معطياتها، ومنهم من يقدسها ويعظمها، فيجمد عليها، ويوقف تطورها وامتدادها، وكلا الفريقين أخل في الإفادة المعرفية منها.

فلا بد لنجاح الدراسات والبحوث المعرفية أن تتصل بما سبق، بالنظر والتأمل، وأن تعالج ما تقع عليه من نتائج وثمرات، وأن تبني على ذلك وتطوره وتصححه، وتمد الثقافة الإسلامية وترفدها بمعطيات جديدة، تميز الدراسات والبحوث الإسلامية، وتجعلها ظاهرة على غيرها.

١٢ - عدم التوازن بين التنظير العقلي والواقع الميداني:

من مظاهر الخلل في المسيرة البحثية والدراسية، ضعف التوازن بين المعطيات النظرية، والحقائق والمشاهدات الواقعية، فكم من دراسات وبحوث تتصل بالجانب التنظيري، بعيدا عن الواقع العملي، فيكون محلها المكتبات ورفوفها، أو المقابر ولحودها.

وفي المقابل تقوم دراسات ميدانية، تجعل من الواقع والميدان منطلقا لها، ومرتكزا في تحليلاتها ودراساتها، فإذا بها تتخبط في ساحات الواقع المتباينة، وتتباين في التقديرات والمخرجات البحثية والدراسية الجارية، وتجافي الصواب من الناحية النظرية والعلمية المنهجية.

ومن هنا كان التوازن في التعاطي مع المعارف النظرية والمؤثرات الواقعية مطلبا علميا، وضرورة منهجية، وواجبا عقليا.

١٣ - ضعف الدراسات الواقعية المعتبرة في تناول كثير من الأحكام والمسائل العلمية:

من متطلبات البحوث والدراسات العلمية، وجود بيانات ومعلومات دقيقة تبني عليها تحليلاتها ومحاكماتها، ولا سيما فيما يتعلق بالجانب الميداني منها.

ومن هنا كان الخلل في إجراء تلك الدراسات الميدانية، وضعف وقلة المراكز المعنية بها، وقصور كثير من هذه الدراسات في أكثر جوانبها، سببا في إعاقة المسيرة العلمية والبحثية، وعائقا أمام معرفة المعالم والحقائق الواقعية التي يجب التعامل معها، سواء بالإزالة أو المعالجة، وتقدير المتطلبات العلمية والعملية التي تحقق النجاح والسلامة في المسيرة العلمية والعملية.

١٤ - عدم التوازن في التعاطي مع كافة أطراف البحث ومجالاته:

فكثيرا ما تتوجه كتابات ودراسات بعض الباحثين إلى أطراف من الموضوع، وبعض من مجالاته بصورة مجردة مستقلة، تحجز الذهن عن وضعه في مساره الصحيح، وتضعف لدى القارئ والمطلع استيعابه بشكل سليم.

فيتعامل الباحث والدارس مع الجزئية على أنها كلية، أو يعطي جزئية من الجزئيات حيزا أكبر من غيرها، ويحللها ويبني عليها، ويخرج منها بمخرجات علمية وبحثية تكون في كثير من الأحيان محايدة للموضوعية، ومجافية للمنهجية العلمية، فتعزز لدى الناس في كثير من الأحيان التشتت الذهني، والتمزق العقلي، والتناقض المنطقي.

١٥ - ضعف القدرة على المقارنات والمقايسات:

من أساسيات المقارنة والمقايسة، وضوح الموضوع ومعرفة أبعاده ومجالاته ومدلولاته بصورة كبيرة، كي يتمكن العقل من المقايسة والمقارنة، ودون ذلك يخفق العقل في تقدير الأمور، ويضل في توجيه المسار، فيقارن

بين بعض المتناقضات، أو يقايس على بعض المتباينات، فيخرج بنتائج عجيبة، ويصل إلى مخرجات غريبة.

فيضل عن المنهج السليم في معارفه وعلومه، ويجافي المنطق الصحيح في تحليلاته وتوجيهاته، وينتشر بين كثير من الناس ما وقع فيه من خلل، وما ترتب عليه من علم وعمل.

١٦ - ضعف القدرة على إظهار مخرجات البحث العلمي بصورة مشاريع عملية صالحة للتنفيذ:

إن كثيرا من البحوث والدراسات الموضوعية والعملية والمنهجية المفيدة، التي حظيت بقبول أكاديمي، واعتماد تخصصي، تبقى حبيسة الكتب والمكتبات، أو أسيرة في العقول والأذهان، مع شدة الحاجة إليها في الميدان الفكري والعملي. وذلك يعود إلى أسباب خاصة أو عامة، داخلية أو خارجية، كعجز لدى أصحابها عن أن يبرزوها في مشاريع عملية، أو قصور في القدرات المادية التي تحتاجها لتصبح مشروعا ميدانيا، أو حجب لها من غيرهم عن أن تكون واقعا ملموسا.

١٧ - الاكتفاء ببعض المقدمات وندرة الدراسات المختصة بالمتابعة والتطوير:

من المشكلات التي تكتنف البحث والدراسة العلمية، ضعف التسلسل والتطوير، والبناء والتوسيع، لكثير من الموضوعات المهمة، التي بدأت بدراسات أولية، وضعت لها خطوطا أولى، ومسارات مقترحة، ومجالات متوقعة، وتطبيقات نوعية.

مما يتطلب مزيدا من البحث والدراسة، واستيعابا لما وصل إليه الآخرون، وتطويرا وبناء عليه، وتصحيحا ونقدا لما سطروه، لأن العقل حاله حال البشر جميعا، وحال الكون كله، يتطور ويتقدم، ويتغير ويتبدل.

فما تزال الحاجة قائمة وملحة إلى جهود علمية وفكرية، تؤدي دورا معرفيا ضروريا، يسهم في تسديد وتصويب العقل والذهن، وتعزيز المعارف والعلوم، وتطوير الثقافة والفنون.

١٨ - ضعف الإفادة من الوسائل الحديثة في البحث والدراسة، والانغلاق على آليات البحث ومظانه الاعتيادية:

من نعم الله تعالى على الإنسان أن تتطور وتتجدد وسائل العلم والمعرفة، وطرق البحث والنظر، وآليات الدراسة والبحث، مما يسهم في تيسير طرق المعرفة والبحث والدراسة، ويساعد على الوصول إلى الإحاطة والشمول والسداد، ويوسع من مستويات الصحة والصواب.

فكم من دراسات حديثة قامت على وسائل قاصرة، سواء كان القصور في الوسائل المتوقعة في المجال المعرفي للموضوع، أو كان القصور في القدرة على استخدام هذه الوسائل من حيث إمكاناتها أو صحة التعامل معها.

وإن مما يميز العصر الحالي، احتضانه لثورات علمية وفنية عديدة، ومن أبرزها الثورة المعلوماتية، التي تجعل من العلوم والمعارف مادة منشورة وميسرة، وتجعل من الموضوعات البحثية المتباينة في انتماءاتها وحدة معرفية وثقافية مترابطة.

مما يتطلب إلماما بالحيز المتصل بين الموضوعات المختلفة، والمجال

المفيد والرافد لكل مجال من غيره، حتى تتواكب البحوث والدراسات مع المعطيات المعرفية المعاصرة، والتي ترفد البحث والدراسة بنوع من القوة والمتانة، وتوسع الأفق الخاص به، وتوضح علاقته الثقافية والمعرفية بغيره من العلوم، التي تمثل في مجموعها منظومة ثقافية ومعرفية، خطتها أيدي البشر، وسطرتها مخرجاتهم الحضارية على مر الزمان.

رابعاً: إشكالات في التخطيط والتنظير الميداني:

وهي التي تنتج عن قصور أو خلل في التعامل مع المعطيات العلمية النظرية، التي تثمر عنها البحوث والدراسات، وذلك عند تفصيلها العملي، وتطبيقها الميداني، من حيث وضع الخطط والبرامج، أو من حيث تأسيس وتوجيه المشاريع والأنشطة، ومن أبرز هذه الإشكالات:

١ - الفجوة بين التنظير والتطبيق:

إن من فوائد البحوث والدراسات، وثمرات العلوم والمعارف، أن يستفيد الإنسان من معطياتها في هذه الحياة، وأن تكون عونا له على تحمل رسالته وأداء أمانته.

ومع وجود عدد من البحوث والدراسات القيمة، في مجالات مختلفة من الحياة، إلا أن القدرات التنظيرية لها، والإمكانات التطبيقية لها، ما زالت تعيش حيزا من الانفصام بين النظرية والتطبيق، كما سيأتي بيانه في المعوقات المتعلقة بالكون وسننه.

حيث تقوم العديد من المخططات للمشاريع التطبيقية، منعزلة عن مخرجات تلك البحوث والدراسات، معتمدة على التجارب والخبرات الخاصة المستقلة، فتعزز هذا الانفصام، وتقوي هذا التباعد.

ومن هنا فإن ظاهرة الانفصال الفكري والنظري عن التخطيط والتطبيق العملي، ما تزال بارزة في كثير من مجالات الحياة، سواء منها السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي أو الفني أو غيره...

٢ - النظرة الفرعية المستقلة عن التصور الشامل:

كثيرا ما تأتي المخططات التنظيرية للمشاريع العملية قائمة على معلومات جزئية، وبيانات فرعية، لا تفي بمتطلبات التخطيط الشامل، ولا تحقق استيفاء البيانات اللازمة، حيث تكون المخططات قاصرة، والتوجيهات النظرية مخلة، والمشاريع العملية مجتزأة.

فالتخطيط والتنظير لأي من الموضوعات والمشاريع يجب أن ينطلق من أرضية واسعة، وأن يبنى على أساس شامل، ثم يتفرع عن أصله، ويمتد من أساسه، ليحقق السير على بصيرة، ويؤدي الدور الخاص به، ويتكامل مع غيره من الجوانب الأخرى، فلا يحيد عن الطريق، ولا يتجاوز الحدود، ولا يخل بأداء المطلوب.

٣ - ضعف العلم النظري، وقلة الخبرة العملية:

إن من مبادئ التخطيط والتنظير للمشاريع العملية، أن تجمع بين العلوم النظرية، وبين التجارب العملية، لتوازن بينها، وتصدر مخططات وبرامج متميزة، تحقق المطلوب، وتنمي الفوائد والعوائد، وتعالج السلبيات، وتتجاوز الأخطاء.

ومع أهمية الجانبين في التخطيط والتنظير، إلا أن كثيرا من المسلمين بشكل عام، ما زالوا بحاجة إلى تطوير قدراتهم النظرية، وتنمية

مؤهلاتهم البحثية والعلمية، إضافة إلى تعزيز الخبرات العملية، وتطوير آليات وأدوات الإفادة منها. ولهذا تأتي كثير من الدراسات التنظيرية، والمخططات التفصيلية، لكثير من المشاريع والبرامج العملية، قاصرة في أساسها العلمي، أو مخلة في مخططاتها العملية، مما يتطلب مزيدا من البحث والدراسة، ووقتا من التجريب والخبرة، ومراقبة ونقدا لمعرفة الجوانب المخلة، والمجالات القاصرة.

٤ - التشتت والفوضى وضعف مؤهلات التنظير والتخطيط:

نظرا لكثرة المتطلبات العلمية والعملية، وندرة المشاريع المركزة والمؤسسة تأسيسا علميا وعمليا سليما، فإن ظاهرة التشتت والفوضى في المخططات السريعة، والمشاريع المرتجلة، ما تزال بارزة في الساحة الإسلامية.

فكم من مخططات ومشاريع قائمة يصعب على أصحابها تحديد غاياتها وأهدافها، ويعجزون عن تقدير وسائلها وآلياتها، ويتخبطون في تقدير متطلباتها واحتياجاتها، فتتداخل عليهم أطرها ومجالاتها، كما تقصر خبراتهم ومعارفهم عن فهم ومعرفة الواقع المحيط بها.

فتارة يحولون الغايات والأهداف إلى وسائل وآليات، وتارة يتعاملون مع الوسائل على أنها غايات وأهداف، وتارة يصطدمون بالواقع لأنهم جهلوه؛ أو يعجزون عن الاستمرار لعدم توفر المتطلبات.

فلا يتحقق لأمتهم ما ترجوه منهم، ولا يتحقق لأنفسهم ما يأملوه من مشاريعهم وعملهم.

٥ - ضعف في تقدير الأولويات والموازنات:

إن من مظاهر القصور العلمي النظري، وضعف الخبرات التجريبية العملية، ما يقع فيه كثير من المخططين والمنظرين للبرامج والمشاريع العملية، من إخلال في تقدير الأولويات، أو تخبط في تحقيق الموازنات.

فكم من مخططات ومشاريع قائمة، تبدأ بغير المهم، أو بالمهم دون الأهم، وكم منها ما يغلب جانبا على جانب دونما معايير للموازنة والتقدير، ودونما ضوابط للمساواة والتقريب، ودونما معالم للتسديد والتصويب.

٦ - ضعف في اعتبار السنن الكونية والواقع الميداني:

من متطلبات التنظير والتخطيط العملي، معرفة السنن الكونية الحاكمة، والنواميس الإلهية السائدة، التي أصبحت قوانين لهذه الحياة، لا يمكن لأحد تجاوزها، ولا يجوز لأحد تجاهلها.

قال الدكتور عبد الحليم عويس: «إن أكبر مظهر للتحدي الحضاري -في يقيني- هو: عدم تركيزنا الأساسي على فقه سنن الله الكونية والاجتماعية في التقدم والانحطاط، أو بتعبير آخر: على منهج علمي غيبي يحقق لنا الفقه الحقيقي بهذه السنن الكونية والاجتماعية، ومعروف أن عصرنا يدور الصراع فيه على فقه السنن الكونية والاجتماعية للاستفادة من سنن الله في الكون من ناحية، ولتوجيه الحضارة من ناحية أخرى...»[1].

(١) النهضة الإسلامية بين مسؤولية القيادة وواجبات الأمة، للدكتور عبد الحليم عويس، ص ١١، سلسلة نحو عقلية إسلامية واعية، رقم ٢٧، دار الوفاء، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.

ومن أجدر الناس معرفة بها أولئك الذين حملوا الرسالة، وكلفوا بأداء الأمانة، فلا محيص عن أن يسيروا وفقا لما ذرأه ربهم في خلقه، وما سنه خالقهم في كونه، وإلا كانوا مقصرين في سيرهم، مخطئين في عملهم.

فكم من تصورات تنظيرية، ومخططات لمشاريع عملية، تتعارض مع سنن الإله، وتتباين مع مقدرات الحياة، فتعجز عن القيام بدورها، أو تصطدم بالواقع الذي تواجهه، أو تسقط وتفني دون التمام.

٧- التأثر بالأحوال النفسية والتصورات الذهنية والدراسات والبحوث الفكرية القاصرة:

إن كثيرا من المخططات التنظيرية، والمقترحات العملية تحيط بها الأهواء والميول المنحرفة، والعواطف والتوجهات الضالة، أو تبنى على أساس بعض الدراسات والبحوث القاصرة أو المخلة.

فتعزز الخطأ في النشاط والعمل، وتنمي الضعف الواقع في الناس والخلل، وتحيد بالصواب عن جادته، وبالحقيقة عن مجراها، فلا تزيد الأمة إلا وبالا، ولا تفيد الناس إلا ضلالا.

إلى غير ذلك من إشكالات في مجال التخطيط والتنظير العملي...

●●●●●

المطلب الثالث

المعوقات الحركية

وهي التي تنتج عن قصور أو خلل في الممارسة العملية، والحركة الميدانية، والتطبيقات الواقعية، والتي تتأثر تأثرا مباشرا بالأخطاء والأمـراض والمشكلات النفسية، والتصـورات والمـعـارف الذهنية، والمخططات والتنظيرات العملية...

ويمكن أن ترتبط هذه المعوقات والمشكلات الحركية بالخلل في التعامل مع معطيات عناصر التفاعل الحضاري الثلاثة: الكون والدين والإنسان، ومن أبـرز مظاهر المشكلات والمعوقات الحركية في الأمة الإسلامية، ما يلي:

أولا: ما يتعلق منها بالكون وسننه:

١ - القصور في استنتاج السنن الكونية وفقهها:

ذرأ الله تعالى في كونه سننا ونواميس ثابتة، جعلها آية من آياته الجليلة في كونه، وربط بها حركة عباده وخلقه، فدعاهم إلى تأملها، والإفادة من فقهها، وحسن التعامل معها، فقال سبحانه: ﴿ **قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ١٣٧** ﴾، (آل عمران، ١٣٧).

ومن هنا كان من متطلبات النجاح والرشد في الحركة والمسير الاهتداء إلى هذه السنن المتنوعة والمتعددة والمتكررة، وكان من أبرز مظاهر الخلل

في الحركة والنشاط الإخفاق في مراعاتها، والقصور في فهمهما، والخطأ في مواكبتها ومواءمتها.

فكم من تحركات إسلامية، وأنشطة وبرامج دعوية، يصرف لها كثير من المسلمين جل أوقاتهم، ويبذلون من أجلها كثيرا من جهودهم وأموالهم، ولكنها لا تؤتي ثمارها التي ترجّى منها، ولا تحقق الأهداف التي قامت من أجلها، لأنها تسير على غير هدى وبصيرة، مخالفة سنن الله تعالى في كونه، ومعارضة لنواميسه في خلقه.

بل ربما تجاوز الأمر لتتعدى آثارها من الحيادية إلى السلبية، فتسهم في الإضرار بدلا من النفع، وفي التأخر والتخلف بدلا من التقدم والتطور، وأحيانا تكون حواجز في طريق غيرها من التحركات السليمة، وعوائق في سبيل الأنشطة والبرامج القويمة.

٢ - الانفصام بين النظرية والتطبيق:

إن عصرنا الحاضر يشهد توسعا في التنظير والحديث والكتابة في موضوعات شتى، تتناول ما يهم المسلمين من أمور دينهم ودنياهم، وما لا يهمهم أيضا، إلا أن من الحقائق المشاهدة، انفصام التواصل والتوافق بين النظريات المقدمة، والواقع الذي نعيشه.

فكم من كتابات شرعية واجتماعية وسياسية وتربوية، وغيرها من الكتابات التي تعرض أفكارا ونظريات مهمة، وتذكر أبعادا وتحليلات وتوجيهات، تبقى حبيسة في الكتب والمكتبات، أو في مراكز البحث والدراسات، لا تجد طريقا إلى الممارسة والتطبيق والترشيد، ولا يتيسر لها سبيلا إلى التبني والتطوير والمتابعة.

وقد ذم الله تعالى ذلك في كتابه العزيز، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾، (الصف، الآيتان: ٢- ٣).

ومع تباين وتعدد الأسباب المؤدية إلى هذا الانفصام سواء لعمق الفجوة بينها وبين الواقع، أو لجهل العاملين بها، أو لضعف الإمكانات والقدرات على تنزيلها إلى الواقع والإفادة منها، فإن كل ذلك من الخطأ الذي أدى ببعض المسلمين في كثير من الأحيان إلى الجمود على ما هم عليه من التخلف والضعف، أو الوقوع في أخطاء ومشكلات، رغم وجود كثير من الدراسات والبحوث العلمية المنظرة والمرشدة.

٣ - ضعف الكفاءات وعدم مراعاة التخصصات:

تقوم بعض الشخصيات والحركات الإسلامية بأعمال ومشاريع وبرامج مهمة، في مجالات شتى، تحتاجها الأمة الإسلامية، ويحتاج إليها العالم الإنساني، ولكن في كثير من الأحيان تناط هذه الأعمال بأشخاص لا ترتقي كفاءاتهم ومؤهلاتهم إلى حملها، ولا تستوعب قدراتهم وتخصصاتهم لأبعادها ومجالاتها.

مخالفين بذلك المنهج القرآني في توكيل الأمور إلى الأمين القوي والمختص فيها، حيث قال تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ۝٢٦﴾، (القصص، ٢٦)، وقال أيضا: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ۝٥٥﴾، (يوسف عليه السلام، ٥٥)، ومتجاهلين لمنهج النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في اعتبارها، فعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه

قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَلا تَسْتَعْمِلُنِي، قَالَ: فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي ثُمَّ قَالَ: «**يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ إِلا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا**»(١).

فإذا بهم يقومون بأعمال سليمة مشكورة ولكنها تكون قاصرة، فيختزلون المجال والعمل في إطار ما اعتقدوه وما عرفوه، أو يتخبطون في أعمال غير سلمية وغير صحيحة، فيضلون ويضلون، ويعطلون ولا يصلحون، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَدِّثُ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: سَمِعَ مَا قَالَ فَكَرِهَ مَا قَالَ وَقَالَ بَعْضُهُمْ بَلْ لَمْ يَسْمَعْ، حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ قَالَ: «**أَيْنَ أُرَاهُ السَّائِلُ عَنْ السَّاعَةِ؟ قَالَ: هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَإِذَا ضُيِّعَتْ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ، قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ**»(٢).

٤ - إهمال القواعد والأسس والنظم الإدارية والفنية:

ربط الله تعالى بين الأسباب والمسببات، وجعل لهذا الكون سننا وقواعد عامة، تستقيم حياة الإنسان بقدر معرفتها وفهمها، ويتفوق الإنسان بقدر إحسانه للتعامل معها، ومن المجالات المهمة في هذه الحياة، القوانين والأسس والنظم الإدارية التي تحكم سير الأفراد، وتنظم مسؤولياتهم وواجباتهم في إطار المجتمع الخاص والعام، وفقا

(١) صحيح مسلم، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة، حديث رقم ٣٤٠٤.

(٢) صحيح البخاري، باب بَاب مَنْ سُئِلَ عِلْمًا وَهُوَ مُشْتَغِلٌ فِي حَدِيثِهِ فَأَتَمَّ الْحَدِيثَ ثُمَّ أَجَابَ السَّائِلَ، حديث رقم ٥٧.

لمؤهلاتهم، ومراعاة لتخصصاتهم، واستثمارا لكفاءاتهم، كما تحدد حقوقهم، وتبين صلاحياتهم، وترشد عملهم في تحقيق التوازن مع جميع هذه الاعتبارات.

ورغم وضع الإسلام للقواعد الإدارية الكلية، والثوابت الشرعية الحاكمة، والقيم الإسلامية العليا، وفتح المجال أمام الاجتهادات البشرية لتبدع في ضوء ما سبق، بما يتناسب مع تجاربها، وتطورات زمانها، وحاجة عصرها، كغيرها من المجالات المتعلقة بالحياة، إلا أنه ما زال من الإشكالات العملية التي تعترض طريق النهضة الإسلامية الإخلال في مراعاة النظم والقوانين الإدارية، سواء منها ما يتعلق بالمناهج أو الأساليب أو الوسائل، إما لجهل بها أو ببعضها، أو لتجاوز لضوابطها وحدودها، أو تقصير في تحقيق الحد المطلوب منها.

وذلك لأسباب كثيرة من أبرزها ضعف المؤهلات وقلة الخبرات، وقد حذر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من توسيد الأمر إلى غير أهله، وحجز التولية والتكليف الإداري عن بعض أصحابه رضي الله تعالى عنهم، لا لضعف في دينهم وأمانتهم، ولكن لعدم تحقق الأهلية الكافية لتولي الأمور، فعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَلا تَسْتَعْمِلُنِي؟ قَالَ: فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي، ثُمَّ قَالَ: **«يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ وَإِنَّهَا أَمَانَةُ وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ إِلا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا»**[1].

---

(١) صحيح مسلم، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة، حديث رقم ٣٤٠٤.

٥ - البناء على الجهل البسيط والجهل المركب:

إن من الإشكالات العملية التي تعترض طريق النهضة الإسلامية الجهل ببعض العلوم والمعارف المهمة، والتي تسبق العمل، بل يتجاوز الأمر أحيانا لترسخ وتستقر في عقول بعض العامة من الناس معلومات غير صحيحة، ليتحول الجهل لديهم إلى جهل مركب، يبنون عليه رؤاهم، ويرتكزون عليه في حركتهم وأنشطتهم، مما يعمق الخلل والإعاقة في سبيل النهوض والتقدم والتطور.

وذلك إما لخطأ في مصادر المعرفة التي اعتمدوا عليها، أو لتسليم ببعض العادات والتقاليد الموروثة التي نشؤوا عليها، أو لضلال في تناول الأدلة والنصوص وتحليلها والاستنباط منها، أو لغير ذلك من الأسباب.

ومن سلبيات الجهل المركب أن ما يترتب عليه من آثار تتجاوز عدم تقديم الفائدة لتكون معول هدم، يرسخ الأخطاء، ويؤصل الأمراض، ويركب المشكلات ويعقدها.

ومن هنا جاء النهي الإسلامي عن تجاوز الإنسان لحدوده في القول بلا علم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾، (الإسراء، ٣٦).

كما بين النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم حال الناس آخر الزمان، حيث يرفع العلم، وينتشر المتعالمون فيضلون ويضلون، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آله وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**إِنَّ اللَّهَ لا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنْ الْعِبَادِ**

وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»[1].

٦ - الانشغال بالفروع والجزئيات وترك الأصول والكليات:

من سنة الله تعالى في خلقه أن جعل في كونه أطرا تجمع بين كثير من المتفرقات والمتنوعات التي تشترك في أصولها، وترتبط فيما بينها ضمن كلياتها، ومن الطبيعي أن تنظر هذه الفروع والجزئيات من خلال إطارها، وأن تدرس في سياق أصولها وكلياتها، وأن يتعامل معها على كونها حزمة من المعطيات المجتمعة، لتوضع في نصابها، ولتربط مع مثيلاتها وشبيهاتها، حتى تكون النظرة متكاملة وشاملة.

ومن الخلل والقصور النظر إلى الفروع والجزئيات نظرة مستقلة مجردة عن أطرها، والانشغال بها منفصلة عن أصولها وكلياتها، مما يشوه الحقائق، ويحيد بالإنسان عن الصواب، فتضيع الجهود، وتضل النتائج، وتستفحل المشكلات، وتتوسع العقبات.

بل انشغل بعض المسلمين بتوافه الأمور، وتركوا مهماتها، وفيهم قال الغزالي -رحمه الله-: «إن هناك دعاة وعلماء جل بضاعتهم هذا الدخن، ولقد تسلسل في أعصار متطاولة حتى بلغ هذا الجيل، كثيفا سخيفا، ثم غلب على ثقافتنا النظرية وسياستنا العملية فلم يكن عجبا أن يتراجع الإسلام عن أقطار بلغها، بل أن يهدد في بيضته نفسها لولا بقايا من لطف الله...»[2].

---

(١) صحيح البخاري، باب كيف يقبض العلم، حديث رقم ٩٨.

(٢) الدعوة الإسلامية في القرن الحالي، محمد الغزالي، ص ١٢٥، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

وقد ضرب الله تعالى لنا مثلا بقوم موسى حينما أمروا بذبح البقرة، فتحولوا عن مقصد الأمر إلى بعض الجزئيات التي تسعهم، ولكنهم شغلوا بالفروع والجزئيات عن المقاصد والكليات، حتى شدد الله تعالى عليهم، فلم يتوصلوا إلى أداء المطلوب إلا بعد جهد كبير ووقت بعيد، وقد قال فيهم جل شأنه: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾﴾، (البقرة، ٧١).

٧ - خلل في تحديد الإمكانات والواجبات:

من سنة الله تعالى في كونه أن جعل لكل حادث سببا، ولكل هدف طريقا، ولكل غاية سبيلا، فلا يتوصل إلى الأمور إلا بأسبابها، ولا تتحقق الأهداف إلا بالسير في طريقها، ولا يتوصل إلى الغايات إلا بسلوك سبيلها.

وكلما عظمت الأمور، وكبرت الأهداف، وسمت الغايات، عظمت الأسباب الموصلة إليها، وكبرت الطرق المحققة لها، وسمت السبل الموصلة إليها.

ومن مظاهر الخلل والقصور الإنساني في التعامل مع السنن الكونية، الانفصام بين الأسباب والمطلوبات، والقصور في تحديد الإمكانات السببية الموصلة إلى المطلوبات من خلالها.

فكم من أسباب وجهود ناشطة، تراوح مكانها، وتستهلك طاقتها، دونما نتائج ملموسة، تسهم في تحقيق أهدافها والوصول إلى غاياتها، وذلك لعدم التناسب فيما بينها.

وقد ذكر الله تعالى قصة ذي القرنين، لتؤكد على أهمية الأخذ

بالأسباب والعمل وفقا لما تتطلبه الأمور مع بقاء التوكل والاعتماد الكامل على الله جل شأنه، قال تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (٨٤) فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾، (الكهف، الآيتان: ٨٤- ٨٥).

٨ - الانغلاق على الرتابة في العمل والجمود عليها:

إن الكون الذي أبدع الله تعالى صنعه، مع ثباته في كثير من السنن والنواميس، ورتابته في عدد من المستجدات والمتكررات، إلا أن في الكون كثيرا من المتغيرات، وأنواعا من المحدثات والمكتشفات، مما يستدعي توافقا وتناسقا في النظر إلى كل بحسبه، والتعامل مع كل بحاله.

ومن القصور والخلل المعيق للدفع الإسلامي، والنهوض الحضاري، في التعامل مع المتغيرات والمكتشفات، أن يحبس الإنسان نفسه عند ما عرفه السابقون، أو أن يحجر على عقله الانطلاق في مواكبة الجديد، أو أن يعيق حركته عن مواصلة المسير، مستسلما للرتابة المعتادة، ومتيبسا عند المعارف المعهودة، ومتمسكا بالمسالك الموروثة.

فلا يستطيع مواكبة التطور والتجدد والاكتشاف، ولا يقدر على الصمود في ميدان التدافع الحضاري، فضلا عن تحقيق الريادة والسيادة والتقدم العالمي.

ومن هنا كان التغيير والتطوير مطلب شرعي، وضرورة حياتية، قال جل وعلا: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ (١١)﴾، (الرعد، ١١).

٩ - الفصل بين العلوم الشرعية الإسلامية والعلوم الكونية الأخرى:

من المعوقات التي بدت ملامحها تظهر في الساحة الإسلامية، ما وقع فيه العديد من الإصلاحيين المسلمين، من فصل للفكر عن الفقه والتشريع، ووقعت فيه العديد من المؤسسات التعليمية الأولى، من فصل للعلوم الشرعية الإسلامية عن العلوم الدنيوية التجريبية، وتسمية المعاهد التي نهجت هذا النهج بالمعاهد الدينية، ولا سيما في المراحل الأساسية لتربية الجيل المسلم.

ومع الاعتراف بالأثر الإيجابي لهذه المؤسسات التي قامت على أيد مباركة أسهمت في تخريج مجموعات من المسلمين تتميز بالتمكن من العلوم الشرعية، إلا أنها كانت في الوقت ذاته تشكل عائقا سلبيا في تقدم المفهوم والمنهج الإسلامي الشامل للكون والحياة.

مما يتطلب تطويرا مناسبا لهذه المعاهد والمؤسسات، يقوم على أساس التوازن في توزيع المناهج الشرعية والكونية، وتقسيمها وترتيبها على مراحل متناسقة، تسهم في تخريج مجموعات متمكنة من علوم الشريعة، وواعية بعلوم الطبيعة، عالمة بأحكام التشريع، ومنسجمة مع حقائق الكون والحياة.

١٠ - تفرق القوة والثروة:

إن واقع الأمة الإسلامية اليوم يشهد تفرق المجتمعات المسلمة ضمن حدود إقليمية محدودة، تفصلهم عن مجموع أمتهم، حتى تجاوز عدد الدول الإسلامية الخمسين، فضلا عن المسلمين الذين يعيشون في دول

وأقاليم غير إسلامية، ويشكلون فيها وزنا عدديا يضاهي أحيانا أعداد المسلمين في بعض الدول الإسلامية.

ومع هذا التفرق والتباين، تتشتت ثروات المسلمين، وتضعف قوتهم، وتتمزق وحدتهم، مما يتطلب حلا عمليا لهذه الإشكالية العامة، بإيجاد حلول مناسبة تجمع بين عموم المسلمين، وتوحد صفوفهم، وتقوي من عزيمتهم، وتؤكد وحدة أمتهم.

١١ - انتشار الفتن والأزمات:

إن انتشار الفتن والأزمات أصبح معلما من معالم العصر، ولا سيما في المجتمعات الإسلامية، بل توسع الأمر لتطبق كل فتنة على غيرها، وكل محنة على سابقتها، لتشكل في مجموعها كما من الأزمات والفتن والمحن، يصعب تجاوزها، ويعسر حلها، ويجبر المسلم على أن يبقى أسيرا لها، أو متجاهلا لها.

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ببعض صور هذه الهنات والفتن فقال: «**إِنَّهُ سَتَكُونُ هَنَاتٌ**[١] **وَهَنَاتٌ فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ وَهِيَ جَمِيعٌ فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ كَائِنًا مَنْ كَانَ**»[٢].

---

(١) هنات أي: أي شُرُورٌ وفساد...، شَدائدُ وأمُورٌ عِظامٌ، النهاية في غريب الحديث، ج ٥، ص ٦٥١.

(٢) صحيح مسلم، باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع، حديث رقم ٢٤٤٢.

ثانيا: ما يتعلق منها بالدين وتشريعاته[1]:

١ - اختلال التطبيق للتشريع الرباني:

شرع الله تعالى لخلقه دينا قويما، كاملا وشاملا ومهيمنا على الدين كله، قال جل شأنه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾، (المائدة، ٣)، فكان فيه خيرهم وصلاحهم، وفي الإعراض عنه شر لهم وفساد كبير، قال تعالى: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾ (طه، الآيات: ١٢٣- ١٢٧).

ومن هنا كان الإخلال والإخفاق في فهم الدين وأركانه، وفقه مناهجه وأحكامه، وتطبيق شرائعه وحدوده، وامتثال قيمه وأخلاقياته، معوقا مباشرا في طريق القوة والتقدم، وسببا أساسا للأمراض الخاصة والعامة، والمشكلات الداخلية والخارجية، فكم من آيات كريمة ربطت بين التقصير في الالتزام والنتائج السلبية، وكم من أحاديث عللت حدوث الأمراض والمصائب بما كسبت أيدي الناس، من مخالفات دينية وتشريعية، وتجاوزات منهجية وأخلاقية، سواء كان ذلك في المستوى الفردي أو الأسرى أو المجتمعي.

---

(١) انظر كتاب نحو فهم أعمق للواقع الإسلامي، للدكتور عبد الكريم بكار، ص ٣١- ٣٣، سلسلة المسلمون بين التحدي والمواجهة، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

٢ - افتقاد المرجعية الموحدة:

من أبرز المعوقات الداخلية لدى المسلمين في طريق قوتهم وتقدمهم تقصيرهم في التمسك بالوحدة العقدية، وإخلالهم في التوصل إلى التوافق الفكري والعملي، وإخفاقهم في تفعيل عوامل المرجعية الموحدة لهم، فمع كثرة النصوص الشرعية المؤكدة على الوحدة وعواملها، والجماعة وفضلها، إلا أن كثيرا من المسلمين أفرادا كانوا أم جماعات، تعددت عندهم الانتماءات، واختلت فيما بينهم الروابط، وتنازعتهم مرجعيات شتى.

فأصبح بعض المسلمين متشككين في ثوابت دينهم الجامعة، وأضحى عدد منهم مخفقين في تمسكهم بتشريعات دينهم الدافعة، وعاش كثير منهم مختلفين حائرين في معرفة مرجعياتهم الموثوقة.

بل أصبح بعضهم مستبدلا الذي هو أدنى بالذي هو خير، يتبع من كفر، ويسير وراء من فجر، ويعايش من فسق، مقلدا من أحب، ومقتفيا أثر من أعجب به، فلا دين يحميه، ولا تشريع يهديه، ولا مرجع يوجهه.

مع أن الله تعالى أكرم أمة الإسلام بخير دين ارتضاه بعد أن أتمه وأكمله، وجعله المرجع الموحد لكل المسلمين، فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾، (النساء، ٥٩).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم خطب الناس في حجة الوداع، فقال : «**قد يئس الشيطان بأن**

يعبد بأرضكم ولكنه رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحاقرون من أعمالكم، فاحذروا يا أيها الناس إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا، كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، إن كل مسلم أخ مسلم، المسلمون إخوة، ولا يحل لامرئ من مال أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس، ولا تظلموا، ولا ترجعوا من بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض»[1].

٣ - إهمال الأسباب، وعدم التوازن في فقه قانون السببية:

مع إيمان المسلمين بأن الله تعالى ربط بين الأسباب والمسببات، وإيمانهم بأنه تعالى قادر على أن يفعل ما يشاء، وأنه أمرنا بالعمل، إلا أن كثيرا منهم أهمل الأسباب، وتواكل على المسبب، مدعيا بأنه قد فوض الأمر إلى الله، وأن الأمر لله يحكم ما يريد، ويفعل ما يشاء.

وقد جاء الأمر الإلهي المباشر بالعمل، والأخذ بالأسباب، فقال سبحانه: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾، (التوبة، ١٠٥)، كما وجه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أصحابه رضوان الله تعالى عنهم إلى العمل، فعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَنَازَةٍ فَأَخَذَ شَيْئًا فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِهِ الأَرْضَ فَقَالَ: **«مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ**

---

(١) المستدرك على الصحيحين، لمحمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، حديث رقم ٢٩٠، وقال عنه: وقد احتج البخاري بأحاديث عكرمة، واحتج مسلم بأبي أويس، وسائر رواته متفق عليهم، وهذا الحديث لخطبة النبي صلى الله عليه وسلم متفق على إخراجه في الصحيح، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م، الطبعة: الأولى..

إلا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنْ النَّارِ وَمَقْعَدُهُ مِنْ الْجَنَّةِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلا نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدَعُ الْعَمَلَ؟ قَالَ: اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾﴾، (الليل، ٦)»[1].

٤ - الخلاف والتفرق والتنازع بين بعض الأفراد والجماعات الإسلامية:

مع كثرة الروابط والعلاقات التي تجمع بين المسلمين وتجعل منهم أمة واحدة، وبنيانا واحدا يشد بعضه بعضا، ويسند بعضه بعضا، إلا أن عددا منهم كانوا معول هدم لوحدة البناء، ومدخل تمزق في هذه الأمة، لجهل وسفه عندهم، أو لسوء وشر لديهم، فإن كان الخلاف والتنوع من سنن الله تعالى في كونه، فإن فقههما في ضوء وحدة الأمة تكليف من الله تعالى لخلقه.

وقد أشار النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، إلى خطورة التفرق والتمزق، حيث طلب من الله تعالى أن يحفظ أمته من ذلك، فعن عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْبَلَ ذَاتَ يَوْمٍ مِنْ الْعَالِيَةِ حَتَّى إِذَا مَرَّ بِمَسْجِدِ بَنِي مُعَاوِيَةَ دَخَلَ فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ وَصَلَّيْنَا مَعَهُ وَدَعَا رَبَّهُ طَوِيلا ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَيْنَا فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**سَأَلْتُ رَبِّي ثَلاثًا فَأَعْطَانِي ثِنْتَيْنِ وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً، سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْغَرَقِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَمَنَعَنِيهَا**»[2].

---

(١) صحيح البخاري، باب فسنيسره للعسرى، حديث رقم ٤٥٦٨.

(٢) صحيح مسلم، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، حديث رقم ٥١٤٥.

٥ - التقليد والاتباع لغير المسلمين:

فمع كمال الدين وتمامه، وشموله وإحاطته، إلا أن بعضا من المسلمين اغتر بحال الغرب من غير المسلمين لما رأى من تطورهم المادي، ورقيهم المعيشي، فتوجه إليهم بقلبه وقالبه، ينهل منهم الحق والباطل، ويستقي منهم الغالي والرخيص، دونما تمحيص وانتقاء، حتى وصل الحال ببعض المسلمين إلى التقليد لهؤلاء في حياتهم الخاصة، سواء ما يتعلق بالشكل واللباس، أو التصرف والأخلاق، أو الميول والرغبات، أو التوجه والاهتمام، فإن قالوا قال، وإن عملوا عمل، وإن سكتوا سكت...

وقد حذر الله تعالى من ذلك في كتابه الكريم فقال: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾، (البقرة، ١٢٠)، وقال أيضا: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَـٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾، (المائدة، ٤٩).

وقد أشار النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى تقليد المسلمين لغيرهم دونما وعي أو رشد، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَتَتَبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ فَمَنْ؟!**»(١)، كما حذر من ذلك، فعَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ:

(١) صحيح البخاري، باب قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ...)، حديث رقم ٦٧٧٥.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تَكُونُوا إِمَّعَةً تَقُولُونَ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا وَإِنْ أَسَاؤوا فَلا تَظْلِمُوا**»(١).

٦ - ضعف التناصح بين المسلمين:

إن كل بناء مهما كان عظيما، وكل أمر مهما كان قويما، لا غنى له عن روافد تعزز من عظمته، وتدعم قوامه، وتصلح الإخفاق فيه، وتسد الثغرات التي تعتريه، وتمنع العابثين به، وتأخذ على يد المسيئين إليه.

ومن هنا جعل الله تعالى من وصف المسلمين أنها أمة متناصحة، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله، قال سبحانه: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾، (آل عمران، ١٠٤).

كما جعل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم النصيحة أساسا من أسس الإسلام، ومبدءا من مبادئه، قال النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آله وَسَلَّمَ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ، لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**»(٢).

ومن هنا كان غياب النصيحة، وترك الأمر والنهي، عائقا في سبيل الحفاظ على الأمة الإسلامية، ومشكلة من المشكلات في طريق القوة والتقدم، وسببا من أسباب استحقاق اللعنة من الله تعالى في الدنيا

---

(١) سنن الترمذي، باب ما جاء في الإحسان والعفو، حديث رقم ١٩٣٠، وقال عنه الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لا نَعْرِفُهُ إِلا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

(٢) صحيح البخاري، حديث الباب.

والآخرة، قال تعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾، (المائدة، الآيات: ٧٨- ٨٠).

٧ - الربط بين حقيقة الإسلام وصورة المسلمين:

يمثل المسلمون المظهر المعلن عن الدين الإسلامي في هذا الوجود على مر التاريخ والزمان، ومن هنا فقد تكفل الله تعالى بالحفاظ على طائفة مؤمنة تحمل الدين إلى يوم القيامة، فعن مُعَاوِيَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعت رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «**لا تَزَالُ طَائِفَةٌ من أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللَّهِ لا يَضُرُّهُمْ من خَذَلَهُمْ أو خَالَفَهُمْ حتى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ على الناس**»[1].

ومع عصمة الدين الإسلامي في مصادره التشريعية، ونصاعة صورته الحقيقية التي أتمها لنا رب العزة والجلال وأكملها ورضيها لنا، فإن المسلمين الذين يعتنقونه ويهتدون بهديه في اجتهاداتهم وأعمالهم ليسوا معصومين كعصمته، وإنما تتخللهم القوة والضعف، والصواب والخطأ، والاجتماع والتفرق، والتقدم والتخلف، والمرونة والجمود ...

ومن هنا كان الربط بين حقيقة الإسلام وصورة المسلمين في أي عهد

(١) صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، باب قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم، حديث رقم ١٠٣٧، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

وزمان بعد عهد النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عائقا أمام نهضة الأمة الإسلامية.

ثالثا: ما يتعلق منها بالإنسان ومكوناته:

١ - تمكن المهلكات الثلاث: (شح مطاع وهوى متبع، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه):

من المعوقات الخطيرة التي ظهرت في الأمة، ما صرح به النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، في حديثه المشهور: «**بَلْ ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنَاهَوْا عَنْ الْمُنْكَرِ حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا وَهَوًى مُتَّبَعًا وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ فَعَلَيْكَ يَعْنِي بِنَفْسِكَ وَدَعْ عَنْكَ الْعَوَامَّ فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ الصَّبْرُ فِيهِ مِثْلُ قَبْضٍ عَلَى الْجَمْرِ لِلْعَامِلِ فِيهِمْ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِهِ**»[1].

وقد استشرت هذه المهلكات الثلاث في بعض شرائح الأمة الإسلامية، فأسهمت في بروز عدد من المعوقات والإشكالات، ومنها:

أ - التمحور حول الذات والانغلاق عليها:

فالإنسان الذي تتضخم ذاته ونفسه، وتعظم في نظره جماعته وحزبه، ويسيطر عليه هواه وتوجهاته، ينغلق على نفسه، ويتحزب حول أهله، ويدور مع ذاته، لا يرى غيره، ولا يعترف بأحد سواه...

بل يحجر على غيره من المشاركين له في الدين، والعاملين معه تحت

---

(١) الحديث عن أبي ثعلبة الخشني، سنن أبي داود، باب الأمر والنهي، حديث رقم ٣٧٧٨، وسكت عنه.

لوائه، والحاملين معه للأمانة، والمكلفين وإياه بالرسالة، القيام بدورهم، فلا مكان لهم لديه، ولا مجال لفكرهم عنده، ولا تقدير لنشاطهم وجهودهم في نظره، بل لا يجدون منه إلا التجاهل أو الإبعاد، والإقصاء أو الإلغاء.

فالأمة عنده جماعته وحزبه، والرسالة لديه ما يقوم به وقومه، والحق في تصوره ما عليه هو وقادته، والأولياء الأتقياء الأصفياء هم رموز جماعته وحركته، لا يسمع من غيرهم، ولا يفيد من سواهم، ولا يرضى أن تناقش أفكارهم، أو أن تقيم أعمالهم، أو أن تنتقد أنشطتهم ومشاريعهم.

ب - الولاء والانتماء على أساس الهوى:

فالإنسان الذي وقع في هذه المهلكة يتحول الولاء لديه إلى ما يهوى ويتبدل الانتماء عنده إلى ما يحب، فاستأثر بنفسه وحزبه دون إخوانه، وانعزل عن قومه وأمته مع أفراد من جماعته، فكان سببا في الشقاق والتفرق، وأداة من أدوات التمزق والتناحر.

وقد حذر الله تعالى من ذلك فقال جل شأنه: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾، (التوبة، ٢٤)، وقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»[1].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب حب الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم من الإيمان، حديث رقم ١٤.

قال النووي – رحمه الله -: «قال الإمام أبو سليمان الخطابي: لم يرد به حب الطبع، بل أراد به حب الاختيار، لأن حب الإنسان نفسه طبع، ولا سبيل إلى قلبه، قال فمعناه: لا تصدق في حبي حتى تَفنى في طاعتي نفسُك، وتؤثرَ رضايَ على هواك وإن كان فيه هلاكُك»[1].

ت - الانشغال بالدنيا عن الدين:

فمع توسع المسلمين في هذه الحياة، وكثرة ما أفاضت عليهم من نعمها وملذاتها، ومن خيراتها وشهواتها، انحاز إليها كثير من المسلمين، حتى جعلت منهم عشاقا لها، تهفوا إليها قلوبهم، وتتطلع نحوها نفوسهم، وتسعى إليها عقولهم وأجسادهم، فأصبحوا لها عبادا...

أفسدت عليهم عقولهم، وأغلقت قلوبهم، وبلدت مشاعرهم وأحاسيسهم، وأصبحت همهم وشغلهم، لا يفكرون إلا فيها، ولا يتوجهون إلا نحوها، ولا يعملون إلا من أجلها، فهي ميدان العزة والكرامة، وهي معيار السيادة والنجابة، وهي مضمار التنافس والتسابق، وهي حقيقة النجاح أو الفشل...

نسوا الأمانات التي تحملوها، ونسو المهمات التي تكلفوها، وشغلوا عن واجباتهم ومسؤولياتهم، حتى أصبح كثير منهم كالأنعام بل هم أضل سبيلا...

وقد حذر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من هذه الظاهرة الخطيرة، فعَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(1) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب وجوب محبة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أكثر من الأهل، المجلد ١، ج٢، ص ١٥.

«يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ وَلَيَنْزَعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ الْوَهْنَ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»[1].

كما بين صلى الله عليه وعلى آله وسلم خشيته من هذا الداء الذي يصيب أمته، فعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنِّي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَرَطٌ وَأَنَا عَلَيْكُمْ شَهِيدٌ وَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْحَوْضُ وَإِنِّي لأَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ مَقَامِي هَذَا وَإِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوهَا»**[2].

ث - التأثر بالمصالح والأهواء الخاصة وجاذبيتها:

فالإنسان بطبيعته تؤثر فيه الأهواء والشهوات، وتستميله المصالح والرغبات، حتى تخرجه عن التوازن والصواب، قال تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾، (ص، ٢٦)، وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«حُبُّكَ الشَّيْءَ يُعْمِي وَيُصِمُّ»**[3].

---

(١) سنن أبي داود، باب في تداعي الأمم على الإسلام، حديث رقم ٣٧٤٥، وسكت عنه.

(٢) صحيح البخاري، باب غزوة أحد، حديث رقم ٣٧٣٦.

(٣) سنن أبي داود، باب في الهوى، حديث رقم ٤٤٦٥، وسكت عنه.

بل إن الأهـواء إذا استحكمت بصاحبها جعلته لها أسيرا، ولتلبية ميولها عبدا، فعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ رضي الله عنه أَنَّهُ قَامَ فِيهِم رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «**أَلا إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً وَإِنَّ هَذِهِ الْمِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَهِيَ الْجَمَاعَةُ**»، زَادَ ابْنُ يَحْيَى وَعَمْرٌو فِي حَدِيثَيْهِمَا: «**وَإِنَّهُ سَيَخْرُجُ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الأَهْوَاءُ كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ لِصَاحِبِهِ**» وَقَالَ عَمْرٌو: «الْكَلْبُ بِصَاحِبِهِ لا يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ وَلا مَفْصِلٌ إِلا دَخَلَهُ»[1].

ومن هنا سمى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من اتبع هواه بالعجز، فعن شَدَّاد بْن أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ**»[2].

غير أن المؤمن يتميز عن غيره بالتحكم في أهوائه، والتوجيه لعواطفه وميوله وفقا لما يرضي الله سبحانه وتعالى، وما يتوافق مع سنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وقد وعد الله تعالى من ضبط هواه بجنته ورضاه، فقال جل وعلا: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾، (النازعات، الآيتان: ٤٠- ٤١).

---

(١) سنن أبي داود، باب شرح السنة، حديث رقم ٣٩٨١، وسكت عنه.

(٢) سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، حديث رقم ٢٣٨٣، وقال عنه الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

٢ - الاستجابة للضغوط المتنوعة:

إن طريق الخير والصلاح، وسبيل الرشد والفلاح، محفوف بالمخاطر والضغوط والعقبات، سواء كانت تلك الضغوط نفسية أم فكرية أم جسدية، فإنها تمثل عائقا في طريق النهضة الإسلامية، ولا سيما إن تأثر بها حامل الرسالة، ومؤدي الأمانة، لأنها تحيد به عن جادة الصواب، وتنحني به إلى سبل الخطأ والضلال.

ولهذا كان الثبات على الحق والهدى مطلبا وواجبا شرعيا، وفضيلة ومكرمة دينية، ومنحة وعطاء ربانيا، قال جل شأنه: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾، (إبراهيم عليه السلام، ٢٧).

وقد حذر الله تعالى من الاستجابة للضغوط، والعدل من أجلها عن الحق والهدى، فقال سبحانه: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾، (النساء، ١٣٥).

وعَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تَكُونُوا إِمَّعَةً تَقُولُونَ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا وَإِنْ أَسَاؤوا فَلا تَظْلِمُوا**»[١].

---

(١) سنن الترمذي، باب ما جاء في الإحسان والعفو، حديث رقم ١٩٣٠، وقال عنه: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لا نَعْرِفُهُ إلا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

٣ - ردة الفعل دون ترشيد:

فمن الأخطار العملية التي يقع فيها بعض المسلمين اليوم، القيام بأعمال وأنشطة وبرامج مبنية على ردة فعل آنية من حدث أو واقعة أو مقال أو موقف، متجاوزين بذلك ما خصهم الله تعالى به من منهجية سليمة في تناول مثل هذه الأمور، ابتداء من التثبت والتأكد، ومرورا بالدراسة والتحليل، وانتهاء بالعمل والممارسة والتنفيذ.

قال تعالى موجبا التبين والتثبت على الناس: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ۝٦﴾، (الحجرات، ٦)، وقال أيضا موجها إلى التحليل والدراسة: ﴿لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ۝١٢﴾، (النور، ١٢).

ومع ذلك فما يزال بعض المسلمين يقع في ردة الفعل دون ترشيدها، حتى أصبحت سمة لعدد من الناشطين في العمل الإسلامي من أفراد الأمة وجماعاتها، مما يميز عملهم بالسطحية والعفوية، فلا يدومون إلا قليلا، ولا يستمرون إلا نادرا، إما لتبلور الأمور لديهم، أو لتوجيه الضربات القاضية عليهم.

٤ - الفرقة والاختلاف:

من أمراض العصر المستشرية في الأفراد والجماعات الإسلامية عامة، الفرقة والتمزق، والاختلاف والتشتت، وهذا ما أشار إليه النبي

صلى الله عليه وعلى آله وسلم بقوله: «**سَأَلْتُ رَبِّي ثَلاثًا فَأَعْطَانِي ثِنْتَيْنِ وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً، سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْغَرَقِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَمَنَعَنِيهَا**»(١).

فمع كثرة المبادئ والثوابت والأسس والمرتكزات التي توحد المسلمين، وتعدد الغايات والأهداف التي تجمعهم، وتنوع المتطلبات والاحتياجات الدينية والدنيوية التي تدعوهم إلى الوحدة والتعاون، والاعتصام والتكامل، إلا أن بعضهم يقع فيما يحذر.

فتراهم متأثرين بجزئيات خلافية فرعية، متحيزين إلى رؤى اجتهادية فكرية وحركية، متجاوزين حدود الشارع وتوجيهاته، منحازين إلى ذواتهم ومصالحهم، منجرين إلى مصائد وشباك أعدائهم.

وبهذا يضيعون الأمانة التي حملوها، ويقصرون في أداء الرسالة التي كلفوها، ويكونون عونا لأعداء الدين، وجنودا من جنود الشياطين.

قال المستشار علي جريشة – حفظه الله -: «والرأي إن كان خاطئا فهو خطيئة، والإصرار عليه كذلك خطيئة، كأن يكون مصادما لنص قطعي، أو لمعلوم من الدين بالضرورة، أو لما هو موضع إجماع، وهذا أمره سهل. ويكون الرأي خطأ إن كان دون ذلك، وهذا أمره سهل كذلك، لكن الصعب في الحالين الآخرين، أن يكون الرأي مرجوحا، أو أن يكون راجحا، والرأي المرجوح أضعف من الراجح، ومن ثم فعلى صاحب المرجوح أن يخضع للراجح، لأن دليله أقوى، والرأي الراجح أقوى من المرجوح

(١) صحيح مسلم، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، حديث رقم ٥١٤٥.

لأن دليله أقوى. ومع ذلك فعلى صاحبه أن يتنازل عنه إلى المرجوح إن كان تمسكه بالراجح يؤدي إلى الفتنة، فالاجتماع على المرجوح خير من الافتراق على الراجح...»[1].

وقد جاء التحذير الرباني الصريح من التفرق والاختلاف، حيث قال جل شأنه: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥)﴾، (آل عمران، الآيتان: ١٠٤- ١٠٥).

٥ - الافتقار إلى القدوات العملية:

إن أعظم خصائص الدين الإسلامي أن جعله الله تعالى دينا مقروءا ومنظورا، كما تقدم، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم برسالته وسيرته مرجعا نظريا، وقدوة عملية لكافة المسلمين، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١)﴾، (الأحزاب، ٢١).

فكم من أناس أعجبوا بسيرته قبل أن يسمعوا رسالته، وكم من أعداء لرسالته التي سمعوها تبدلت أحوالهم لما رأوا سيرته.

ومن هنا فقد حفظ الله تعالى دينه المنظور، وحفظ الطائفة الناجية المنصورة، على مر الأزمان والدهور، ليكون البلاغ أعظم، والبيان أكبر، فلا يبقى بعد ذلك حجة لأحد أمام الله تعالى وأمام خلقه.

---

(١) دعوة الله بين التكوين والتمكين، للدكتور علي جريشة، ص ٢٥- ٢٦، سلسلة أقيموا شريعة الله، رقم ٦، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

وإن الناظر في الساحة الإسلامية اليوم، والتي تشهد انفصاما بين النظرية و التطبيق، يلحظ ندرة في وجود القدوات العملية، بكافة مستوياتها وفئاتها، وعلى مختلف تخصصاتها ومجالاتها، مما انعكس على نظرة عامة المسلمين إلى دينهم وأمتهم، لربطهم بين سلوك علمائهم ومفكريهم ودعاتهم وبين الدين الذي يدعون إليه ويبلغونه للناس ويعلمونهم إياه ويسعون إلى تطبيقه في حياتهم.

بل تجاوز الأمر ذلك ليؤثر في علاقة المسلمين بغيرهم، فكم من مواقف وأحداث معاصرة تؤكد هذا الأثر الكبير لتباين الأقوال والأفعال، مما أسهم في تكالب الأعداء وتوجه النقد والغضب والإساءة إلى الإسلام ومقدساته.

وقد جاء النقد والتحذير من هذا التباين بين القول والعمل، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣﴾، (الصف، الآيتان: ٢- ٣).

وعَنْ أَبِي وَائِلٍ عن أُسَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «**يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ، يَقُولُونَ: أَيْ فُلانُ مَا شَأْنُكَ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنْ الْمُنْكَرِ قَالَ كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلا آتِيهِ وَأَنْهَاكُمْ عَنْ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ**»[1].

---

(١) صحيح البخاري، باب صفة النار وأنها مخلوقة، حديث رقم ٣٠٢٧.

٦ - الخضوع والرضا بالواقع المؤلم وعدم التعامل معه بشكل مبرمج مخطط مرحلي:

من الأمراض والعوائق البشرية التي تنخر في جسد الأمة الإسلامية استسلام بعض أفرادها للحال التي يعيشونها، وتسليمهم بالواقع المر الذي يحيط بهم، وركونهم إلى المعطيات المعتادة لديهم، دونما محاولة للمعالجة والتغيير، أو توجه نحو التحسين والتطوير.

فلا تتوفر لديهم الدراسات الواقعية المناسبة التي تعينهم على التعامل مع واقعهم بفاعلية، ولا تتيسر لهم العقول التي تعينهم على التخطيط لمستقبلهم بمهنية، فيعيشون على الحال التي عاش عليها من سبقهم، بل ربما ساءت بهم الأمور أكثر مما كان في أسلافهم، وبهذا يعمقون الخلل الذي لحق بهم، ويفتحون المجال لمزيد من الأذى الناتج عن تقصيرهم، والمتولد عن سبق غيرهم.

وقد بين الله تعالى أن من شأن المؤمنين عدم الخضوع واليأس والخور، فقال جل وعلا: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْأَخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، (آل عمران، الآيات: ١٤٦ -١٤٨).

٧ - التعامل السلبي وكتم الزاوية الإيجابية:

نظرا لكثرة ما يصيب المسلمين من أذى، وما يحل بهم من مصائب، وما يحاك ضدهم من حيل، فقد اختلت معايير النظر لدى كثير منهم، لتتوجه أنظارهم وعقولهم وجهودهم في كثير من الأحيان نحو الجوانب السلبية التي يشهدونها من الحادثات، فلا يرون حولهم إلا شرا، ولا يتذوقون إلا مرا، ولا يستشعرون إلا حسرة وضيقا.

مع أن كل حادثة في الدنيا مهما كان شرها عظيما إلا أن لها جانبا خيرا، ومهما كان أذاها كبيرا إلا أن لها فائدة لطيفة، فليس في الدنيا خير محض ولا شر محض.

قال سبحانه: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾، (البقرة، ٢١٦).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ**»[1].

ومن القصور والخلل أن ينشغل الإنسان بجانب الشر والأذى، بحيث يملأ نظره وتفكيره، ويستغرق حركته ومسيرته، دونما نظرة فاحصة عن الخير والفائدة، تستنبطها من خلال الشر والأذى، تحول المسار نحو التعامل الإيجابي معها، فتوجه التفكير الثاقب نحو استثمارهما، وتحرك الجهود الدؤوبة نحو تفعيلهما، أملا في تخفيف الشرور والأذى، ورغبة

---

(١) صحيح البخاري، باب الوصية بالنساء، حديث رقم ٢٦٧٢.

في نشر الخير والفائدة، فكم من خير انقلب على أهله شرا، وكم من شر تحول عند أهله خيرا.

٨ - هجرة العقول المبدعة:

نظرا للظروف الداخلية الصعبة التي تواجهها العقول المبدعة من جهة، وتهيئة الأجواء الخارجية لها والترحيب بها، وتقديم الحوافز لها، من جهة أخرى، فقد بدت ظاهرة هجرة العقول الإسلامية كمعوق من المعوقات التي تتسبب في الإخلال بالكيان الإسلامي العام، بل ربما أسهمت في تعزيز القوى الأخرى التي تقف محايدة من الأمة الإسلامية أو معادية لها أحيانا.

٩ - ضعف الحصانة الداخلية:

من المعوقات الخطيرة التي أصابت كثيرا من المسلمين ضعف المناعة الذاتية، التي تحميهم من الوقوع في الخلل، أو الوقوع تحت وطأة الأمراض المنتشرة في المجتمعات البشرية، النفسي منها والفكري والتربوي، مما خلف فراغا لدى كثير من أفراد الأمة الإسلامية فتح المجال أمام ما يفد إليها من غيرها وإن كان مخالفا لعقيدتها وأخلاقها وقيمها.

ومن هنا وقع العديد من المسلمين في شر اتباعهم لشهواتهم، واستجابتهم لأنفسهم الأمارة بالسوء، وانجرارهم وراء التيارات المختلفة الفكري منها والسلوكي، كما تقبل هؤلاء الحضارات الفاسدة، وأعجبوا بها، ووقعوا في وطأة التأثر بها، والتقليد الأعمى لها..

وكما كانت الحصانة الإيمانية ضعيفة عند هؤلاء المتلقين للحضارات

الفاسدة، فقد ظهرت فئات أخرى من المسلمين ضعفت لديها الحصانة العلمية، فتجاوزت الحدود، وأخلت بالقيم، وكسرت المبادئ والثوابت، وضيعت المقاصد، وتعلقت ببعض المتغيرات السطحية، بحجة نصرة الدين، والذود عنه، والدعوة إليه.

●●●●●

المبحث الثاني

المعوقات الخارجية لنهضة الأمة الإسلامية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول

المعوقات الخارجية في إطار الكون والحياة

المطلب الثاني

المعوقات الخارجية في إطار الدين أو المنهج الإسلامي

المطلب الثالث

المعوقات الخارجية في إطار الإنسان

المبحث الثاني

المعوقات الخارجية لنهضة الأمة الإسلامية[1]

إن سنة التدافع بين الناس التي حدثنا عنها القرآن الكريم، تشير إلى وجود تنافس وتسابق وتعاون وتصارع بين القوى المختلفة، لتحقق غاياتها وأهدافها، ولتظهر على غيرها، قال جل شأنه: ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾، (البقرة، ٢٥١).

ومن هنا كانت قوى الشر والباطل عائقا في طريق النهضة الإسلامية، فمع وجود مجال للتعاون والتقارب بين القوى المختلفة في حق مشترك، يتفق عليه الجميع، ويعمل من أجله الناس كافة، إلا أن هناك مجالات تتباين فيها القوى تباينا شديدا لا يمكن معه التقارب ولا التعاون ولا التوافق، لأنه مسألة حق أو باطل، فلا محالة إلا أن يتصادم ويتصارع.

والله تعالى جعل دعاة إلى الخير يجتمعون عليه ويعملون من أجله ويجاهدون في سبيله، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾، (المائدة، ٥٦)، كما سخر شياطين من الإنس والجن، تنشر الشر والباطل، وتعمل على إفشائه بين الناس، قال جل شأنه: ﴿ ٱسْتَحْوَذَ

---

(١) انظر كتاب المدخل إلى علم الدعوة، لمحمد أبو الفتح البيانوني، ص ٣٦٧، وانظر كتاب نحو فهم أعمق للواقع الإسلامي، للدكتور عبد الكريم بكار، ص ١٣٠- ١٣٩، سلسلة المسلمون بين التحدي والمواجهة، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾، (المجادلة، ١٩)، وبهذا تتشكل قوى التدافع بين الناس، ليتحقق التوازن في الكون، وليمحص الله الحق ويظهره، قال جل شأنه: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾، (الأنبياء، ١٨).

فلا عجب أن نرى أمما من الناس تلتف حول بعضها، وتجمع قواها لمواجهة الإسلام والمسلمين، وإن اختلفت هذه الأمم في حضاراتها وثقافاتها وأديانها، على مر الأزمان والعصور، لأن الدين الإسلامي هو الحق المطلق الذي ارتضاه الله للناس، وما عداه فهو الباطل الذي أخبرنا الله تعالى بذهابه وإزهاقه، ومن هنا كانت المعوقات الخارجية عقبة أمام النهضة الإسلامية، قال جل شأنه: ﴿۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًاۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾، (آل عمران، ١٨٦).

قال الغزالي – رحمه الله –: «إن الهجوم المعاصر على ديننا أخذ شكل مروحة، فهو شامل مستوعب يتناول كل شعب الإيمان من النطق بكلمة التوحيد إلى إزالة الأذى عن الطريق، وهو في رأيي أخطر هجوم تعرض له ديننا في تاريخه المجيد»[١].

ونظرا لطبيعة الموضوع فأرى من المناسب تقسيم المعوقات الخارجية

---

(١) الدعوة الإسلامية في القرن الحالي، ص ٩٧.

وفقا لعناصر التفاعل الحضاري الثلاثة: الكون والحياة، والدين والمنهج، والإنسان، كي نتبين موقف غير المسلمين ولا سيما أعداء الأمة الإسلامية، ولنرصد بعضا من مظاهر مكرها بالإسلام والمسلمين من خلال هذه المحاور، بعيدا عن الوقوع في نظرية المؤامرة كشماعة تعلق عليها الأخطاء والإخفاقات، ولكنها الحيطة والحذر ونسبة الأحداث إلى مسبباتها، لتلمس سبل العلاج لها، وقد قال رب العزة والجلال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ﴿٧١﴾ ﴾، (النساء، ٧١).

●●●●●

المطلب الأول

المعوقات الخارجية في إطار الكون والحياة

١ - التفوق الكبير للأعداء في مجال المعارف الكونية:

يشهد الواقع بالقدرة الكبيرة التي تفوق فيها الأعداء على المسلمين في تمكنهم من المعارف الكونية، سواء بجهود رجالاتهم أم بجهود من استوعبوهم في مؤسساتهم من كفاءات ومهارات إسلامية.

ففي كل يوم نسمع اكتشافا أو أكثر، وفي كل لحظة يطلع علينا اختراع أو أكثر، وما نزال نشاهد الإبداع والتوسع في المعارف الكونية، في جميع مجالات الحياة وأبعادها، حتى كاد الأمر يتجاوز الخيال المتوقع، والتقدير المتاح، ليشمل آفاقا جديدة في المعرفة لم يشهدها عصر من العصور، وكما من المعلومات لم يعرفها جيل من الأجيال، حتى سمي العصر بعصر الثورات المعرفية والمعلوماتية.

ومما يؤسف له أن قدم السبق في كل ما سبق أو في أكثره كان للأعداء، والمسلمون لهم تبع، مما جعل هذا الخير الكبير الذي حازه الأعداء عائقا أمام المسلمين.

٢ - امتلاك القوة والسيطرة على القوى المعرفية والكونية والاحتفاظ بها:

باعتبار سبق الأعداء للوصول إلى جل المعارف الكونية والمعلومات الحياتية، فقد كان لهم قدم السبق في تملكها، واحتكارها، والسيطرة

عليها، والاحتفاظ بها، وعدم فتح المجال للآخر إلا في إطار مدروس، ومجال محدود، وأفق مراقب.

فليس للدارس المسلم أن يتعرف على كل ما وصلوا إليه، وليس للمؤسسات العلمية والبحثية الإسلامية أن تحظى بكل ذلك، ولا للأمم والمجتمعات الإسلامية أن تمتلك ما تشاء من ذلك، ولا أن تتنعم به إلا وفقا للمعايير المحددة، والمقادير المسموح بها، ليبقى التسلط والتمكن لهم خاصة، ويبقى المسلمون لهم تبع ومستهلك.

٣ - استغلال القوة الكونية وتسخيرها في الاتجاه المخالف:

العلم الكوني نعمة من نعم الإله على عباده، ولكنه إن وضع في أيد خبيثة كان نقمة على الإنسان مهما اختلفت عقيدته، وتعددت ثقافته، حيث تسخر تلك الإمكانات في الاتجاه الخاطئ، الذي يخدم مجموعات محددة، يحقق لها السيادة، ويوصلها إلى الريادة، ويؤهلها من القيادة...

لا تراعى في كل ما سبق ملة ولا عقيدة، ولا نفسا ولا روحا، ولا تشريعا ولا قانونا، ولا قيما ولا خلقا...

وبهذا تقوى جنود الشر والباطل، وتعزز جهود شياطين الإنس والجن، لتشكل في مجموعها عائقا هائلا أمام المسلمين، بل تشكل خطرا محدقا بهم.

٤ - الاتفاق والتوافق مع الشركاء في القوة الكونية ضد المسلمين:

مع تملك الأعداء لزمام القوة الكونية، واحتكارهم لها، وتسخيرها في الاتجاه السلبي، فإنهم تكاتفوا عليها، وتعاونوا في سبيل ذلك، لأن العداء ملة واحدة، والشر اتجاه واحد، والباطل قضية مشتركة.

وصدق النبي الكريم صلى الله عليه وعلى آله وسلم، حيث قال: **«يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كما تَدَاعَى الأَكَلَةُ إلى قَصْعَتِهَا ...»**[1].

فلا سبيل إلى مواجهة الحق وأتباعه إلا بتكاتف القوى الباطلة، لأن الحق منصور، والباطل زاهق، ولا يمكن أن يطول عمر الباطل إلا بالتعاون والتكاتف والتظاهر، ومن هنا كان الأعداء يمثلون عدوا مشتركا ضد الإسلام وأهله، تعقد من أجله الاتفاقات، وتشكل في سبيله الهيئات، وتسخر له الكفاءات والمهارات.

٥- السيطرة على المقدرات الكونية للأمم والشعوب الضعيفة:

من ثمرات السبق المادي والمعرفي، والتملك لقوى الحياة المادية المختلفة، والاتفاق على توجيهها في سبيل الشر والسيطرة فيما بين المشتركين فيها، فقد أصبحت الأمم والشعوب الضعيفة فريسة لتلك القوى الماكرة، تسيطر على مقدراتها، وتملك ثرواتها، وتدير شؤونها، وتتوافق في تقاسمها.

والواقع يشهد الضغط السياسي والإدراي، والتمكن والتحكم العلمي والصناعي، والاحتكار الاقتصادي، والتوجيه العسكري، والغزو الاجتماعي، والسطو الإعلامي، والفن الدعائي..

ومن مجموع ذلك تتشكل المعوقات والعقبات في طريق النهضة الإسلامية.

---

(١) عن ثوبان رضي الله عنه، سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، باب في تداعي الأمم على الإسلام، حديث رقم ٤٢٩٧، وسكت عنه، دار الفكر.

٦- اختلاق الفتن والأزمات:

من الجهود الخارجية التي شكلت عائقا أمام النهضة الإسلامية كثرة الفتن وانتشار الأزمات، فلا يكاد المسلمون يخرجون من محنة إلا وتتبعها أخرى، ولا ينفكون من أزمة إلا وتأسرهم غيرها، ومع غموض الحق وإقصائه في أجواء المحن والفتن والأزمات، يتخبط الناس في حياتهم، ويختلفون في إدراكاتهم، حتى تحدق بهم الأخطار والمهالك.

فيغرق كثير من المسلمين فيها، وتضيع كثير من الجهود بسببها، ويتفرق المسلمون في تعاملهم معها، مما يضعف مكانتهم، ويذهب قوتهم، ويشتت تعاملهم مع الكون والحياة.

٧- زرع الكيانات الغريبة داخل المجتمعات الإسلامية:

من أبرز المشكلات وأعقدها ما قام به الأعداء من زرع ودعم أجسام خطيرة غريبة في داخل الجسد الإسلامي للأمة، أجسام لا تتقارب مع المسلمين في عقيدة ولا قيمة، ولا ترقب فيهم إلا ولا ذمة، ومن ثم قام الأعداء بدعم هذه الكتل الخبيثة بالعون والإسناد، والدعم والإمداد، لتشكل عائقا خطيرا في جسد الأمة الإسلامي.

فكم تفرق المسلمون في مواقفهم من هذه الكتل المفروضة عليهم، وكم تباينت وجهات النظر في التعامل معها، وكم شغل المسلمون بها عن أداء واجبات أخرى منوطة بهم، ولا أدل على ذلك من مجموعة اليهود الذين زرعوا في أرض مقدسة طاهرة، تمثل قيمة دينية وتاريخية لجميع المسلمين، وما يزال المسلمون يعانون من تبعات هذا الجسد الغريب، وما زالوا يكابدون آثاره الوخيمة عليهم جميعا.

٨ - إثارة النعرات العرقية والمذهبية والطائفية والدينية:

جاء الإسلام محاربا مظاهر التفرق والنزاع، ونوازع التمزق والخلاف بين أفراد المسلمين وجماعاتهم، ونجح النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في توحيد الصفوف وجمع الكلمة نجاحا باهرا، جعل الله تعالى ذلك منة منه على المؤمنين، ونعمة مسداة منه إليهم، ثم جاء النداء الرباني العظيم بالاعتصام والتمسك بالحبل المتين، حيث قال رب العالمين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾، (آل عمران، الآيات: ١٠٢-١٠٣).

إلا أن قوى المكر والخداع، وحبائل الشر والشيطان، تنبهت لهذه النعمة العظيمة، فأفسدتها على كثير من الناس، فأثارت بينهم الشحناء والبغضاء، ونشرت بينهم التعصب والتكبر، فأثارت التفرق المذهبي، وحركت التباين العرقي، وأججت الاختلاف الفكري والحركي، وفعّلت التنوع الطبقي، حتى وقع كثير من الناس في شراكهم، فأصبحوا متفرقين مختلفين، بل متواجهين ومتقاتلين.

كما تشكل من هذا الخلاف والتباين في أطره المتنوعة عقبات في طريق نهضة الأمة الإسلامية، وعوائق في طريق وحدتها وقوتها، بل أصبح هذا التنازع طريقا ومدخلا للأعداء، ليزيدوا من مكرهم وتسلطهم، ويعززا سيطرتهم وتمكنهم.

المطلب الثاني

المعوقات الخارجية في إطار الدين أو المنهج الإسلامي

١ - الحقد والكراهية:

إن الحقد والكراهية من المعوقات القلبية التي يكتمها الأعداء، وربما تظهر عليهم علاماتها، ومن هنا فإن الله تعالى قد سطر هذا المعوق في كتابه العزيز، ليكون حقيقة من الحقائق التي لا تحتمل تأويلا، ولا يفتح المجال أمام نفيها أو تحييدها، لأن الله تعالى أعلم بما في قلوب العباد، وهو خبير بذات الصدور، وهو الذي قال في كتابه العزيز: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾، (البقرة، ١٠٩).

وقال أيضا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾، (آل عمران، الآيات: ١١٨- ١٢٠).

٢ - محاولات القضاء والإقصاء:

مما يشهد له التاريخ على مر العصور والأزمان قيام أهل الباطل وحزب الشيطان بمحاولات التعبير عن حقدهم وغيظهم على الإسلام وأهله، وذلك بمحاولة القضاء على كل ما يتصل بالإسلام وأهله، من كتاب وسنة، ورموز وقادة، وتراث وحضارة، فكم من معارك وحملات، وكم من مؤامرات ومؤتمرات قامت ضد الإسلام والمسلمين، وكم من إمكانات سخرت لإقصاء الإسلام والمسلمين...

لا يراعون في ذلك دينا ولا تشريعا، ولا عهدا ولا ذمة، ولا حقا ولا قرابة، قال سبحانه: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ ۚ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾﴾، (التوبة، الآيات: ٨-١٠).

وتتوالى الآيات القرآنية في رصد حقيقة ما يجيش في صدور الأعداء، وما تكسبه أيديهم في سبيل القضاء على الإسلام وأهله أو إقصائه، ومن ذلك قول الحق جل شأنه: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾، (البقرة، ١٤٦)، وقال أيضا: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ

ﭐلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾، (التوبة، الآيات:٣٢- ٣٣)، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾، (الأنفال: ٣٦)، وقال أيضا: ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾، (الأنفال، الآية:٣٠)، وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ﴿١٦﴾﴾، (الطارق، الآيات:١٥- ١٦)...

ومع كل ذلك الكيد والعداء، والبذل في سبيل القضاء أو الإقصاء للإسلام والمسلمين، يخبرنا جل شأنه بذهاب كيدهم، وخوار عزيمتهم، وتلاشي إمكاناتهم، لأنه تعالى الحق المبين، الناصر لعباده المؤمنين، حيث قال: ﴿لَن يَضُرُّوكُمۡ إِلَّآ أَذٗىۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمۡ يُوَلُّوكُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿١١٢﴾﴾، (آل عمران، الآيات:١١١- ١١٢).

٣ - محاولات التشويه والتزوير:

بعد فشل الأعداء في القضاء والإقصاء للإسلام وأهله، حاولوا إيجاد بدائل تخدم أهدافهم وتحقق غاياتهم، ومن الخطط والأساليب التي ابتدعها الأعداء لإعاقة المد الإسلامي، التشويه والتزوير، فقد سخروا

لذلك رجالات من أكبر مفكريهم، وأخبر علمائهم، ليرصدوا الدين الإسلامي، ويحاولوا دس السم والفتنة في أصوله وثوابته وأركانه...

بل توسعوا في ذلك حتى سخروا لخدمتهم ضلالا من المسلمين، كانوا لهؤلاء سلاحا سليطا، ويدا متينة، يتَسَمّون بأسماء المسلمين، ويتكلمون باسمهم، سُمّوا بالمغتربين، ولكنهم نسخ مهجنة من المستشرقين...

فكم من مستشرق بذل جهده في سبيل ذلك، وكم من مؤسسة وجهت طاقاتها وإمكاناتها لنشر ذلك، وكم من أموال صرفت من أجل تحقيق ذلك، والتاريخ شاهد على كل هذا، لم يتركوا من شرهم ومكرهم كتاب الله تعالى، ولا سنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ولا أصحابه الكرام البررة، ولا آله العترة الأطهار، بل تطاولوا على كل مقدس، وتجرؤوا على كل عظيم، وما تزال الأيام والليالي تطلع علينا بمكرهم ودهائهم، ولكن الله يأبي إلا أن يتم نوره.

قال جل شأنه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾﴾، (الصف، الآيات:٧- ٨).

٤ - محاولات التحييد والاختزال:

مع شعور الأعداء برسوخ الإسلام وقوته، وقناعتهم بأنه معجزة محفوظة، لم تفلح معها محاولات التشويه والتشكيك، ولم تنجح فيها جهود المستشرقين والمستغربين، كما كانوا يطمحون، فقد ابتدعوا خططا وأساليب أخرى، تسهم في تحقيق أهدافهم وغاياتهم، عبر التحييد والاختزال للدين الإسلامي وتشريعاته وقيمه.

فإذا بهم يفصلون بين الدين والحياة، وينشطون لترسيخ ذلك في نفوس المؤمنين، عبر غزو فكري مهين، وكيد خفي مشين، يخلطون في ذلك بين الحق والباطل، ويقيسون بين المفترقات، ويعبرون عن سبب نجاهم وتطورهم بمثل هذه الخطوات.

لم يعلموا حقيقة الدين، ولم يعترفوا بما علموه منه، ولكنهم طوروا جهودهم ليجعلوا من كثير من المسلمين أشكالا وصورا، ورسوما فارغة، لا تعي حقيقة الدين، ولا تستوعب مفهوم العبادة، ولا تتذوق القيم والمثل، إلا من رحم الله.

٥ - محاولات الإبدال والإحلال:

تتواصل جهود الأعداء في مواجهة الإسلام والمسلمين، رغم فشلهم في كثير من الخطط والأساليب التي رسموها، وعملوا عليها، وإن حققت لهم جزءا من أغراضهم، وبعضا من طموحاتهم، ليطلعوا على الأمة الإسلامية بمظاهر بديلة، وآليات جديدة، وبرامج متطورة، يمكن في نظرهم أن تكون عوضا عن النظم الإسلامية الظاهرة، والتشريعات التعبدية المطهرة، والبرامج التربوية المزكية.

فكم من جهود قامت لتغيير نظم إدارية، ومناهج تعليمية، وبرامج إعلامية، وآليات اقتصادية، لتتناسب مع ما جاء به الأعداء من باطل، يلبسون به الحق، ويخلطون فيه بين الأوراق، ويميعون الحدود والضوابط، حتى يسحبوا البساط، ويتسلموا الزمام، ويقودوا الأمم...

●●●●●

المطلب الثالث

المعوقات الخارجية في إطار الإنسان

١ - الاستلاب النفسي:

مهدت بعض القوى المعادية للمسلمين الأجواء العامة والخاصة لتجعل من المسلم مكمنا لكثير من الأمراض النفسية والقلبية القاتلة، التي تخرجه عن حقيقته الإيمانية، وتبعده عن ماهيته الإسلامية، وذلك من خلال الحروب النفسية الباردة، والغزو النفسي الممنهج، والخداع الماكر الخفي، وفقا لخطط مدروسة، وبرامج زمنية محددة، وآليات متنوعة مناسبة.

حتى أضحى بعض المسلمين يعاني انفصاما في الشخصية، وآخرون يعانون من موت في الأحاسيس العاطفية، وآخرون يشكلون سدا من اليأس والقنوط والخنوع والاستسلام، وآخرون مثبطين ومخوفين، وآخرون خائفين وجلين...

كأن عرى الإيمان قد نزعت من قلوب كثير منهم عروة بعد عروة، وكأن الران قد طبع على قلوب آخرين نقطة بعد نقطة، والتعلق بالدنيا تحكم في قلوب أخرى، والتوجس من الأعداء قد أذهل آخرين...

وهكذا، حتى أمست كثير من الشعوب الإسلامية تعاني من خواء نفسي، بل من مرض نفسي عضال، يشكل عائقا أمام النهضة الإسلامية، وقد سبق تفصيل لهذه الأمراض عند الحديث عن الأمراض النفسية التي أصابت كثيرا من المسلمين.

٢ - التحكم الفكري:

مع تفوق الأعداء في التمكن من المعارف والعلوم الكونية، وتدقيقهم في المناهج والطرق الفكرية والتعليمية، إلا أنهم سخّروا كثيرا من جهودهم للتأثير السلبي في عقلية المسلم، وطرق تفكيره، فتلاعبوا في المصطلحات، واختزلوها، واستلبوا الحقائق وشوهوها، واستوعبوا الكفاءات واحتكروها.

حتى جعلوا من كثير من المسلمين صورا حيوانية عاجزة في قدراتها العقلية، أو نماذج معاقة مختلة في تصوراتها الفكرية، أو أبواقا مسلوبة تابعة لهم في نشاطها الفكري.

وقل من المسلمين من يجهد نفسه بالتفكير والتأمل، ومن يتروى في التحليل والتفسير، ومن يستقل في الرؤى والتعبير.

حتى أصبح الجانب الفكري لدى كثير من المسلمين، عائقا أمام النهضة الإسلامية، وقد سبق الحديث عن عدد من الأمراض الفكرية التي أصابت بعضا من المسلمين.

٣ - التوجيه الحركي:

من أعظم الأخطار والعوائق التي استغلها الأعداء، وجعلوا منها سدا منيعا في سبيل النهضة الإسلامية، التحكم والتوجيه للحراك البشري الإسلامي، باسم العولمة أو بأسماء أخرى ابتدعوها.

فمع تجاوز أعداد المسلمين المليار عددا، إلا أنهم في الميزان الكيفي لا يتجاوزون المئات أو الآلاف، وذلك لتأثرهم بما نصبه الأعداء لهم من

حقد وكراهية، وحسد وبغضاء، ومكر وخداع، وتسلط واستعمار، مترجم إلى أوامر للتنفيذ، وتوجيهات للعمل، وإطار للحركة.

من استعصى عليهم شوهت صورته، وسلطت عليه القوى الماكرة، ووضعت في طريقه الحواجز المركبة، وألصقت به التهم الملفقة، وأنشئت لمواجهته الجنود المستنفرة، وصبت عليه الاضطهادات الجسدية، والتضييقات الحركية، والأحكام التعسفية.

ومن خضع وركن، وسلم واستسلم، فهو في نظرهم الحر الطليق وهو المسلم الصحيح، وهو الشخصية السوية التي يريدها الأعداء.

فأصبح المسلم في كثير من بقاع العالم، لا يملك عمله، ولا يقرر توجهه، ولا يتجاوز حدوده التي رسمت له، إنما يعمل وفقا للنظام الذي يلزمه، والتوجه الذي يحكمه، والإطار الذي يتاح له، همه في حركته ونشاطه أن يرضى عنه من أمر، ويسر منه من تجبر، ما دام يحصل على الطعام والشراب، والنوم كما ينام الحيوان، فينعم بما ينعم به الحيوان.

لا شعور بالمسؤولية في الحركة، ولا استقلال في التوجه والعمل، ولا سمو في التوجه والانطلاق، ولا اعتماد على الحقائق والإمكانات المتوفرة، بل ركون إلى الدنيا، وخنوع للشهوات، وخضوع للضغوطات، وتفرق وتشرذم من أجل المصالح والأهواء، والتزام بالأوامر، واستسلام للقوى، حتى أضحى بعض المسلمين معول هدم لأمته، يبرر بسلوكه تسلط أعدائه، وقد سبق الحديث عن عدد من الأمراض الحركية التي أصابت بعضا من المسلمين.

●●●●●

المبحث الثالث

سبل معالجة معوقات نهضة الأمة الإسلامية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول

سبل معالجة المعوقات المتصلة بالكون والحياة

المطلب الثاني

سبل معالجة المعوقات المتصلة بالدين والمنهج

المطلب الثالث

سبل معالجة المعوقات المتصلة بالإنسان

المبحث الثالث

سبل معالجة معوقات نهضة الأمة الإسلامية

أخبر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه ما من داء إلا وقد جعل الله تبارك وتعالى له دواء، فعن عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: **«لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»**[(١)].

ومن هنا فإن من حكمة الدعاة إلى الله تعالى أن يتلمسوا لأنفسهم ولأمتهم سبل العلاج مما ألم بها وبهم، سواء منها ما يتصل بالكون والحياة، أو المنهج والدين، أو الإنسان...

وفي هذا المطلب سأعرض بعضا من سبل العلاج المقترح لما سبق الحديث عنه من علل ومشكلات، وعوائق ومعوقات، لعل الله تعالى يأذن بإصابة الدواء، فيزول الداء، ويعم الشفاء، بل تكون أمة الإسلام محمية من كل داء بإذن الله تعالى. ولم أفرق في هذا المطلب بين سبل العلاج للمشكلات الداخلية أو الخارجية، لترابطها الوثيق، ولأن الضعف الوقائي الداخلي هو السبب الأبرز لدخول المشكلات الخارجية وتمكنها.

ومع إمكانية تلمس العلاج من خلال أوصاف سلبية موجودة، أو متطلبات إيجابية مفقودة سبق ذكرها في العلل والأمراض والمعوقات الداخلية والخارجية، إلا أنني أجد من المناسب ذكر أمهات العلاج وأطره العامة في مطلب خاص.

---

(١) صحيح مسلم، باب لكل داء دواء، واستحباب التداوي، حديث رقم ٤٠٨٤.

وقد قسمت الحديث عن معالم معالجة المعوقات سواء منها ما كان داخليا أو خارجيا إلى ثلاثة أقسام، وهي:

١. ما يتعلق بالكون والحياة.

٢. ما يتصل بالدين والمنهج.

٣. ما يرتبط بالإنسان.

●●●●●

المطلب الأول

سبل معالجة المعوقات المتصلة بالكون والحياة

١ - فهم السنن الكونية في الحياة:

ذرأ الله تعالى في كونه سننا وقوانين تحكم سير الحياة، وتوجه حركة الوجود، ولا سبيل إلى النجاح في الحياة الدنيا إلا بمعرفتها، والاهتداء بدلالاتها، قال سبحانه: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ ﴾، (آل عمران، ١٣٧)، كما جعل الله تعالى هذه السنن ثابتة مستمرة لا تتغير ولا تتبدل، قال جل شأنه: ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾، (الفتح، ٢٣).

ومن هنا كان على أبرز وأهم مجالات العلم والمعرفة التعرف على هذه السنن، بكل أشكالها، وصورها، وفقه مضامينها، وحسن التعامل معها، والانسجام مع سيرها، بل تسخيرها لصالح الأمة الإسلامية، لتكون بذلك رافدا من روافد النهضة الحضارية.

٢ - فهم الواقع والظروف المحيطة به:

يعتبر الواقع الذي يعيشه الإنسان حاكما لحركته، ومؤثرا في حياته، فحال الرخاء والدعة، تختلف عن حال الشدة والضيق، وحال القوة والرفعة، تختلف عن حال الضعف والهوان، والحال الطبيعي والاعتيادي تختلف عن الحال الاستثنائي...

ومن هنا كان فهم الواقع، ومعرفة الظروف المحيطة به، واعتباره على اختلافه وتنوعه، معلما مهما من معالم ترشيد العمل الإسلامي الذي ينهض بالأمة جميعا.

فلا سبيل إلى الوقوع في الحرج الديني، ولا مجال للتكليف فوق الطاقة والإمكان، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾، (البقرة ٢٨٦)، وقال أيضا: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾، (الحج، ٧٨).

٣ - التوازن بين مراعاة العلوم الشرعية والكونية، وعدم الفصل بينهما:

ربط الله تعالى بين الدين والدنيا، وجعل الدين منهجا عاما يرشد حياة الإنسان في دنياه، لأن الله تعالى خالق الكون ومبدعه، وهو الذي أحسن خلقه ثم هدى، فدلنا على السبيل الأمثل للتعامل مع هذه الحياة، ووضع لنا الطريق القويم الذي يرشد مسيرتنا، ويبصر حياتنا.

فلا يمكن أن ينفك علم الدين عن علم الدنيا، ولا يمكن أن يقتصر العلم على معرفة العلوم الشرعية دون العلوم الكونية، وقد وسع بعض المفكرين مفهوم الحديث المشهور: (يفقهه في الدين) ليشمل جوانب الحياة جميعا، بحيث يكون معناه يفقهه في معرفة وفهم الإسلام فهما عاما، وفقهه فقها واسعا، قال الأستاذ عمر بهاء الدين الأميري -رحمه الله-: «فليس الفقه في الدين المقصود في الآيات والأحاديث السالفة بفقه العقائد والأحكام والمعاملات... بل هو كلية أكبر دلالة من جزئياتها... إنه فقه الحياة، كل الحياة، إنه الفقه الحضاري...»[1].

قال النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آله وَسَلَّمَ: «**مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ يُعْطِي وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللهِ لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ**»[2]، وقال الله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾، (آل عمران: ١٨).

قال الغزالي - رحمه الله -: «إن الغربيين ارتقوا ماديا بانصرافهم إلى المادة كل الانصراف، ولكنهم تجردوا عن المعنويات وانصرفوا عن الروحانيات وأغفلوا المثل الأخلاقية العليا، وحادوا عن الحق والخير والجمال، فسمت حياتهم المادية وانحطت قواهم الروحية، فقامت بينهم الحروب المدمرة والثورات الساحقة، ونشأ فيهم الانحلال الخلقي، وسيطرت عليهم النزعات البهيمية، وأوشكت الكشوف العملية الرائعة

(١) وسطية الإسلام وأمته في ضوء الفقه الحضاري، عمر بهاء الدين الأميري، دار الثقافة، الدوحة، قطر، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

(٢) صحيح البخاري، باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، حديث رقم ٦٩.

التي حققوها أن تكون وبالا ساحقا عليهم، وستقضي عليهم القضاء الأخير ما لم يفيؤوا إلى الصواب، ويرجعوا إلى الإيمان، ويوازنوا بين المادة والروح، وبين الجسم والنفس، وبين الدنيا والدين، أي يرجعون إلى الإسلام...»[1].

٤ - معرفة المتطلبات والاحتياجات والآليات التي تسهم في حسن التعامل مع مقدرات الكون والحياة:

إن السير على بصيرة في هذه الحياة له أساليبه ووسائله المادية والمعنوية، فلا يمكن النجاح في هذه المسيرة إلا من خلال معرفة المتطلبات والاحتياجات وتوفيرها وحسن استخدامها، سواء منها ما كان علميا أو سياسيا أو إداريا أو اقتصاديا أو عسكريا...

وقد توسعت العلوم والمعارف في كل مجال من المجالات السابقة مما يتطلب معه مزيدا من تفعيل هذه المتطلبات والاحتياجات التي تعين على حسن التعامل مع الكون والحياة، وتحقق السعادة في الدارين.

وقد أشار القرآن الكريم إلى صفتين يجب تحققهما في كل من يقوم على أمر من أمور الدنيا، وهما: القوة والأمانة، قال تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾، (القصص، ٢٦).

٥ - القدرة على التمازج بين التنظير العلمي والتطبيق العملي:

من أهم المعالم التي تسهم في نهضة الأمة الإسلامية حسن الدمج

(١) الدعوة الإسلامية في القرن الحالي، محمد الغزالي، ص ١٣١، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

والتوافق بين المخرجات النظرية والتطبيقات العملية، في جميع المجالات الحياتية، وقد استنكر الله تعالى على المؤمنين فصل القول عن العمل، فقال جل شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣﴾، (الصف، الآيتان: ٢- ٣).

فكم من دراسات ومعلومات وتحليلات بقيت حبيسة الكتب والمكتبات وما زالت بحاجة لنظر فاعل، يهيئها للتطبيق العملي، ويمازج بينها وبينه، حتى تتبين جودتها من عدمها، فتطور وتحسن لتصبح أنموذجا مثاليا عمليا يمكن تطبيقه، ويؤدي دوره في نهضة الأمة الإسلامية.

قال مالك بن نبي - رحمه الله - عند حديثه عن الإنسان كعنصر من العناصر التي تقوم عليها الحضارة: «المنطق العملي:... نعني به كيفية ارتباط العمل بوسائله ومعانيه، وذلك حتى لا نستسهل أو نستصعب شيئا، بغير مقياس يستمد معاييره من واقع الوسط الاجتماعي، وما يشتمل عليه من إمكانيات؛ إنه ليس من الصعب على الفرد المسلم أن يصوغ مقياسا نظريا يستنتج به نتائج من مقدمات محددة، غير أنه من النادر جدا أن نعرف المنطق العملي، أي استخراج أقصى ما يمكن من الفائدة من وسائل معينة. ونحن أحوج ما نكون إلى هذا المنطق العملي في حياتنا، لأن العقل المجرد متوافر في بلادنا، غير أن العقل التطبيقي الذي يتكون في جوهره من الإرادة والانتباه فشيء يكاد يكون معدوما».[1]

---

(١) شروط النهضة، لمالك بن نبي، ص ١٠٢، سلسلة مشكلات الحضارة، ترجمة عمر كامل مسقاوي، وعبد الصبور شاهين، بإشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر المعاصر، لبنان، ودار الفكر سورية، طبعة ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

٦ - حسن التعامل مع الأزمات والظروف الاستثنائية والقدرة على تجاوزها:

إن البلاء والفتن والمحن سنة الله تعالى في خلقه، قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾، (البقرة، ٢١٤).

وعَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاءً قَالَ: «**الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلاؤُهُ وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَمَا يَبْرَحُ الْبَلاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**»[1].

ومن شأن الأمة الراشدة التي حظيت بتوجيهات وإرشادات واضحة من خلال الوحي الإلهي في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن تكون قادرة على إدارة الأزمات وتجاوزها، وحسن التعامل معها، بل علاجها وإزالتها.

٧ - تعزيز القدرة على التسخير الكوني للإنسان، والإعداد الدائم لذلك:

مع تطور العلوم والمعارف، وتحسن قدرة الإنسان على تسخير الكون

(١) سنن الترمذي، باب ما جاء في الصبر على البلاء، حديث رقم ٢٣٢٢، وقال عنه: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

لما فيه مصلحته وفائدته، فإن واجب السبق إلى ميدان التسابق والتنافس في تعزيز القدرات والإمكانات المادية بتوفيرها وتطويرها وحسن إدارتها والتعامل معها أصبح واجبا شرعيا ومطلبا إنسانيا، به يظهر الإنسان عزة دينه وأمته، وبه يستطيع تحقيق الرفعة والتمكين، وهو طريقه إلى النصر والعزة.

ومن هنا جاء الطلب الرباني لأمة الإسلام بالإعداد والتسخير، قال جل شأنه: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾، (الأنفال، ٦٠).

٨ - تفعيل التاريخ والتراث الإسلامي:

وذلك بإعادة النظر في التراث الإسلامي على أنه سجلات حافلة بالتجارب البشرية على مدى قرون من الزمان، باختلاف ظروفه، وتباين أماكنه، وتفاوت مستوياته.

فالتاريخ البشري جزء من تراث الأمم والمجتمعات بما يحفل من مفاخر ومزايا يتوجب إبرازها، ويتعين تفعيلها ونشرها، فما أحوجنا اليوم إلى دراسات تعيد لنا عرض التاريخ الإسلامي وفقا لمناهج علمية وموضوعية متميزة، وما أحوجنا إلى قراءة التاريخ الإسلامي بعين الناقد الذي يمحص الوقائع ويحلل أعمال وتجارب الآخرين، ويستنتج سننا وقوانين للحراك البشري، ويستخلص حكما وقواعد تبصر الإنسان بحياته، وترشده إلى سبيل السعادة والنجاح فيها.

قال الغزالي - رحمه الله -: «الثقافة الإسلامية في طورها القائم تحمل مخلفات القرون الماضية بما فيها من قوة وضعف، واستقامة وعوج، وأخلاط لا حصر لها من أفكار ومذاهب تفتقر إلى التمحيص، وتفرض علينا ميز الخبيث من الطيب»[1].

٩ - العمل على إيجاد قدوات ربانية:

إيجاد القدوات المشاهدة في مجالات الحياة العلمية والعملية كافة يعتبر من أبرز الأساليب التي تعين على نهضة الأمة الإسلامية، لما لهذه القدوات من أثر في نفوس الناس.

ومن هنا جاءت القدوة المطلقة للمسلمين في شخص النبي صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾، (الأحزاب، ٢١).

كما كان من دعوة عباد الله تعالى الصالحين قولهم: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾، (الفرقان، ٧٤).

فصحبة القدوات ومشاهدتهم تحرك النفوس، وتقوي الهمم، وتوجه الإمكانات لاتباعهم، والسير في طريقهم، والإفادة من سمتهم وعلمهم وسلوكهم.

●●●●●

(١) الدعوة الإسلامية في القرن الحالي، لمحمد الغزالي، ص ٦٠، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

المطلب الثاني

سبل معالجة المعوقات المتصلة بالدين والمنهج

١ - التمسك بالأصول والمصادر الإسلامية:

أخبر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه ترك فينا سبيل الخير والرشاد، كتاب الله تعالى وسنته صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس في حجة الوداع، فقال: «**قد يئس الشيطان بأن يعبد بأرضكم ولكنه رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحاقرون من أعمالكم، فاحذروا يا أيها الناس إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، إن كل مسلم أخ مسلم، المسلمون إخوة، ولا يحل لامرئ من مال أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس، ولا تظلموا، ولا ترجعوا من بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض**»[1].

٢ - الاجتماع على الأصول والمصادر الإسلامية الواحدة:

أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالاعتصام بحبله المتين، والاجتماع عليه، وجعل ذلك منة منه على أمة الإسلام، فقال جل شأنه: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾، (آل عمران، ١٠٣).

(١) المستدرك على الصحيحين، للحاكم، باب حديث عبد الله بن نمير، حديث رقم ٢٩٠، وقال عنه: وسائر رواته متفق عليهم، ج ١، ص ٣٠٦.

كما أمرنا الله تعالى بالرجوع والعودة إلى كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم إن وقع خلاف بين المسلمين، فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾، (النساء، ٥٩).

٣ - تفعيل المرجعية الشرعية:

تعتبر المرجعية الواحدة عند المسلمين خصيصة من خصائصهم، وسمة من سماتهم، وذلك لوحدة مصادرهم التشريعية، التي أمروا بالتمسك والاعتصام بها، ووحدة قيادتهم العملية التي أمروا بمبايعتها والسمع والطاعة لها.

فأهل العلم في الأمة ملزمون بدراسة المصادر الواحدة، وتحليلها، والاستنباط منها، وهذا هو الواجب الذي أقره النبي عليه الصلاة والسلام، فعَنْ أُنَاسٍ مِنْ أَهْلِ حِمْصَ مِنْ أَصْحَابِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَبْعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ قَالَ: «**كَيْفَ تَقْضِي إِذَا عَرَضَ لَكَ قَضَاءٌ؟** قَالَ: أَقْضِي بِكِتَابِ اللَّهِ، قَالَ: **فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي كِتَابِ اللَّهِ؟** قَالَ: فَبِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا فِي كِتَابِ اللَّهِ؟** قَالَ: أَجْتَهِدُ رَأْيِي وَلَا آلُو، فَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَدْرَهُ، وَقَالَ: **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ لِمَا يُرْضِي رَسُولَ اللَّهِ**»[1].

---

(١) سنن أبي داود، باب اجتهاد الرأي في القضاء، حديث رقم ٣١١٩، وسكت عنه.

وإن كان شأن أهل العلم أن يعودوا إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فإن من شأن عامة المسلمين أن يعودوا إلى أهل العلم، لأنهم أهل الذكر الذين يرشدون الناس إلى ما علموه، وهذا أمر الله تعالى لعباده المؤمنين، حيث قال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣﴾، (النحل، ٤٣).

وأهل الأمر في الأمة أيضا مأمورون بالسير على هدي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فكما وحد الإسلام أمته من الناحية العلمية، فقد وحدها في النطاق العملي، وذلك بوحدة قيادتها، ووحدة إدارتها، ووجود قادة أمناء للأمة، يعود الناس إليهم ويلتزمون توجيهاتهم، قال سبحانه: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٣﴾، (النساء، ٨٣)، وعَنْ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رضي الله عنه، قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا بَعْدَ صَلاةِ الْغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلافًا كَثِيرًا وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلالَةٌ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**»[1].

---

(١) سنن الترمذي، باب ما جاء في الأخذ بالسنة، حديث رقم ٢٦٠٠، وقال عنه الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

٤ - تفعيل مصادر قوة الأمة الإسلامية:

خص الله تعالى الأمة الإسلامية بعدد من المصادر التي تمكنها وتحفظها وتجعلها ظاهرة على الناس، سواء منها ما يتعلق بالكون والحياة، أو ما يتعلق بالدين والمنهج، أو ما يتعلق بالشخصية المسلمة والجماعة الإسلامية[١].

فما أحوج المسلمين اليوم إلى تفعيل مصادر القوة لديهم بالتعرف عليها، والإفادة منها، وتفعيلها في حياتهم الإسلامية بجوانبها العلمية النظرية، والعملية التطبيقية، حتى يكونوا كما أراد الله تعالى لهم خير أمة أخرجت للناس.

٥ - تصحيح المفاهيم الإسلامية:

من أبرز المرتكزات التي يقوم عليها الإصلاح الإسلامي، والنهوض المجتمعي، أن تصحح المفاهيم الإسلامية عند المسلمين، وأن تصفى المصطلحات الإسلامية عن الشوائب التي ألصقت بها، حتى يعود المسلمون إلى وعيهم بحقيقة المفاهيم والمصطلحات الإسلامية، التي تعينهم على فهم التشريع فهما سليما، منطلقا من مصادر التشريع المعصوم، ومستنبطا من الأبعاد اللغوية المعتمدة.

فكم من مصطلحات ومفاهيم تتطلب توضيحا وتمحيصا، وبيانا وتحقيقا، سواء منها ما يتعلق بالدين والحياة، أو الفكر والعلم، أو السلوك والعمل.

---

(١) انظر مصادر قوة الأمة الإسلامية، للمؤلف، كتاب في طور الطباعة.

وقد قال الدكتور فريد الأنصاري -حفظه الله-: «إن البعثة الدينية تضطلع بوظيفتين كبيرتين: وظيفة مفهومية، وأخرى وجدانية، فالأولى هي: عملية تجديد الوعي بالمفاهيم الدينية على مستوى الفهم، والثانية هي: عملية تجديد الإحساس بها على مستوى الوجدان، أو القلب، مما يرسخ الشعور بالانتماء للإسلام حقا، وبذلك يكون مشروع التجديد أكثر قابلية للتوغل في البنية الاجتماعية للمجتمع، وهذا في حد ذاته أكبر الحصون في بناء الذات من جديد، وحفظها من ريح العولمة، بل تمكينها من المشاركة العالمية المتميزة، موجهة ومنتجة، لا مستهلكة فحسب!...»[1].

٦ - تفعيل العمل الدعوي تبليغا وتعليما وتطبيقا:

جعل الله تعالى الإنسان خليفة في الأرض، وأرسل الرسل لعباده، ليبلغوا الناس منهج الله، ويدلوهم على سبيل الهدى والرشاد، وكان خاتمهم سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وقد ذكر الله تعالى في وصفه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾، (الجمعة، ٢).

ثم خص المسلمين بحمل لواء الدعوة إلى دينه القويم، فقال جل شأنه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾، (آل عمران، ١١٠).

---

(١) البيان الدعوي وظاهرة التضخم السياسي، للدكتور فريد الأنصاري، ص ٢١٦- ٢١٧، دار الكلمة للنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

ومن هنا كان تفعيل العمل الدعوي تبليغا وتعليما وتطبيقا واجبا دينيا، ومطلبا دنيويا، فهو سبيل إلى النهوض المجتمعي، وطريق إلى الظهور الإسلامي.

٧- الاستقلال والتميز الديني والابتعاد عن التقليد والتبعية الدينية:

من خصائص الدين الإسلامي أنه دين كامل وشامل ومهيمن على الدين كله، فلا حاجة إلى تقليد، ولا ضرورة إلى استبدال، وإنما الحاجة تقوم إلى فهم قويم، وحسن في الاتباع.

وقد أنكر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم على عمر رضي الله عنه، لما جاءه بكتاب أصابه من بعض أهل الكتب، فعن عن جَابِرِ بن عبد اللّهِ رضي الله عنه، أَنَّ عُمَرَ ابن الْخَطَّابِ رضي الله عنه أتى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بِكِتَابٍ أَصَابَهُ من بَعْضِ أَهْلِ الْكُتُبِ فَقَرَأَهُ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فَغَضِبَ فقال: «**أَمُتَهَوِّكُونَ**[1] **فيها يا بن الْخَطَّابِ؟! والذي نفسي بيده لقد جِئْتُكُمْ بها بَيْضَاءَ نَقِيَّةً لاَ تَسْأَلُوهُمْ عن شيء فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ أو بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، والذي نفسي بيده لو أَنَّ مُوسَى عليه السلام كان حَيًّا ما وَسِعَهُ إِلاَّ أَنْ يتبعني**»[2].

---

(١) «التهوك: كالتهور، وهو الوقوع في الأمر بغير روية، المتهوك الذي يقع في كل أمر، وقيل: هو التحير» النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي، ج٥، ص ٢٨١، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

(٢) مسند الإمام أحمد، مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، حديث رقم ١٥١٩٥، قال عنه الهيثمي: وفيه مجالد ابن سعيد ضعفه أحمد ويحيى بن سعيد وغيرهما، مجمع الزوائد، ومنبع

٨ - تفعيل مقتضيات الوعود الربانية:

تعددت الوعود الربانية الصادقة في القرآن الكريم، وفي سنة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، بالنصر والتمكين، والعزة والفلاح، والظهور والرفعة، للأمة الإسلامية، حتى تعيش في حالة من الفأل، تدفعهم إلى الإيمان بها، والاسترشاد من معانيها، والعمل من أجل تحقيقها، والاستبشار والتسلية بها...

وما أحوج المسلمين اليوم إلى هذه الوعود كي يعرفوها حق المعرفة، ويؤمنوا بها حق الإيمان، ويفعلوها في حياتهم، فلا تغيب عنهم في حال من الأحوال، مهما اشتدت الظروف، ومهما تتابعت المحن، حتى لا يبقوا أسيرين لظروفهم، جامدين على حالهم، قانطين من رحمة ربهم...

قال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾، (التوبة، ١١١)، وقال أيضا: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴿١٢٢﴾﴾، (النساء، ١٢٢).

●●●●●

الفوائد، للهيثمي، تحرير العراقي وابن حجر، ج ١، ص ٢١٢، حديث رقم ٨٠٨، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

المطلب الثالث

سبل معالجة المعوقات المتصلة بالإنسان

بناء الشخصية الإسلامية المتوازنة والمتكاملة[1]، لتكون لبنة من لبنات المجتمع والأمة الإسلامية الواحدة، وذلك من خلال الإصلاح القلبي أو النفسي، والفكري أو العقلي، والحركي أو العملي...

أولاً: الجانب القلبي أو النفسي:

وذلك بتمكين الإيمان وتعميقه في النفس وتفعيله فيها حتى يستشعره المسلم في شخصيته فيزكيها، ويعيشه في حياته فيراقبها، ومن مظاهر الإيمان بالله تعالى:

١ - **الإخلاص لله رب العالمين:** فإنه أساس العمل، ومبدأ الخير، ومفتاح السعادة، وسبيل الهدى والرشاد، وهو وقاية من الشرور والزلل، والأمراض والآثام، فالإخلاص كان صفة الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾، (الأنعام، الآيتان:١٦٢- ١٦٣).

والإخلاص في القول والعمل لله تعالى ضرورة للمسلمين عامة، والدعاة منهم خاصة، به يتخلصون من أهوائهم، وبه يتجردون عن شهواتهم ومصالحهم، فعن عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم، قَالَ: «**نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا وَحَفِظَهَا**

(١) انظر كتاب مقومات الشخصية المسلمة أو الإنسان الصالح، للدكتور ماجد عرسان الكيلاني، ص ١٣٧- ١٤٥، مؤسسة الريان، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

وَبَلَّغَهَا فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، ثَلاثٌ لا يُغلُّ[1] **عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ: إِخْلاصُ الْعَمَلِ لِلهِ وَمُنَاصَحَةُ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ، فَإِنَّ الدَّعْوَةَ تحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ**»[2]، وقد بين ابن الأثير - رحمه الله - دلالة هذا الحديث، فقال: «والمعنى أن هذه الخلال الثلاث تستصلح بها القلوب، فمن تمسك بها طَهُر قلبُه من الخيانة والدغل والشر»[3].

كما بين صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن من أسباب نصر الله تعالى للأمة الإسلامية إخلاص أهلها لله رب العالمين، فعَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ ظَنَّ أَنَّ لَهُ فَضْلا عَلَى مَنْ دُونَهُ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**إِنَّمَا يَنْصُرُ اللهُ هَذِهِ الأُمَّةَ بِضَعِيفِهَا بِدَعْوَتِهِمْ وَصَلاتِهِمْ وَإِخْلاصِهِمْ**»[4].

وقد جاء التحذير الشديد من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لمن تخلى عن الإخلاص لله تعالى في دعوته، فاستغل ما حباه الله تعالى به من علم وعمل في تحقيق مآربه، وإشباع شهواته، والحصول على مصالحه، فعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: حَدَّثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**أنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَنْزِلُ إِلَى الْعِبَادِ لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ وَكُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةٌ، فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو بِهِ رَجُلٌ جَمَعَ الْقُرْآنَ وَرَجُلٌ يَقْتَتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَرَجُلٌ كَثِيرُ الْمَالِ، فَيَقُولُ اللهُ لِلْقَارِئِ:**

---

(١) الإغلال: الخيانة في كل شيء، النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ج ٣، ص ٣٨١، باب الغين مع اللام، مادة غلل.

(٢) صحيح مسلم، كتاب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، حديث رقم ٢٥٨٢.

(٣) النهاية في غريب الحديث، ج ٣، ص ٣٨١، باب الغين مع اللام، مادة غلل.

(٤) سنن النسائي، كتاب الجهاد، باب الاستنصار بالضعيف، حديث رقم ٣١٢٧، وقد رمز المناوي إلى صحته، فيض القدير، ج ٣، ص ١٤، حديث رقم ٢٦٢٠.

أَلَمْ أُعَلِّمْكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عُلِّمْتَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ فُلَانًا قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ، وَيُؤْتَى بِصَاحِبِ الْمَالِ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: أَلَمْ أُوَسِّعْ عَلَيْكَ حَتَّى لَمْ أَدَعْكَ تَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ وَأَتَصَدَّقُ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ، وَيُؤْتَى بِالَّذِي قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: فِي مَاذَا قُتِلْتَ؟ فَيَقُولُ: أُمِرْتُ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِكَ فَقَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ، فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ، ثُمَّ ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى رُكْبَتِي، فَقَالَ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أُولَئِكَ الثَّلَاثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللهِ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[1].

٢ - الطمأنينة القلبية: المؤمن واثق بربه، ومعتمد عليه، ومستعين به، ومتوكل عليه، ومفوض أمره إليه، ومستشعر صلته بالله، وعارف بمعية الله تعالى له، مؤمن حقا بصفات ربه العلا، وأسمائه الحسنى، ومتحقق من معانيها ومستلزمات الإيمان بها، فهو يعيش آمنا مطمئنا، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾، (الرعد، ٢٨).

---

(١) سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في الرياء والسمعة، حديث رقم ٢٣٠٤، وقال عنه الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

وقال أيضا: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾، (آل عمران، ١٧٣)، وقال جل وعلا: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾، (الأحزاب، ٤٨)، وقال سبحانه: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾، (الأعراف، ١٢٨).

٣ - **تقوى الله:** المؤمن بالله تعالى حقا، يعلم أن الله تعالى لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ويعلم السر وأخفى، هو معه أين ما كان، وهو يراه أينما حل وارتحل، ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد، فيعيش في حال من الإيمان والمراقبة والبصيرة على نفسه، ويكون دائم المحاسبة والتنبه لها، له من ذاته وازع، وله من إيمانه دافع، فهي حصانة للمسلم، وهي جنة له، قال سبحانه: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾﴾، (القيامة، ١٤).

وقد جعل الله تعالى التقوى خير الزاد، فقال جل شأنه: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾، (البقرة، ١٩٧)، وكانت وصية النبي صلى الله عليه وسلم للمؤمنين بتقوى الله تعالى، فعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اتَّقِ اللَّهِ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتْبِعْ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**»[1].

---

(١) سنن الترمذي، باب ما جاء في معاشرة الناس، حديث رقم ١٩١٠، وقال عنه: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

والتقوى سبب لتجلي رحمة الله تعالى على عبده، وعطائه ومعيته له، وسبيل إلى التوفيق والإعانة والنصر والتمكين، وطريق إلى العزة والرفعة والهداية، فبها تفرج الكروب، وبها تزول العقبات، وبها يتسع الرزق والعطاء، وبها يتحقق النصر على الأعداء، قال جل شأنه: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ وَٱلَّـٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَـٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّـٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُو۟لَـٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾﴾، (الطلاق، الآيات: ٢- ٥).

٤ - **الصبر والمصابرة:** من صفات المؤمن بالله تعالى حق الإيمان الصبر والمصابرة، لأن الله تعالى وجهه لذلك، وجعل الصبر والمصابرة سببا للخير والفلاح، والنصرة والتمكين، والتوسعة والانفراج، فالصبر بكل أشكاله وصوره، وفي كل أحواله ومجالاته، مظهر من مظاهر الإيمان، ومعلم من معالمه.

وكم من آيات في كتاب الله تعالى، وكم من نصوص من أحاديث النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم تتحدث عن الصبر، وتحث عليه، وترتب عليه الأجر والثواب، وتحقيق النوال والمراد، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾، (البقرة، ١٥٣)، وقال أيضا: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾، (آل عمران، ٢٠٠).

كما جعل الله تعالى الصبر والتقوى حجابا من كيد الأعداء، فقال سبحانه: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾، (آل عمران، ١٢٠).

وعن أَبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «إِنَّهُ مَنْ يَسْتَعِفَّ يُعِفَّهُ اللَّهُ وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ وَلَنْ تُعْطَوْا عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنْ الصَّبْرِ»[1].

٥ - **الاعتزاز بالشخصية الإسلامية:** فمن شأن المسلم الذي وفقه الله تعالى بأن جعله من عباده المؤمنين، وأكرمه بخير كتاب أنزله للعالمين، وشرفه بخاتم الأنبياء والرسل أجمعين، أن يكون عزيز النفس فخورا، قال تعالى: ﴿... وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾، (المنافقون، ٨)، وقال أيضا: ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾، (المائدة، ٣)، وقال جل شأنه: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾، (آل عمران، ١٦٤)، وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾، (الأنبياء، ١٠).

وعن طارق بن شهاب، قال: لما قدم عمر رضي الله عنه الشام لقيه الجنود وعليه إزار وخفان وعمامة، وهو آخذ برأس بعيره يخوض الماء، فقال له

---

(١) صحيح البخاري، باب الصبر عن محارم الله...، حديث رقم ٥٩٨٩.

- يعني قائل -: يا أمير المؤمنين تلقاك الجنود وبطارقة الشام وأنت على حالك هذا؟ فقال عمر: «إنا قوم أعزنا الله بالإسلام، فلن نبتغي العزة بغيره»[1].

قال الراغب، - رحمه الله -: «وأما العزة: فالترفع بالنفس عما يلحقه غضاضة، وأصلها من العزاز وهو الأرض الصلبة، فالمتعزز من حصوله في عزاز لا يلحقه فيه غضاضة، كالمتظلف في كونه في ظلف من الأرض لا يلحقه مذلة، والعزة منزلة شريفة، وهي نتيجة معرفة الإنسان بقدر نفسه وإكرامها عن الضراعة للأعراض الدنيوية، كما أن الكبر نتيجة جهل الإنسان بقدر نفسه وإنزالها فوق منزلتها، وكثيرا ما يتصور أحدهما بصورة الآخر...، ولهذا قال الحسن رضي الله عنه لمن قال له ما أعظمك من نفسك؟ فقال: لست بعظيم ولكني عزيز...)»[2].

ثانياً: الجانب الفكري أو العقلي:

وذلك بتحقيق الوعي والرشاد الفكري، والتوصل إلى السداد في الرأي والمعرفة، قال الدكتور محمد قطب - حفظه الله -: «تجاوز الانحراف منطقة السلوك، ووصل إلى المفاهيم الرئيسية لهذا الدين، ومن أجل ذلك يعاني الإسلام اليوم تلك الغربة التي تحدث عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**بدأ الإسلام غريبا، وسيعود غريبا كما بدأ**» - أخرجه مسلم -، ولقد عاد غريبا بالفعل..

غريبا بين أهله أنفسهم، يتصورونه على غير حقيقته - فضلا عن

---

(١) المستدرك على الصحيحين، باب وأما حديث سمرة بن جندب، رقم ١٩٥.

(٢) الذريعة إلى مكارم الشريعة، للراغب الأصفهاني، ص ١٩٩.

سلوكهم المنحرف عنه - ويستغربونه حين يعرض لهم في صورته الحقيقية كما جاءت في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخذت تطبيقها الكامل في حياة السلف الصالح رضوان الله عليهم-! وعلينا أن نواجه الأمر على حقيقته..

فإن أي جهد نبذله في تصحيح السلوك وحده - مع بقاء المفاهيم منحرفة- لن يؤتي ثماره كاملة، ولن يخرج الأمة من وهدتها التي انتكست إليها في عصرها الحاضر، إنما نحتاج أن نبذل جهدا مضاعفا لإزالة الغربة الثانية كالجهد الذي بذلته الجماعة الأولى من المسلمين لإزالة الغربة الأولى للإسلام.

وهذا الجهد المضاعف هو المهمة الملقاة اليوم على عاتق الصحوة الإسلامية»[1].

ومن مظاهر الإصلاح الفكري والعقلي:

١ - **التحقيق في المصطلحات والمفاهيم:** فإن من شأن المسلم أن يكون مدركا لدلالات المصطلحات والمفاهيم من منطلقات إسلامية ومنهجية، تضع الأمور في نصابها، وتربط الماهيات بمسمياتها، فلا تلتبس عليه المصطلحات، ولا يكون فريسة لفوضى المصطلحات والمفاهيم.

ومن هنا كان واجب المتخصصين من المسلمين، توضيح الحقائق والمفاهيم، وبيان المصطلحات، وتبسيطها وتقريبها للناس، ومعالجة الإشكالات التي تعترض ذلك، من خلال الأدوات العلمية والمنهجية،

(١) مفاهيم ينبغي أن تصحح، لمحمد قطب، ص ١٣، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الحادية عشرة، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٥م.

والمنطلقات الإسلامية اللغوية والمعرفية والشرعية، كي يسهموا في ترشيد الفكر والعقل المسلم، ويحصنوه من الوقوع في الأزمات الفكرية والمعرفية.

٢ - ترسيخ الصور الذهنية الصحيحة ومعالجة التصورات المختلة: فالعقل المسلم يحتوي عددا من التصورات الذهنية عن الكون والحياة، وعن الدين والشريعة، وعن التدين والالتزام، إلى غير ذلك من تصورات نتجت عن مجموعة من المرتكزات، سواء منها المعرفي والعلمي الصادر عن القراءات والدراسات والمعارف والعلوم، أو الواقعي العملي الصادر عن المشاهدات أو الممارسات.

ونظرا لما يعترض ذلك من خلل وتشويه، أو تلبيس وتمويه، فإن من واجب الدعاة والعلماء والمربين، أن يزرعوا التصورات الصحيحة ويعززوها في نفوس المؤمنين، وأن يعالجوا التصورات المختلة فيرشدوها ويصححوها ويسددوها.

٣ - تحريك القدرات الفكرية والعقلية وتنشيطها: فقد تكررت التوجيهات الربانية المشجعة على التفكير والتأمل والتدبر والنظر والمقايسة والمقارنة، وأنكرت على من تبلد فكره وجمد عقله، وأصيب بالذهول والكسل، أو بقي أسيرا للظروف التي تحيط به، والضغوط التي تقع عليه، يدور حولها، ويسير في رحاها، لا يمكنه الخروج منها، ولا يستطيع تجاوزها.

فكم من قدرات فكرية، وإمكانات عقلية يمتلكها المسلمون على اختلاف لغاتهم وأقاليمهم، وتنوع تخصصاتهم واهتماماتهم، بحاجة إلى

من يهيئ لها الأجواء، ويفتح أمامها السبل، ويوضح لها المعالم، كي تبدع وتنتج، وتتفاعل وتثمر، فتكون رصيدا للأمة الإسلامية، ومفخرة من مفاخرها، كما كانت في عصور مضت.

٤ - **تأصيل وتطوير المناهج الفكرية والعلمية والعملية:** مع وجود عدد من المناهج الفكرية والعلمية والعملية التي اقترحتها العقول البشرية على مر الزمان وتغير المكان، فإن الحاجة ما تزال قائمة إلى تأصيل هذه المناهج، وإعادة النظر فيها، وترشيدها، وتصويبها، من خلال الدراسة والاستنباط للمنهج الرباني في القرآن الكريم، والهدي النبوي، المستنبط من سنة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وسيرته.

إلى أن تصل هذه المناهج إلى مستوى علمي يجمع بين الاعتماد على المرتكزات الإسلامية، والإبداعات البشرية، ويوضح المسارات المناسبة لكل مجال من مجالات العلوم الكونية والشرعية، حتى ترشد البحوث والدراسات الإسلامية، وتكون أكثر دقة وموضوعية، وأكثر جودة وشمولية.

٥ - **التخطيط السليم:** إن من شأن المسلمين أن يُفَعّلوا التخطيط في حياتهم النظرية والعملية، وأن يستوعبوا قواعد التخطيط السليم، الذي يرتكز على الدراسات والأسس المنهجية، ويستثمر الإمكانات المتنوعة من كفاءات ومهارات بشرية، وممتلكات مادية، وظروف وأحوال حياتية، ويقدر الواجبات الفردية والجماعية.

ومن ثم يوازن بين جميع المعطيات المتوفرة، للوصول إلى المناهج والأساليب والوسائل المناسبة، التي تحقق الأهداف المرجوة، وتتجاوز العقبات المتوقعة، وبهذا يتحقق النجاح، وتستثمر الطاقات، وترشد الأعمال.

ثالثاً: الجانب الحركي أو السلوكي:

وذلك بتحقيق البصيرة في السير والحركة، والوصول إلى الرشاد في النشاط والسلوك، والنجاح في المسيرة والعمل، ومن مظاهر ذلك:

١ - **التجرد لمصلحة الدعوة والرسالة:** إن من أبرز مظاهر الرشاد في العمل الدعوي أن يتحقق القائمون عليه بالتجرد لله رب العالمين، بحيث يظهر في سلوكهم واختيارهم وتوجههم تقديم المصلحة الدعوية والإسلامية على مصالحهم وميولهم ورغباتهم الخاصة عند التعارض.

بل يجب أن يبرز فيهم حب التضحية والفداء والبذل والعطاء، فهم بكل ما يملكون وبكل ما يستطيعون متوجهون لربهم جل شأنه، لا يريدون إلا وجهه، ولا يطلبون إلا رضاه، وهم متطلعون إلى أداء الرسالة التي كلفوا بها، والأمانة التي حملوها، حتى يكونوا من المفلحين.

٢ - **التوازن في التعامل مع المتطلبات الدينية والدنيوية:** إن التفاعل الإيجابي الناجح في حياة الأمة بين الدين والدنيا في حركتها وسلوكها ونشاطها، مظهر من مظاهر الوعي والرشاد، ومعلم من معالم النهوض والإصلاح، فلا بد أن يحقق التوازن بين مجالات الدين والدنيا، كما يجب أن يتحقق ذلك في الاهتمام والمعرفة.

ويظهر هذا التوازن في اهتمام القائمين على العمل الإسلامي بتحديد المتطلبات والبرامج الدينية والدنيوية المناسبة من خلال نشاطهم التعليمي في مؤسساته المختلفة، وحراكهم العملي في تكتلاته المتنوعة، ومن ثم تحقيق الشمول والتكامل بينهما.

٣ - الإفادة من الماضي والتعامل مع الواقع واستشراف المستقبل: فالأمة الراشدة لا تكتفي بقراءة الماضي والتقوقع حوله، والتحجر والجمود عليه، كما لا تنشغل بالمستقبل وتضيع في آماله وأحلامه وطموحاته، ولا تبقى أسيرة لواقعها، قاصرة عليه، ومكتفية به.

بل عليها أن تفيد من الماضي بحسبه، فتدرسه وتعلمه، وتحلله وتناقشه، حتى تستنبط منه الحكم والعبر، وتستلهم منه الدروس والتجارب، كما تنظر إلى المستقبل ليحدد توجهها، ويرشد سيرها، ويزيد من همتها وعزيمتها، وتتفاعل مع واقعها، وتنسجم معه، مستصحبة ما استلهمته من الماضي، ومتطلعة إلى غاياتها وآمالها في المستقبل.

٤ - الانفتاح على الآخر: إن الأمة التي أخرجت للناس جميعا، من شأنها أن تنفتح على الناس جميعا، وتحسن التعامل معهم جميعا، على اختلاف أعراقهم وأديانهم، وتباين انتماءاتهم وفئاتهم، واختلاف ألوانهم وألسنتهم، لتحقق بذلك التعارف الذي جعل الله تعالى هذا التنوع علة له، فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾، (الحجرات، ١٣).

فالأمة الإسلامية تنفتح على الآخر وتتعايش معه، وتتعاون في المشترك بينها وبينه، وتتبادل التجارب والمعارف والخبرات، لتحقق التكامل بين المجهود البشري، كما تترك لكل دينه وتوجهه، وتعترف لكل بانتمائه وعرقه، ما دام الكل ملتزما حدوده، ومحترما غيره، مراعية معه أخوة الإنسانية إن كان غير مسلم، وأخوة الدين إن كان مسلما.

٥ - التأني والتريث والابتعاد عن الانفعال الفوضوي: فالأمة الراشدة تبتعد عن ردود الفعل الانفعالية الفوضوية، وتبرمج الأحداث المثيرة لتوضع في مسارها، سواء كانت هذه الأحداث إيجابية أم سلبية، فتتأني في دراستها، وتتريث في مناهج وأساليب ووسائل التعامل معها، لتحقق بذلك الحكمة المطلوبة.

فلا تجاهل لهذه الأحداث، ولا فوضى في التعامل معها وإنما تُوَجّه الأحداث الطارئة لتحقيق المصلحة المرجوة، من إثارة العواطف المرشدة، ودفع الهمم المتوقدة، وتوجيه الطاقات الملتهبة، لاستثمارها، ووضعها في المسار المطلوب الذي يفيد الأمة في حاضرها ومستقبلها، ويبعدها عن السلبيات الخطيرة التي تنتج عن قصور في التعامل معها عاجلا أم آجلا.

٦ - استثمار الجوانب الإيجابية وتفعيلها، في الأفراد والمجتمعات: من حكمة الداعية المسلم، ومن صفات الأمة الملهمة، أن تتلمس نوازع الخير في الناس على اختلافهم وتنوعهم، مهما ابتعدوا عن الهدى والرشاد، ومهما غرقوا في الردى والضلال، فالإنسان مهما غوى، ومهما طغى، تبقى مكامن الفطرة السوية في نفسه، وتبقى نوازع الإنسانية في ذاته، وإن حاول كبتها وكتمها، وإن تظاهر بخلافها ومجافاتها...

ومن هنا كان الواجب البحث عن هذه المكامن، وإدراك تلك المداخل، ومن ثم التعامل معها، وتفعيلها، ومحاولة تنشيطها، واستثمارها في تقويم الرؤى والأفكار، وتوجيه السلوك والأعمال، وتحقيق الخير والفلاح.

فبتفعيل الجوانب الإيجابية في الأفراد والمجتمعات وبتنميتها وإثارتها يمكن معالجة كثير من الجوانب السلبية، سواء كان ذلك بتخفيف أوارها

أو بتجميد فاعليتها أو معالجتها بشكل تام، مما يتيح الفرصة لتحريك الجوانب الإيجابية لتأخذ دورها، وتقيم محلها، وتؤدي عملها...

٧ - **استثمار العقول المتميزة والكفاءات والقدرات الناجحة:** إن الأمة الراشدة تعمل على إيجاد الكفاءات والمهارات والقدرات المتميزة، وتتيح لها الفرصة المناسبة للتطوير والإبداع، بل تستقطب الكفاءات والمهارات الخارجية، وتستوعبها، وتهيئ لها الأجواء المناسبة، وتفتح لها مجال الإبداع والتطوير.

فاستثمار هذه الكفاءات ووضعها في محلها، وتفعيل وتطوير تميزها، مظهر صحي يعود بالخير على الأمة جميعا، ويعزز مكانتها في الداخل والخارج، ويبرز قوتها وخيريتها.

٨ - **قوة الحصانة وصعوبة الاختراق:** إن تميز الأمة الإسلامية عن غيرها، وحصانتها من الأمراض والمشكلات الداخلية والخارجية، مظهر من مظاهر خيريتها، ومعلم من معالم مناعتها وقوتها، سواء كانت الحصانة إيمانية نفسية كما سبق ذكره، أو علمية فكرية، أو عملية سلوكية.

فالأمة التي تعتمد على ذاتها في حركتها وسلوكها، وتنفتح على الآخر من منطلق مبادئها وثوابتها، أمة قوية مستقلة، لها ميزانها العملي، ولها مجالها الميداني، لا يستطيع أحد تجاوزها، ولا يمكن لأحد أن يخترقها، وإذا ما اخترقت توقدت قوى الممانعة فيها لتعود إلى استقلالها، وتحصين نفسها، ونبذ الغريب عنها، والأمة الإسلامية أولى الأمم بذلك.

٩ - **التطوير والتحديث وعدم الجمود:** إن فاعلية الأمة مع متغيرات

عصرها، ومرونتها في التعامل مع معطيات العلم والمعرفة الحديثين، من منطلق راشد يلتزم الثوابت والأصول، ويتفاعل مع المتغيرات والفروع، يعتبر معلما من معالم نهضتها، وسمة من سمات رقيها، وذلك في جميع جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والإدارية والاجتماعية...

فمواكبة التطور بوعي ورشد شأن الأمم القوية، وهو سبيلها إلى الرقي والفلاح، وطريقها إلى الرفعة والعزة، حيث يعود ذلك على المجتمع بالراحة والسعادة، والإتقان والجودة، فتكون بذلك أهلا للريادة والقيادة.

قال في ذلك الأستاذ مالك بن نبي - رحمه الله -: «فنحن لا نستطيع أن نصنع التاريخ بتقليد خطا الآخرين في سائر الدروب التي طرقوها، بل بأن نفتح دروبا جديدة. ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا بأفكار أصيلة تستجيب لسائر المشكلات على الصعيد الأخلاقي، أو على صعيد الأفكار الفعّالة؛ لتجابه مشكلات التطور في مجتمع يعيد بناء نفسه»[1].

١٠ - **تجاوز الأزمات والمشكلات والعمل على معالجتها**: إن الأمة القوية الراشدة، التي تسير على هدى ونور، تستطيع تحمل الأزمات والمشكلات، وتقدر على معالجة المعضلات والنوازل والملمات، لأنها تمتلك مصادر الخير والهدى، وتلتزم طريق الفلاح والرشاد، فلن تضل ولن تضيع أبدا.

فلا تفنيها المحن والنوازل، ولا تحبسها الأزمات والمشكلات، ولا تبقى أسيرة لها، بل تحسن التعامل معها، فتبحث في أسبابها، وتحلل أبعادها،

---

(١) مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، لمالك بن نبي، ص ١٦٢، ترجمة الدكتور بسام بركة، والدكتور أحمد شعبو، إشراف المحامي عمر مسقاوي، سلسلة مشكلات الحضارة، دار الفكر المعاصر، لبنان، دار الفكر، سورية، طبعة ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

وتدرك أخطارها، ومن ثم تتوصل إلى أفضل السبل للتعامل معها، فلا تبقى عقبة في طريقها، ولا تصمد أمام إرادتها وعزيمتها، وبهذا تزداد الأمة قوة وخبرة، وحصانة ومناعة.

١١ - **الأخذ بالأسباب والسير وفقا لمعطيات السنن الربانية:** إن التعامل مع الحياة بمنهجية راشدة، مستلهمة من سنن الله تعالى في خلقه، وقوانينه في كونه، شأن الأمم الواعية، التي تضع الأمور في نصابها، وتقدر الأمور حق قدرها.

فالإنسان خليفة الله تعالى في الأرض، يمتلك المنهج المعصوم، المنزل عليه من ربه تعالى، كما يعيش في الكون المسخر له من ربه جل وعلا، فبقدر ما يتوازن الإنسان في التفاعل مع شريعة ربه، وقوانينه في خلقه بقدر ما يمتلك أسباب النجاح والرشاد، وبقدر ما يختل التوازن نحو جانب من الجانبين ويتجرد عن الجانب الآخر بقدر ما يضل ويشقى.

انتشار التذكير والتناصح والإصلاح: إن الجسد السليم المعافى، الذي يتصف بقوة المناعة والحصانة، يكون دائم التفاعل والتدافع بين القوى المختلفة، التي تضمن له في النهاية تحقيق السلامة والعافية.

وقد جعل الله تعالى للإنسان نفسا لوامة، وقلبا مؤنبا، وعقلا مبينا، يستطيع به دفع الشر والخطر، والمحافظة على سلامته وقوته.

كما أن المجتمع المسلم تعترض لبعض أفراده أمراض وعلل، يعجز الفرد عن دفعها وإصلاحها، فيأتي الواجب الأوسع، والمناعة العامة، لتقوم بدورها بالتذكير والنصح والإرشاد، والوعظ والتوجيه، وتتداعى

قوى المناعة والحصانة، لتؤدي وظيفتها، وتقوم بعملها، حتى يعود الإنسان إلى مساره، ويستعيد عافيته وطهره.

بل توسع الأمر في المحافظة على المجتمع المسلم، إن تجاوز بعض أفراده بعضا من الحدود، أو قصروا في أداء بعض من الواجبات، لتقوم المؤسسة الإسلامية، ممثلة في قيادتها، بالتدخل في علاج من لم تنهه نفسه، ولم يصلحه نصح إخوانه، لتلزمه بالعودة إلى الطريق، وتجبره على التخلي عن الشر.

وبهذا تحافظ الأمة الإسلامية على أفرادها ومجتمعاتها، وتقوي مناعتها وحصانتها، وتتعاون في تحقيق رفعتها وعزتها.

١٢ - **التوازن في شمول الحركة والنشاط:** من مظاهر ومعالم رشاد الأمة وعلامات نهوضها، توازنها في تناول جميع القضايا والمجالات، فلا يطغى في حياة الأمة جانب على آخر، ولا تنشغل بأمر عن غيره، بل تعطي كل موضوع حقه، وكل مجال مستحقه، لتحقق الشمول الذي جعله الله تعالى خصيصة من خصائص دينها.

فلا تنشغل الأمة في وظيفتها ونشاطها الدعوي على التبليغ دون التزكية والتعليم والتطبيق، كما لا تقتصر في حركتها ونشاطها العلمي والعملي على مجال من مجالات الحياة دون غيره سواء كان سياسيا أو اقتصاديا أو شرعيا أو غير ذلك...

كما لا تركز على فئة من الناس دون فئة أخرى، ولا شريحة دون أخرى، ولا حق دون آخر، ولا علاقة دون علاقة، ولا واجب دون غيره، بل

تتحمل المسؤوليات وتتوازن في تحقيق المطالب والواجبات فتطي كل ذي حق حقه، فعن عَوْنِ بن أبي جُحَيْفَةَ عن أبيه رضي الله عنه قال: آخَى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بين سَلْمَانَ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنهما، فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً، فقال لها: ما شَأْنُكِ! قالت: أَخُوكَ أبو الدَّرْدَاءِ ليس له حَاجَةٌ في الدُّنْيَا، فَجَاءَ أبو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ له طَعَامًا فقال: كُلْ، قال: فَإِنِّي صَائِمٌ، قال: ما أنا بآكِلٍ حتى تَأْكُلَ، قال: فَأَكَلَ، فلما كان اللَّيْلُ ذَهَبَ أبو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ، قال: نَمْ فَنَامَ ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ، فقال: نَمْ فلما كان من آخِرِ اللَّيْلِ قال سَلْمَانُ: قُمْ الآنَ، فَصَلَّيَا فقال له سَلْمَانُ: إنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَأَتَى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فذكر ذلك له، فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (صَدَقَ سَلْمَانُ)[1].

١٣ - **التسابق في الخيرات:** من معالم النهضة في الأمة الإسلامية أن يقوم الأفراد والجماعات فيها بالتسابق في مجال الخير والبر، والمبادرة والسعي إلى النجاح والفلاح.

فمجال الخيرات واسع، وأبواب المبرات كثيرة، ومن شأن الأمة المسلمة أن تتسابق في الخيرات، سواء منها ما كان دينيا أو دنيويا، لتكون أمة حيوية وفاعلة، أمة متطورة ومتقدمة، بل يجب أن تكون أمة رائدة وسابقة دائما، وقدوة لغيرها من الأمم، قال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾﴾، (البقرة، ١٤٨).

---

(١) صحيح البخاري، بَاب من أَقْسَمَ على أَخِيهِ لِيُفْطِرَ في التَّطَوُّعِ ولم يَرَ عليه قَضَاءً إذا كان أَوْفَقَ له، حديث رقم ١٨٦٧.

١٤ - **الاهتمام بالأدب المصون الراقي:** قال الغزالي - رحمه الله -: «وقد فار الأدب العربي أوائل هذا القرن الرابع عشر فورة عظيمة، وجد شعراء كشوقي ومحرم والبارودي وحافظ والزهاوي والرصافي، كما وجد أدباء أعادوا للعربية قوة الأداء وسحر البيان...

ولكن هذه النهضة اعترضت بقوة ويجري الآن قتلها ومحو آثارها، لأن القضاء على اللغة العربية جزء من المخطط المرسوم للقضاء على الإسلام نفسه.

ونريد التنبيه إلى أن ازدهار الأدب يعين الدعوة الإسلامية على الانطلاق كما يعين مراجع الإسلام الأولى على التألق، ويقرب الانتفاع منها.

ويوجد علماء دين في هذا العصر نصيبهم من الأدب العالي والبيان الشافي قليل، وهؤلاء عبء على الإسلام وفقهه ودعوته، فإن معجز هذا الدين كتاب، ورسوله إنسان مرهف الحس، أوتي جوامع الكلم، فكيف يتذوق الإسلام امرؤ محروم من الذوق الفني ومن القدم الراسخة في اللغة وآدابها؟»[1].

●●●●●

---

(١) الدعوة الإسلامية في القرن الحالي، ص ٧٤- ٧٥.

الخاتمة

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تنجز الأعمال، وبرحمته تتقبل الطاعات، والصلاة والسلام على الهادي البشير، والسراج المنير، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فمن خلال هذه الدراسة لموضوع معوقات نهضة الأمة الإسلامية، تم التوصل إلى ما يلي:

وجود المعوقات والعقبات سنة من سنن الله تعالى في خلقه.

المعوقات، هي: كل ما من شأنه إعاقة المتحرك عن تحقيق غايته وصرفه عنها أو حبسه دونها، أو تثبيطه عن السير في طريقها، سواء كان ذاك المعوق ماديا أو معنويا.

النهضة الإسلامية، هي: ثمرة الجهود والفعاليات التَدَيُّنِيَة التي تعود بالإنسان إلى أداء وظيفته الاستخلافية، وتفعيل مصادر قوته الدينية، وعكسُ ذلك في الكون والحياة.

الأمة الإسلامية، هي: رابطة تجمع المؤمنين الذين آمنوا بالله تعالى ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا، وبالقرآن هاديا ودستورا ....، حيث جعلهم الله تعالى أمة واحدة من دون الناس، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾، (الأنبياء عليهم السلام، ٩٢).

الإنسان المكلف بحمل الأمانة، هو الفاعل المتحرك، وهو محور النجاح والفشل، والخير والشر، والإصلاح والإفساد، كما وصفه الله تعالى بذلك في كتابه العزيز حيث قال: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾، (الأحزاب، ٧٢).

المعوقات الداخلية، هي: ما كان منها صادرا عن المسلمين أنفسهم، على اختلاف أجناسهم وألوانهم وألسنتهم وأقطارهم، وتنوع مستوياتهم وفئاتهم وطبقاتهم، وتباين قدراتهم وإمكاناتهم واهتماماتهم، لأنهم يمثلون في مجموعهم أمة الإسلام، التي آمنت بالله تعالى ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم نبيا ورسولا، وبالقرآن هاديا ودستورا، وهم الذين قال الله تعالى في وصفهم: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾، (آل عمران، ١١٠)، وهم الذين توجه إليهم النداء الرباني الخاص بقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا ...﴾.

من المعوقات الداخلية: المعوقات النفسية وهي العقبات والمشكلات التي تصدر عن قصور أو خلل في الاستعدادات القلبية، والمؤهلات الإيمانية، والتوجهات العاطفية، والمكونات الشخصية.

ومن المعوقات الداخلية أيضا: المعوقات الفكرية، هي التي تنتج عن قصور أو خلل في التصورات والمفاهيم، وأنماط التأمل والتفكير، ومناهج التناول والتحليل، ومرتكزات التنظير والتخطيط.

ومن المعوقات الداخلية: المعوقات الحركية، وهي التي تنتج عن قصور أو خلل في الممارسة العملية، والحركة الميدانية، والتطبيقات الواقعية، والتي تتأثر تأثرا مباشرا بالأخطاء والأمراض والمشكلات النفسية، والتصورات والمعارف الذهنية، والمخططات والتنظيرات العملية.

المعوقات الخارجية لنهضة الأمة الإسلامية، وهي ما كان منها صادرا عن الأعداء، ومنها: ما يتعلق بإطار الكون والحياة، ومنها ما يتعلق بإطار الدين أو المنهج الإسلامي، ومنها ما يتعلق بإطار الإنسان.

تتنوع سبل معالجة معوقات نهضة الأمة الإسلامية، سواء منها ما يتعلق بالكون والحياة، أو ما يتصل بالدين والمنهج، أو ما يرتبط بالإنسان.

وفي الختام أحمده سبحانه وتعالى أن وفقني لإتمام هذه الدراسة، وأعانني على كتابتها، بمنه وكرمه، وأسأله جل شأنه أن تكون هذه الدراسة قد أسهمت في أداء بعض حقوق الدعوة الإسلامية علينا، وعالجت الموضوع الذي كتبت فيه، وبصرت به، كما أسأله تعالى أن ينفعني بما كتبت، وأن ينفع به إخواني المسلمين، وأن يجعله ذخرا لي يوم الدين، وأن يغفر لي تقصيري وزلاتي إنه سميع مجيب، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

●●●●●

المراجع

المراجع

١. القرآن الكريم.

٢. الإسلام في مواجهة التحديات، لمحمد رأفت سعيد، سلسلة نحو عقلية إسلامية واعية، رقم ١٣، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ، ١٩٩١م، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة.

٣. البيان الدعوي وظاهرة التضخم السياسي، للدكتور فريد الأنصاري، دار الكلمة للنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

٤. البيان والتبيين، للجاحظ.

٥. تاريخنا المفترى عليه، ليوسف القرضاوي، دار الشروق، الطبعة الثانية، ٢٠٠٦م.

٦. تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم الرازي.

٧. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.

٨. الجامع الصحيح، سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٩. حياة الحيوان الكبرى، للدميري.

١٠. الدعوة الإسلامية في القرن الحالي، محمد الغزالي، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

١١. دعوة الله بين التكوين والتمكين، لعلي جريشة، سلسلة أقيموا شريعة الله، رقم ٦، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

١٢. الذريعة إلى مكارم الشريعة، لأبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.

١٣. سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.

١٤. سنن النسائي.

١٥. السيرة النبوية، لابن هشام.

١٦. شرح ديوان الحماسة، للمرزوقي.

١٧. شروط النهضة، لمالك بن نبي، سلسلة مشكلات الحضارة، ترجمة عمر كامل مسقاوي، وعبد الصبور شاهين، بإشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر المعاصر، لنبان، ودار الفكر سورية، طبعة ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

١٨. الصحوة الإسلامية الدوافع والعوائق، لمحمد المهدي، دار الوفاء، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

١٩. صحيح البخاري.

٢٠. صحيح مسلم بشرح النووي.

٢١. صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت للتراث الإسلامي والعربي.

٢٢. العوائق، لمحمد أحمد الراشد، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

٢٣. العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د مهدي المخزومي ود إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٢٤. فيض القدير، للمناوي.

٢٥. لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، الطبعة: الأولى.

٢٦. المدخل إلى علم الدعوة، لمحمد أبو الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م.

٢٧. المستدرك على الصحيحين، لمحمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م، الطبعة: الأولى.

٢٨. مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، مؤسسة قرطبة، مصر.

٢٩. مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، لمالك بن نبي، ترجمة بسام بركة، وأحمد شعبو، إشراف عمر مسقاوي، سلسلة مشكلات الحضارة، دار

الفكر المعاصر، لبنان، دار الفكر، سورية، طبعة ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

٣٠. مصادر قوة الأمة الإسلامية، لمعاذ محمد أبو الفتح البيانوني، كتاب في طور الطباعة.

٣١. معركه المصطلحات بين الغرب والإسلام، لمحمد عمارة، نهضه مصر، الطبعة :٢، ٢٠٠٤.

٣٢. معوقات تطبيق الشريعة الإسلامية، لمحمد أبو الفتح البيانوني، إدارة البحوث والدراسات في اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، في الكويت، ١٤١٧ه، ١٩٩٦م.

٣٣. مفاهيم ينبغي أن تصحح، لمحمد قطب، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الحادية عشرة، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٥م.

٣٤. المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، للسخاوي، دار الكتاب العربي.

٣٥. مقومات الشخصية المسلمة أو الإنسان الصالح، لماجد عرسان الكيلاني، مؤسسة الريان، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

٣٦. من أجل انطلاقة حضارية شاملة، للدكتور عبد الكريم بكار، سلسلة المسلمون بين التحدي والمواجهة، رقم ٢، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

٣٧. الموسوعة الحرة ويكيبيديا، http://ar.wikipedia.org/wiki/

٣٨. موقع الميزون، http: //www. almomayzon. com.

٣٩. نحو فهم أعمق للواقع الإسلامي، للدكتور عبد الكريم بكار، سلسلة المسلمون بين التحدي والمواجهة، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

٤٠. نحو وحدة فكرية للعاملين للإسلام، ليوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م.

٤١. النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

٤٢. النهضة الإسلامية بين مسؤولية القيادة وواجبات الأمة، لعبد الحليم عويس، سلسلة نحو عقلية إسلامية واعية، رقم ٢٧، دار الوفاء، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.

٤٣. وسطية الإسلام وأمته في ضوء الفقه الحضاري، لعمر بهاء الدين الأميري، دار الثقافة، الدوحة، قطر، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

●●●●●

فهرس الموضوعات

●●●●●

الفهرس العام للكتاب

تعريف بمؤلف الكتاب

- الاسم: معاذ بن محمد عبد الله أبو الفتح البيانوني .
- المؤهل العلمي: دكتوراه في تخصص الدعوة والثقافة الإسلامية.
- العمل الوظيفي والخبرات:
- اختصاصي دراسات إسلامية في وزارة الأوقاف في دولة الكويت.
- اختصاصي في المركز العالمي للوسطية.
- أستاذ لمادة الدعوة في مركز إعداد الدعاة.
- إمام وخطيب في دولة الكويت.
- أستاذ متعاون لتدريس مادة الحضارة الإسلامية في الجامعة العربية المفتوحة لعدد من الفصول.
- المؤلفات والبحوث العلمية:
- التعددية الدعوية، كتاب مطبوع، ط ١، مكتبة دار اقرأ، عام ٢٠٠٦م .
- فقه الموازنات الدعوية معالمه وضوابطه، كتاب مطبوع، ط ٣، طباعة دار اقرأ، عام ٢٠٠٧م.
- فن الدعوة إلى الله، كتاب مطبوع، ط١، دار اقرأ عام ٢٠١٣م.
- التخطيط الدعوي واستشراف المستقبل في السنة النبوية المشرفة، بحث محكم.
- "التدين" إشكالية المصطلح والمفهوم، بحث محكم.
- ضوابط الإفتاء في عالم مفتوح، بحث محكم.
-أنشطة علمية ودعوية:
- بعض التسجيلات الإذاعية والمشاركات الكتابية في الوسائل الإذاعية والصحفية والإلكترونية.
- تقديم العديد من الدورات والمحاضرات الفكرية والدعوية والثقافية.
- المشاركة في عدد من المؤتمرات الفكرية والشرعية، داخل الكويت وخارجها.
- عضوية العديد من اللجان العلمية والدعوية، داخل الكويت وخارجها.

- البريد الإلكتروني: (b_moath@hotmail.com)
- الهاتف: (٠٠٩٦٥٩٩٥٧٩٣٩٠)
- صفحة الفيس بوك: www.facebook.com/mbeyanouni
- الموقع الإلكتروني: www.drmoath.com

هذا الكتاب

تأتي هذه الدراسة في سياق رؤية إستراتيجية شاملة، تعرض لسنة التدافع الحضاري من منظور إسلامي، توضح مفهومه وأبعاده، وتبين مجلاته وميادينه، وتعرض لبعض آلياته ووسائله، ومن ثم تؤطر لعناصر نهضة الأمة الإسلامية في ميدان التدافع الحضاري، بمركباته وعناصره الثلاثة: (الإنسان والمنهج والكون)، وإبراز مصادر قوته من خلالها، كما تلقي الضوء على بعض المعوقات الداخلية والخارجية، التي تحول دون الفاعلية لحضارية للأمة الإسلامية في ميدان التدافع، وتقترح مجموعة من المعالجات التي تعين على تجاوز تلك العقبات والمعوقات، وتعود بالأمة نحو النهضة الحضارية الإسلامية الراشدة.

التعريف بالكتاب

يحتوي هذا الكتاب على مادة واسعة وشاملة، تعرض لرؤية إستراتيجية دعوية، تسعى لنهضة الأمة الإسلامية من جديد، فتعود بها إلى ما كانت عليه من العزة والقوة، وتمكنها من مكانتها التي أرادها الله تعالى لها من الريادة والخيرية، وذلك بعد أن تَجلّى لها في هذا الكتاب ميدان التدافع واضحا بينا، وبرزت مصادر القوة المتنوعة ظاهرة ووافية، وتم الكشف عن المعوقات وسبل علاجها، ليتمكن المسلمون عامة والدعاة خاصة أفرادا ومجموعات، قيادات وعامة، من التحرك والتغيير، والتفاعل والتقدير، وفقا لإمكاناتهم الخاصة، ومعطيات واقعهم المتغيرة.

الناشر

9 789990 689987

التعريف بالمؤلف



د. معاذ محمد أبو الفتح البيانوني

- من مواليد عام ١٩٧٣م.
- حاصل على شهادة الدكتوراه في تخصص الدعوة والثقافة الإسلامية، عام ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.
- مستشار وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت.
- مستشار وعضو مؤسس في المركز العالمي للوسطية في دولة الكويت.
- أستاذ مادة الدعوة في مركز إعداد الدعاة والداعيات، وإمام وخطيب.
- درس مادة الحضارة الإسلامية في الجامعة العربية المفتوحة في دولة الكويت.
- من مؤلفاته: فن الدعوة، والتعددية الدعوية، وفقه الموازنات الدعوية.
- له حضور ومشاركات في كثير من المحاضرات والدورات والندوات والمؤتمرات داخل الكويت وخارجها.
- الموقع الإلكتروني: www.drmoath.com
- البريد الإلكتروني:

b_moath@hotmail.com